

(Arab)

CS1519

T3

1934

1858

(Arab)CS1519.T3.1934

Armalah, Ishaq

Watha'iq khattiyah fi

'ala'iq al Tarrazi bi-al-

millah al-Suryaniyah

DATE	ISSUED TO
MAR 7	'83 FLEX-S

DATE ISSUED

DATE DUE

DATE ISSUED

DATE DUE

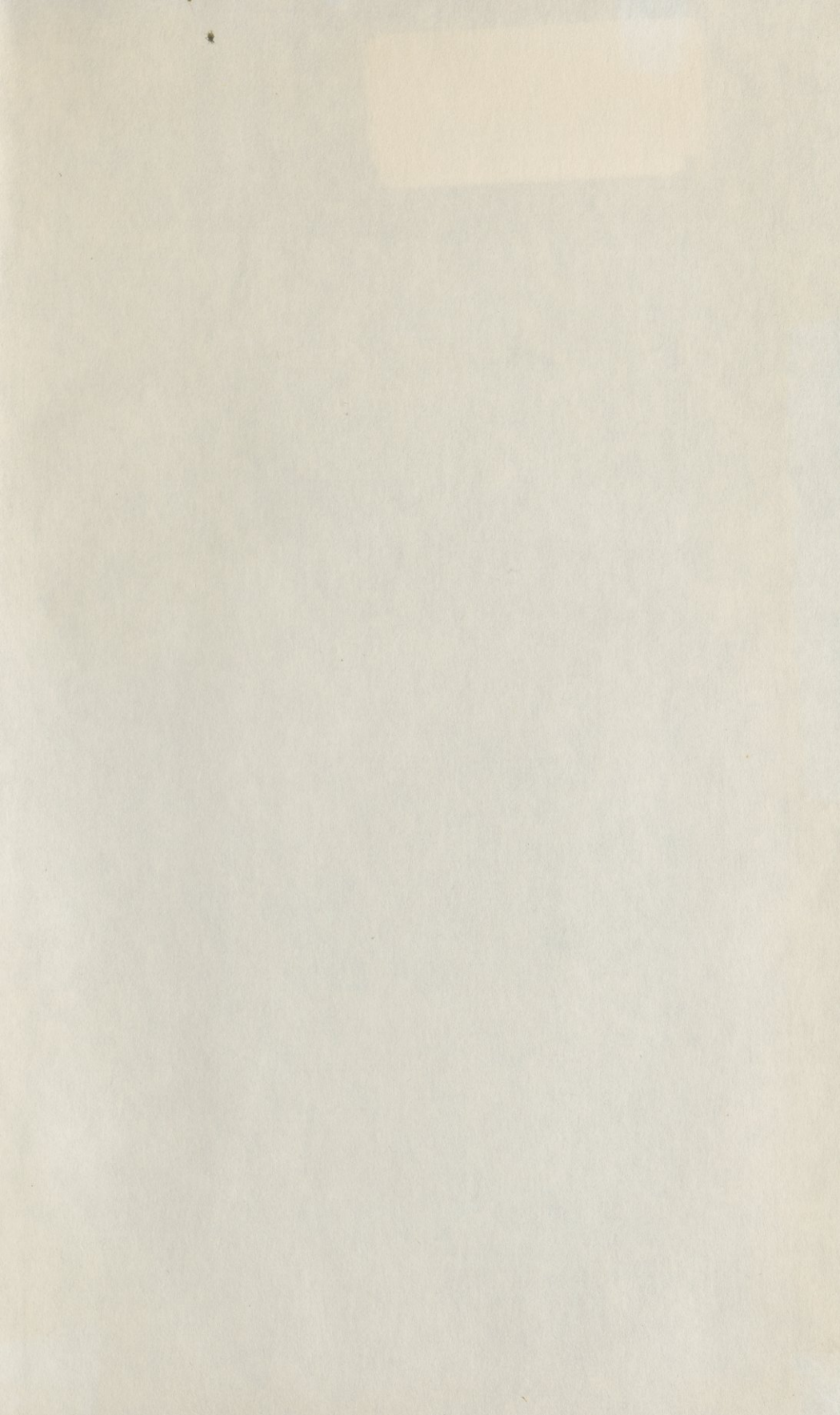
JUN 13 2011

PRINCETON UNIV

Princeton University Library



32101 058188531



PROPERTY OF
PRINCETON UNIVERSITY

وثائق خطية

في

علائق آل طرازي بالملّة السريانية

بقلم

الخورفسقوس اسحق ارملة

السرياني

المطبعة الكاثوليكية

بيروت

١٩٣٤

Ishāq Armalah

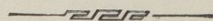
وثائق خطية
في

علائق آل طرّازي بالملّة السريانيّة

بقلم

الخورفستقوس اسحق ارملة

السرياني



المطبعة الكاثوليكية

بيروت

١٩٣٤

(RECAP)

C.S. 1519

.73 17

1934

مقدمة

نشر حضرة الشيخ الورع الخورفسقفوس ميخائيل اليان سركيس مقالة ذات احدى وخمسين صفحةً عنوانها «الذكرى الذهبية لاول قدّاس في كنيسة بيروت السريانية» . فتصفحناها ملياً وأثنينا على مؤلفها الفاضل الذي خدم هذه الكنيسة خمسين عاماً خدمةً نضوحاً تُضرب بها الامثال . وخلف فيها من الآثار الصالحة ما يدعو كل فردٍ من أفراد ملتنا السريانية الى الثناء عليه الثناء الجميل والاقرار له بالفضل الكبير .

وقد تضاعف اعتبارنا لهذا الاب الوقور اذ رأيناهُ يعترف صريحاً في توطئة كراسه بقوله : « انه فاتني شيءٌ وشيءٌ كثيرٌ مما لم انتبه اليه او مما لم أقف عليه راجياً العفو عمّا اقصر فيه في هذا الصدد سهواً او جهلاً مني » . فحبذا القول قوله ! ونعمت النية نيته ! وناهيك انه من أجلاء الكهنة الذين شرفوا هذا المقام المقدس قولاً وعملاً وكتابةً . ذلك ما يدعونا الى ان نوّقره من أعماق قلبنا ونكرم في شخصه الفضل والفضيلة .

بناءً عليه رأينا اكبالاً لا املهل سهواً او خفي عنه عزواً ان ندون في هذا الكتاب مجمل الاخبار التاريخية الراهنة التي لم يتوفق حضرته الى الوقوف عليها . وما هدفنا من ذلك الا هدفه الذي يرمي الى كشف الحقائق المنوطة بكنيسة مار جرجس خصوصاً وأبرشية بيروت عموماً . وعملاً

بسة التوسع لا نرى مندوحة عن اثبات بعض الابحاث التي لم ينشرها كاتب ولم يروها قبل الآن مؤرخ . وهي تتعلق بموضوعنا تعلقاً وثيقاً . وسيطالع القراء فيه حوادث خطيرة بقيت مطوية في بطون الاوراق الى ما شاء الله لو لم نخط عنها اللثام . وسيكون نشر تلك الوقائع المطوية معززاً بلا ريب لتاريخ الملة التي نتشرف بالانتماء اليها .

ولما كانت أسرة طرازي الجليلة محور ابرشية بيروت السريانية كما يعترف به الخاص والعام فقد ألقيناها لذلك مرتبطة ارتباطاً محكمًا متيناً باحبار ملتأ النبلاء في كل أينز وأن . فضلاً عن انها تفردت بالحرص على آثار نسبها وعلى اهم الوثائق التي ورثتها عن اجدادها . واحتفظت بتلك الذخائر جيلاً بعد جيل على سبيل التيمن والافتخار . ولعمري ان هذا الحرص لسجية تسجل لآل طرازي صفحة ذهبية في بطون التاريخ . وتبرهن عن شديد تشبثهم بآثار السلف خلافاً لاكثر ابناء الشرق الذين يقرءهم الغريبون لاهمالهم أخبار اجدادهم وعدم اكرامهم لها .

وتحقيقاً لما تحريناه من وضع كتابنا هذا رأينا ان نلجأ الى ما نعرفه محفوظاً في خزائن آل طرازي من الآثار القديمة والصكوك المهمة . وهي على كثرتها جديرة بان يطلق عليها هذا المثل المشهور « كل الصيد في جوف الفرا » لما وعته من المسائل التي يعز الفوز بها في سوى تلك الخزان الشمينية . فبين الوثائق التي استندنا الى محتوياتها المفيدة مجموعة خطية وحيدة في بابها تتألف من احد عشر مجلداً ضخماً موسومة بعنوان « العقد الثمين في رسائل الآباء الى البنين » . شاهدناها بأم العين مصونة كآثمن ذخيرة في دار الفيكتيت فيليب دي طرازي العامرة . وهي تشتمل على ألوف من الرسائل التي وجهها البطارقة والمطارنة وسائر آل الكهنوت الى أسرة طرازي من كل صوب في القرنين الاخيرين . والقسم الاوفر منها مخطوط بيدهم عربوناً اشديد اعتبارهم لتلك العترة المباركة .

ولا ريب فان لهذه المجموعة قيمتها التاريخية لانها تتضمن ايضاً اخباراً

ووقائع شتى منوطةً ببلادنا الشرقية عموماً وبالملّة السريانيّة خصوصاً . وما عدا ذلك كلّهُ فإنّها تنطوي على حوادث نادرة واسرار وافرة هيهات ان يجد الباحثون لمثلها اثرًا في جميع سجلّات البطريركيّة السريانيّة ومطرائياتها . يتضح من ذلك كلّهُ ان اسرة طرازي كانت المرجع الامين لآيّة السريان نظراً لثقتهم بها وثقتها بهم . فانهم كانوا يكشفونها بأرائهم ويعتمدون على اخلاصها وصدقتها في الشئون الخطيرة .

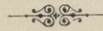
اننا لدى مطالعتنا تلك المجلّدات الضخمة تولّانا العجب من عبقرية الفيكنت فيليب الذي عني بضمّ شتاتها وضبط مفرداتها بكل دقة طبقاً لمراقب الاحبار مرسلها ووفقاً لتسلسل تواريخها . ولا يسعنا في هذا المقام الا ان نعلن آيات معرفة الجميل لأل طرازي لا بدّ لوه من الجهود حرصاً على هذه العتائق الثمينة . ثم نحض عواطف الشكر لعميدها الفيكنت المشار اليه لانه أذن لنا ان ننتقي منها ما رأيناه ذا علاقة بموضوعنا ومفيداً للقراء الكرام .

ولدى الفراغ من وضع هذا الكتاب أسمىناه «وثائق خطيّة في علائق آل طرازي بالملّة السريانيّة» . فبجاء وافياً بالمرام حاوياً لكثير من جلائل الحوادث في وجيز الكلام . نسأل الله سبحانه ان يفيّد مطالعيه ويسدّد خطواتنا لنشر كل ما يعود الى تعزيز الحق واعلاء منار الفضيلة والفضل . انه السميع المجيب .



التقسيم الاول

آل طرّازي وابريّة بيروت السريانية



الفصل الاول

نظر انتقادي

في

أغلاط « الذكري الذهبية »

قبل الخوض في ما عزمنا على سرده في كتابنا هذا رأينا خدمة للحقيقة التاريخية ان نشير في هذا الفصل الى بعض اغلاط طرأت في « الذكري الذهبية ». ونعتقد ان تلك الاغلاط لن تقال من قِدر المقالة ولاسيا لان منشئها يقرّ كما يقرّ كل خبير عاقل بأن الكمال لله المتعال دون من سواه . فنقول :

١ : اول ما لفت نظرنا في « الذكري » المشار اليها ان حضرة مؤلفها الجليل قال في الصفحة ٤ ما نصّه : « ان وضع الحجر الاول في كنيسة مار جرجس جرى في عهد بيوس التاسع وفي خلافة السلطان عبد العزيز في ٢٥ اذار ١٨٧٨ ». والحال ان البابا الموماً اليه استأثرت به رحمة الله في ٧ شباط ١٨٧٨ كما ان السلطان عبد العزيز توفي في ٤ حزيران ١٨٧٦ . فيكون اذاً الاحتفال بوضع الحجر الاول قد جرى في عهد البابا لاون الثالث عشر وخلافة السلطان عبد الحميد الثاني .

٢ : قال في الصفحة ٨ : « ان البطريك اغناطيوس جرجس شلحت
دشن الكنيسة في ٢٧ كانون الاول ١٨٨٤ » . وحقيقة الامر أن التدشين
بالمليون المقدس جرى في ٢٧ كانون الاول ١٨٨٥ كما هو مدون صريحاً في
سجلات آل طرازي .

٣ : ذكر في الصفحة ١٢ : « أن اول من سمي نائباً بطريركياً في
بيروت [في عهد السيد اغناطيوس جبرائيل الاول الجزيل الطوبى] هو السيد
ثيوفيلس يوسف جرجي عام ١٩٢٩ » وأضرب عن ذكر السيد اثناسيوس
اغناطيوس نوري الذي خلفه رسمياً في النيابة منذ السنة ١٩٣٠ الى السنة
١٩٣١ . ومما يؤيد ذلك ان الملة البيروتية احتفلت اثناء نيابته هذه في ١٦
نيسان ١٩٣١ بيوبيله الكهنوتي الذهبي . ثم أعيدت النيابة ثانية الى السيد
ثيوفيلس يوسف جرجي حتى هذا اليوم .

٤ : روى في الصفحة ١٢ : « أن الحوري يوحنا معمارباشي تولى النيابة
البطريركية في بيروت من السنة ١٨٦٥ الى السنة ١٨٧٢ » . والصحيح ان
الحوري الموما اليه لزم خدمة السيد اغناطيوس فيلبس الاول منذ السنة ١٨٦٨
وسافر معه الى رومية عام ١٨٦٩ لحضور المجمع الواتكاني المقدس . ونزلا
معاً في سراي الامير تورلونيا في ساحة سكوتسا كافلي . وقد اطلعنا على
حقيقة ذلك في رسائل أنفذها الحوري يوحنا عينه عام ١٨٦٩ من رومية الى
الكننت نصر الله دي طرازي . على انه لما توقف المجمع المشار اليه عاد
الحوري يوحنا الى ماردين صحبة السيد البطريك . ثم شخص الى بيروت
وتولى فيها النيابة البطريركية للمرة الثانية منذ السنة ١٨٧٧ .

٥ : ان المدة التي ذكرها المؤلف عن نيابة الحوري يوحنا معمارباشي في
الصفحة ١١ لا تستند الى امر راهن ولا تتفق مع الوثائق المحفوظة لدى آل
طرازي . فقد كانت سياسة رعية بيروت في السنة ١٨٦٨ منوطة بالقس لويس
صابونجي دون سواه . ثم عين القس الياس شدياق معاوناً له في خدمة النفوس
بضعة اشهر . يؤيد ذلك منشور رسمي رأيناه بعيننا ما بين الرسائل المصونة

لدى آل طراي وهو مزين في اعلاه بصورة مار اغناطيوس النوراني شفيع الكرسي الانطاكي ومؤرخ في ٢٤ نيسان ١٨٦٩ . ثم انه لما سافر القس لويس للطواف حول الكرة الارضية عام ١٨٧١ نُصِبَ الحوري ميخائيل ازرق رئيس دير الشرفة وكيلاً في بيروت مع بقائه رئيساً على الدير المذكور .

٦ : لاصحة لما ذكره المؤلف في الصفحة ١٦ عن ان «الحوري يوسف معارباشي افضت اليه النيابة البطيركية عام ١٨٧٥» لان الحوري المشار اليه كان رئيساً على دير الشرفة ولم يتولّ النيابة في بيروت رسمياً .

٧ : اثبت المؤلف في الصفحة ١٩ اسم عمه الحوري موسى سر كيس في سلسلة النواب البطيركيين . مع انه لم يكن إلا خادماً للرعية ومعلماً في الوقت ذاته في مدرسة الآباء اليسوعيين .

٨ : اغفل المؤلف ذكر القس حنا طباع في زمرة الكهنة الذين خدموا رعية بيروت . وغير خاف ان هذا الكاهن تولى تلك الخدمة مذ ٢٠ اذار ١٨٨٠ حتى ١٠ كانون الثاني ١٨٨١ وخلفه القس موسى سر كيس .

٩ : قال في الصفحة ٢٣ : « ان الكنت شرل كابل البلجكي تبرع على كنيسة بيروت في ٢٨ شباط ١٨٩٢ بستة شمعدانات كبيرة جميلة » وأهمّل ذكر الشمعدانات الستة الكبيرة الثمينة التي أتى بها القيسنت سليم دي طرازي عام ١٨٩٧ من اوربا وأهداها الى الكنيسة . وهي تفوق الشمعدانات الاولى قيمةً وجمالاً وقياساً .

١٠ : صرّح في الصفحة ٢٧ : « ان الحوري افرام حيقاري اتفق مع رئيس الجمعية الخيرية شقيقنا يوسف اليان سر كيس ومع معاونيه الفاضلين القيسنت فيليب دي طرازي والخوaja نجيب موصلي وحصاوا لهم (يعني للمهاجرين) ما كفاهم لسد حاجتهم » . وفاته ان المرحوم يوسف شقيقه لم يتراأس الجمعية الخيرية الا بالاسم فقط ولم يتعاط شأناً . من شؤونها . ولم يكن القيسنت دي طرازي والخوaja نجيب موصلي معاونين له اصلاً بل

لم يجتمعا معه لشؤون الجمعية مطلقاً . وكلُّ يعلم ان الخواجا موصلي لم يقبل يوماً من الايام — عن حكمة يُشكر عليها — وظيفة في الجمعية الخيرية على الاطلاق . ومما يؤيد حقيقة قولنا ان سجل الجمعية المذكورة — اللهم ان كان لها سجل او شبه سجل — لا يحتوي على توقيع واحد ممضى باسم الرئيس الموما اليه .

١١ : روى في الصفحة ٢٧ عنها ما نصه : « فقد جد الخوري افرام (حيقاري) مع القيسنت فيليب والخواجا نجيب المشار اليهما في جمع طائفة من المال عام ١٩٢٤ من ابناء الملة وغيرهم . واشتروا ارضاً ابتنوا فيها بيوتاً خشبية لايواء المهاجرين وأطلقوا عليها اسم «حارة مار يعقوب» . والحال ان هذه الرواية عارية عن الصحة بل مخالفة للحقيقة . فان الخوري افرام حيقاري الموقر لم يكن له علاقة بجمع الاموال لمشتري بقعة الارض المذكورة . وانما يعود الفضل كله في ذلك اول بدء الى القيسنت فيليب ثم الى صديق الخواجا نجيب دون غيرهما . على اننا ما برحنا نحن نذكر عدة رسائل استكتبنا اياها القيسنت المشار اليه وأرسلها الى أعيان الابرشيات السريانية والى رؤساء جمعياتها الخيرية استنهاضاً لهم في هذا المشروع المبرور . كما اننا نذكر ايضاً رحلة القيسنت الغيور الى الاسكندرية والقاهرة في هذا السبيل عينه . وقد جمع حضرته من مكارم المحسنين سواء أبناء الملة ام من غيرهم المبلغ الكافي لمشتري بقعة الارض المذكورة . وتأيداً لهذه الحقيقة الراهنة نروي هنا ما اشترته «جمعية المساعي الخيرية السريانية» في برنامجها عن السنين ١٩٢٤ و ١٩٢٥ و ١٩٢٦ صفحة ٦ فما بعد ونصه :

« وكان صندوق الجمعية في ذاك الحين خالياً من المال . بل ان موارد اوقافها لم تكفي لتكفي بحاجة فقرائها الوطنيين دون سواهم . فدفعت الغيرة عضوين (لا ثلاثة) من اعضائها هما القيسنت فيليب دي طرازي ونجيب افندي موصلي لعمل اكتاب يُرصد ريعه لمشتري بقعة ارض وتعمير مساكن فيها تقي فقراء المهاجرين من قىظ الصيف وبرد الشتاء . فتكملت مساعيها

بالنجاح واستطاع من فضل اهل الاحسان وذوي الحنان ان يقتنيا بقعة ارض تباع مساحتها ثلاثة عشر الف ذراع مربع .

فاستناداً الى نص هذا البرنامج الذي وافق عليه رسمياً السيد اغناطيوس افرام الثاني البطريك الانطاكي يتضح جلياً ان هذين العضوين النشيطين قد استقلّا وحدهما دون الخوري افرام حيقاري الموقر بجمع تبرعات المحسنين واستطاعا ان يقتنيا بقعة الارض المذكورة .

١٢ : فات المؤلف ان يشبّه اسم الكنت انطون دي طرازي (صفحة ٤٠) في زمرة المحسنين الى كنيسة بيروت مع انه سرد اسما كثيرين ممن لم يحسنوا اليها بجزء يسير مما احسن اليها هو . وقد اطلعنا في سجلات آل طرازي على عدة وثائق تصرّح بماقي الكنت المشار اليه ومساويه ولاسيما عند انشاء اليانصيب عام ١٨٨٢ في سبيل كنيسة بيروت . فعرّفنا بنوع خاص انه أهدى الى هذه الكنيسة شمعدين كبيرين بشكل ثرياً يرتكران على قاعدتين خشبيتين الى جانب المذبح الكبير في المواسم الخافلة .

١٣ : عثرنا ايضاً في الوثائق المصونة لدى آل طرازي على ان المرحوم نعمة الله شقال أحسن بسطاء الى كنيسة بيروت وقت المباشرة ببنائها . وقد تبرّع ايضاً خاله المرحوم جبرا شقال بمبلغ من المال كما هو مدوّن في لائحة الاكتتاب الاول لبناء الكنيسة . أفما كان يجدر اذا بمؤلف « الذكري الذهبية » ان يذكر اسميهما في جملة المتبرعين ؟

١٤ : أهمل المؤلف اثبات اسم المرحوم ابراهيم قزما في فئة المحسنين الى كنيسة بيروت . وقد عرفنا معرفة تامة ان هذا الرجل يُعدّ من اقدم المحسنين اليها لان اسمه ورد صريحاً في اول اكتتاب جرى عام ١٨٧٨ بحضور السيد البطريك مار اغناطيوس جرجس الخامس وفي الاكتتاب الثاني الذي تلاه . وعلاوة على ذلك فان شيخ الملة السريانية في بيروت يذكرون الى هذا اليوم بالرحمة مريم زوجة ابراهيم قزما المعروفة بأمّ حبيب قزما . وهي التي خدمت الكنيسة نيقاً وعشرين سنة خدمة مجّانية اذ كانت تجلس يومياً الى

باب الكنيسة من اول قداس حتى آخر قداس لجباية صدقات المؤمنين .
فاقتضى اذاً ان نثبت اسمها واسم قرينها بالدعاء . والرحمة .

١٥ : لم ينوه مؤلف « الذكرى » بفضل نعمة الله وفتح الله طرازي .
مع اننا قرأنا اسميهما في طليعة المحسنين الى كنيسة مار جرجس بعد اسم
شقيقهما البكر الكنت نصرالله وقبل اسماء سائر المتبرعين . واستدلنا
كذلك من الوثائق المصونة لدى آل طرازي على انهما رحمهما الله تعالى كانا
متولين قضاء مصالح الملة في مرسيليا . وكان البطارقة والاساقفة لدى
ذهابهم الى اوربة يحلون عليهما ضيوفاً كراماً كما كانوا يحلون على اسرتهم
في بيروت .

١٦ : عثرنا ما بين الوثائق المخزونة لدى عميد الاسرة الطرازية في
بيروت على اسم رجل سرياني من أسرة « حن » الحليّة توفاهُ الله تعالى دون
عقب . وقد خلف في وصيته الاخيرة مبلغاً من المال معتبراً بقي وديعة في
مصرف امين باطلاع السيد البطريرك ماراغناطيوس جرجس الخامس والكنت
نصر الله دي طرازي شيخ الملة السريانية . ثم استدان دير الشرفة هذا
المبلغ بفائدة معلومة في عهد رئاسة الخوري يوسف معارباشي . وقد ضم
بعد ذلك الى المبالغ المجموعة في سبيل بناء كنيسة بيروت . فكانت
معرفة الجميل اذا تحتم ان يُدون اسم هذا المحسن البار في عداد المحسنين
لانه سبقهم جميعاً في مد يد الاسعاف لتشييد كنيسة بيروت .

١٧ : لم يصرح صاحب « الذكرى » بالقداديس الخمسة التي سجلها
السيد المطران ثيوفيلس انطون قندلفت للمرحوم افرام بطيخه . ونحن
نعلم ان حضرة الخوري ميخائيل التقي ما برح الى هذا اليوم يقرب بذاته
تلك القداديس الخمسة لراحة نفس الواقف الكريم .

١٨ : قال المؤلف في الصفحة ٢٦ : « ان قيمة الدار الموقوفة من مريم
موصلي بلغت الف ليرة ذهبية » ولم يذكر ما أنفق على المعاملات القانونية
وقدره خمسون ليرة ذهبية .

١٩ : ذكر المؤلف في الصفحة ٢٦ ايضاً : أن المونسنيور افرام حيقاري « صرف المساعي في انشاء يا نصيب خيري عام ١٩٢٨ أنفق ريعه البالغ مائة وخمسين ليرة ذهبية في ترميم موفه كنيسة بيروت وتعيد فنائها » .
وغمّض عن ذكر اليانصيب الاول الكبير الذي نهض به آل طرّازي يوم بناء الكنيسة . وقد بلغت اوراقه خمسة آلاف ورقة قيمة كل منها خمسة فرنكات ذهبية أنفقت على بناء الكنيسة لا على فنائها . فوجب اذا ان ثبت ههنا ذكر هذا اليانصيب تحليداً للناهضين به واستدرازا لغيوث المرحام العالوية على أجدانهم .

٢٠ : روى في الصفحة ٤٠ قوله : « اشتروا في محلة راس النبع ارضاً خصّصوها بالمقبرة وتبرّع بشمها آل طرّازي وشقال وموصلي » . فذكر ارض المقبرة واهمل ذكر ارض الوقف الملاصقة لها وهي المعروفة اليوم رسمياً باسم « حارة مار افرام » . وهما منفصلتان الواحدة عن الاخرى ولا علاقة للواحدة بالثانية . وغني عن التصريح بأن ارض الوقف هذه لعبت دوراً مهماً في تاريخ ابرشية بيروت السريانية لانها كانت من اكبر الدواعي الى تعزيز الملة وغرّها . وسنذكر ذلك مفصلاً في فصل « آل طرّازي وجمعية المساعي الخيرية السريانية ووقفها في بيروت » حيث تتضح الحقيقة جلياً كالشمس في رائعة النهار . وقد كنّا نودّ لو ان المؤلف الورع اشار الى هذا الوقف وكتب عنه كما كتب في الصفحة ٢٧ عن ارض الوقف المعروفة باسم « حارة مار يعقوب » وان كانت كتابته عن هذه الارض ايضاً لا تخلو من الغلط .

٢١ : ادرج المؤلف الورع في الفصل التاسع (صفحة ٣٩-٤٣) اسما العشرات ممن تبرّعوا على كنيسة بيروت بحجة ان اسماهم منقوشة على نذورهم . وبين اولئك المحسنين من لم يتجاوز احسانه الدينار او الدينارين او ثلاثة دنانير . وغمّض عن ذكر اسما المتبرعين على بناء الكنيسة او الذين أتحفوها بهدايا ثمينة دون ان يحظر بباهم ان ينقشوا اسماهم على تقادهمم تواضعاً . فتخليداً لحسناتهم رأينا من الواجب ان نثبت ههنا اسما

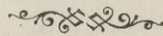
من توقفنا الى الوقوف على تقادهم في وثائق آل طرازي وهم : ١ : السيد اغناطيوس جرجس الخامس فقد التحف الكنيسة بصورة مارجوس الكبيرة .
 ٢ : الكنت انطون دي طرازي الذي زينها بالشمعدانين الكبيرين اللذين ذكرناهما في هذا الفصل تحت الرقم ٩ وأهدى اليها ايضاً قنديلين فضين وغير ذلك . ٣ : الفيكنت سليم دي طرازي الذي أتحفها ما عدا صور درب الصليب الجميلة بستة شمعدانات ثمينة وست مزهريات . ٤ : الكونتس مئة دي طرازي التي قدمت للكنيسة مبخرة من الفضة والشمعدانين المرتكزين في عمودي الكنيسة الوسطانيين . ٥ : نعوم بشنجي الذي زين الكنيسة بتمثال قلب يسوع الاقدس . ٦ : جرجس رباط الذي وقف للكنيسة ساعة كبيرة ما برحت الى هذا اليوم محفوظة في الموفه .
 ٧ : الخورسقفوس يوسف اسطنبولي الذي أهدى الى الكنيسة كرسي العرش البطريركي ووقف لها ايضاً جانباً من املاكه في بيروت . ٨ : جبرا بن يوسف رباط الذي قدم للكنيسة اول ثرياً علقت في سقفها . ٩ : ذهني افندي انجا الذي أهدى اليها ستة شمعدانات ونجده فريد الذي ادخل اليها عام ١٩٢٢ الاضواء الكهربائية . ١٠ : ام رزق الله شثال التي أهدت الى الكنيسة ثلاث صور منصوبة فوق الابواب الثلاثة غربي الكنيسة .
 ١١ : الفيكنت فيليب دي طرازي الذي أهدى الى الكنيسة ثريات صغيرة علاوة على الثريا الكبيرة الثمينة الخ الخ .

٢٢ : نشر المؤلف الجليل رسوماً وتراجم للنواب البطريركيين في بيروت وأضرب عن نشر رسوم ذوي البقرية والفضل من العالمين . وغير خاف ان معرفة الجميل كانت تفرض عليه ان يثبت رسوم مثل هؤلاء كي ينيح غيرهم منهاجهم في التنافس والغيرة على بيت الله تعالى اذ خافاً للثواب في الملكوت السماوي .

(١) هو والد العالم البحّاث الاب انطون رباط السرياني اليسوعي شقيق الكومندور سليم رباط كبير اعيان الملة السريانية في الاسكندرية

٢٣ : أخيراً سها مؤلف «الذكرى الذهبية» عن التنويه باسم الحوري ميخائيل ازرق رئيس دير الشرفة الذي وقف داراً كانت واقعةً جنوبي التياترو الكبير في يومنا . وخصص نصف تلك الدار بفقراء السريان في بيروت والنصف الآخر بدير الشرفة . على ان المطران ثيوفيلس انطون قندلفت باع تلك الدار عام ١٨٩٢ وأنفق قيمة الحصة العائدة الى أبرشية بيروت في تكميل بناء الطبقة السفلى من قلالية كنيسة مار جرجس .

اننا نقف عند هذا الحد في كشف النقاب عما ورد من الاغلاط في «الذكرى الذهبية» وعما كان يجب ان يثبت فيها من الحقائق المقررة . ولولا اشارتنا الايجاز وخوفنا ملل القراء لسردنا اغلاطاً غير التي بسطناها في هذا الفصل . فترجو من حضرة الاب الجليل الحورفسقفوس ميخائيل اليان سرئيس الموقر ان يثق بصدق ولأئنا وينظر الى انتقادنا بعين الحام والانصاف ويعتقد اننا أثبتنا ونشني على فكرته في كتابة ما كتبه وان كان كما قال حضرته : « قد فاته الشيء الكثير منه » .



الفصل الثاني

آل طرّازي وتكوين الملة السريانية في بيروت

يعلم كل خير بتاريخ الملة السريانية أن أول سرياني يتم مدينة بيروت واستوطنها في مطلع القرن التاسع عشر كان من آل طرّازي. وكان اسمه المقدسي انطون (١٧٨٩—١٨٥٥) ابن المقدسي نصرالله (١٧٥١—١٨٠٨) بن الياس (١٧١٥—١٧٩٢) بن بطرس (١٦٨٧—١٧٩٦) بن يعقوب (١٦٤٥—١٧١٣) بن بطرس (١٥٩٧—١٦٧٨) جد الأسرة الطرّازية الاعلى. زایل المقدسي انطون طرّازي مدينة حلب وطن أجداد، عام ١٨٠٨ وشخص الى بيروت حيث اشترى قيصريّة^(١) في سوق البازر كان وفتح فيها محلاً تجارياً. وما مرّ عليه القليل من الزمان حتى رمقته عين العناية الالهية بالآنها وشملته بزيد توفيقاتها. فراجت اسواق تجارتها وتضاعف راس ماله بحيث تيسّر له ان يؤسس فروعاً لاشغاله في بعض انحاء سوريا واوربا. ثم اقتنى بقعة ارض في محلة «خندق العميق»^(٢) شيد فيها داراً فسيحة قضى فيها ايامه باليمن والسلام.

(١) كان يُطلق اسم «قيصريّة» في بيروت على ابنة ضمن اسواقها العتيقة حافلة بأهل الحرّف والصناعات. فمنها ما كان يُعرف باسم بانيها كقيصريّة الامير منصور وقيصريّة الامير منذر. ومنها ما تغلبت عليها اسماء الصناعات او المهن كقيصريّة الصياغة وقيصريّة الحرير وخلافها. والقيصريّة بوجه عامّ بناية ضخمة ذات باين كبيرين يُفتحان نهاراً ويُغلقان ليلاً. وكانت تتألف من ساحة فسيحة لا سقف لها تحيط بها الاروقة والدكاكين من جهاتها الاربع. وتعلوها طبقتان كانت غرفهما مأهولة على الاغلب بالتجار الغرباء. ولما هُدمت اسواق بيروت القديمة وشيّدت بدلاً منها الاسواق الجديدة خفيت معالم تلك القيصريات واصبحت اثرًا بعد عين.

(٢) أطلقت بلدية بيروت على الشارع المحتد بين شارعي سوريا والبسطة والمؤدّي الى دار آل طرّازي من ناحيتها الشمالية اسم «شارع نصرالله طرّازي» اقراراً بفضل.

وقد استقى المقدسي انطون من والده المقدسي نصرالله روح الفضيلة والفضل . وامتاز مثله بالغيرة على المشاريع المبورة والاهتمام بمصالح الملة روحياً ومادياً كما قرّر السيد اغناطيوس ميخائيل الرابع في رسالة انفذها اليه بتاريخ ٢٩ تموز ١٨٠٨ من دير مار افرام الرغم . وفي هذه الرسالة يعزّيه البطريرك بوفاة والده المقدسي نصرالله الذي لفظ روحه في حلب بتاريخ ٢٩ ايار ١٨٠٨ قال ما نصه :

« باسفر لا مزيد عليه بلغنا . . . خبر وفاة ابننا الروحي والدكم المقدسي نصرالله رحمه الله تعالى . فشق ذلك كثيراً على قلبنا الابوي وجئناكم الان بسطور البركة لتعزيّكم ونشارككم في احزانكم . وهذا السهم الذي اصابكم قد نالنا منه القسم الاوفر لاننا اكثر من الجميع قد اختبرنا فضائل المرحوم وغيرته على الديانة واهتمامه بمصالح الطائفة . . . وقد صار مقررّاً عندنا انكم تسلكون مسلكه حتى تستمرّ النعمة في عائلتكم ويتعزّى قلبنا ببناء صالحين نظيركم . . . » .

وعندما انتقلت أسرة طرّازي بعد وفاة نصرالله كبيرها الى مدينة بيروت واصل انطون ابنه خدمه في سبيل الملة السريانية وتعزيّزها . وقد اصبحت داره منذ صدر القرن التاسع عشر محط رحال البطارقة والمطارنة والرؤساء والاعيان . ولما اخذ ابنا الطائفة يزدادون في بيروت رفع عريضة الى السيد اغناطيوس سمعان الثاني مصرحاً له بانهم محتاجون الى اسقف يدبر شؤونهم الروحية ومقررّاً بانه يقبله ضيفاً في داره مدة حياته . فما كان من هذا البطريرك المغبوط الا ان اجاب الى إلحاح المقدسي انطون . ثم رقى الى الكرامة الاسقفية على بيروت كاهناً جليلاً ورعاً من ديار بكر وأسماء كوارتس انطون . وكتب في ذلك الى المقدسي انطون طرّازي رسالة مؤرّخة في ١٠ تشرين الاول ١٨١٧ قال :

« ان حضرة الاخ المحترم كوارتس انطون راعيكم الجديد . . . يسافر في الاسبوع القادم لاستلام زمام رعيّتنا المباركة في مدينة بيروت المحروسة . فنتمل



المقدسي انطون طرّازي

١٨٥٥ — ١٧٨٩

من تقوأم ان تقوموا باكرامه وتستقبلوه بما فُطرت عليه من اللطف وحسن التدبیر. وحيث ان اقامته ستكون في منزلکم العامر كما طلبتم لعدم وجود محل آخر نزع ان تجمعوا ابناء طائفتنا عندكم بعد وصوله لتبصیر تلاوة منشورنا البطريكي في تعيين اخوته مطراناً علیکم . فنبتهل الى اله الجود ان يبارك هذه الغرسة التي زرناها في حقل ابرشيتكم حتى تأتي بالاثار الصالحة لخيركم الابدي ويفرح قلبنا بنجاحكم روحاً وجسماً . لا تقدر يا ولدنا العزيز ان نكافئكم على اتعابكم وفضلکم ومحبتكم . وعلى الخصوص لانه ليس لنا احدٌ غيركم نعتمد عليه لاجل قضاء مصالح الطائفة في طرفكم . بلغوا منا السلام والدعاء والبركة لجميع اولادنا الروحيين ولكل من يلوذ بكم ، والبارئ تعالى يحفظکم .»

فمن نص هذه الرسالة البطريكية الجلیلة يتضح صريحاً انه لم يكن للاكليوس السرياني مرجع يعولون عليه الا آل طرازي . ولم يكن لهم محل ياوون اليه ويقضون فيه فروضهم الدينية الا دار آل طرازي الذين فتحوها على مصراعيا لقبولهم فيها بالتجلة والاعتبار . وقد كتب آل طرازي على انفسهم ان يقوموا بجاجات ارباب الكهنوت والتوسعة عليهم غير مذخرين في ذلك مالا وسعياً وتعباً . على ان الحبر الجديد السيد كوارتس انطون المشار اليه قضي حياته الاسقفية التي استغرقت اربعاً وعشرين سنة (١٨١٧ — ١٨٤١) في دارهم كأنه هو صاحبها وهم ضيوفها . وعلى هذا النمط استمر اخبار الطائفة السريانية قاطبة منذ عهد البطريك اغناطيوس ميخائيل الرابع حتى عهد البطريك اغناطيوس افرام الثاني يحلون ضيوفاً مبجلين مكرمين على دار آل طرازي . ويقضون على يدهم مصالحهم المدنية في بيروت واوربة بموجب وكالات رسمية . وكان آل طرازي بدورهم يؤدون لهم هذه الخدمة بما عرفوا به من الهمة والغيرة والتفاني لوجه الله تعالى وخير الملة .

وثائق خطية

ومما يستحق الذكر في هذا المقام رسالة تاريخية كتبها العلامة الدكتور
لويس صابونجي من لوس انجلوس باميركا الشالية الى فيكنت فيليب دي
طرازي بتاريخ ٣٠ نيسان ١٩٢٨ تقتطف منها^{١)} ما يلي :

« ربما لا تذكرون تماماً الباعث على شدة تعلقي بأسرة طرازي الكريمة
وصدق مودتي القدية لافرادها النجباء . وعليه اود ان أعيد على ساءكم
شذرة من تاريخ هذه الصداقة كما هو مطبوع في ذاكرتي رغماً من مرور
نحو ثمان وسبعين سنة على تاريخ تلك الصداقة . وهام تفصيل ذلك : بعدما
نحوت من غائلة المذبة ونهب منازل المسيحيين وكنائسهم في حلب في شهر
تشرين الاول ١٨٥٠ قدمت بيروت مصحوباً بالارشمندريت عبد الله كاتم
اسرار البطريرك مكسيموس مظلوم . فقابلني المرحوم جدكم انطون
طرازي في انطوش مدرسة الشرفة . فوجدته شخصاً لطيفاً رباعاً نحيف
البنية وعلى رأسه عمامة صغيرة قاشها أسود . وكان سرواله كذلك من
الجوخ الاسود . ومن كرم آل طرازي المعهود احضر لي الطعام . وكانت
تلك آخر ليلة من عام ١٨٥٠ . وأعتبر هذا الصنيع اول لطف وأجل
احسان ناله غريب مثلي في السن الثامنة عشرة من مكارم أسرة طرازي .
فاذكر ذلك بملء السرور واشكره . وفي الغد حضر اليّ المرحوم جدكم
وسار بي الى مدرسة الشرفة . واعتاد جدكم النيل كلما زار مدرسة
الشرفة ان يسأل عني ويطلب مشاهدي ويلاطفني ببشاشة طبعت في فؤادي
صدق الوداد له ولكل من افراد ذريته النجبية . وما زلتُ محافظاً على هذه
الصداقة بوفاء وذمامٍ ولن انسها حتى أدرج في الاكفان .

« هذه نبذة وجيزة من تاريخ صداقتي لجدكم المرحوم وافراد عائلته
الافاضل . وقد انتقلت منه الى والدكم الكنت نصرالله دي طرازي رحمه
الله تعالى . ثم انتقلت صداقتي الى نجله البكر الكنت انطون دي طرازي

(١) طالع نص هذه الرسالة برمتها في الصفحتين ٤٦ و ٤٧ من كتاب « الحلل
الطرازية في الأسرة الطرازية » .

الذي زارني في باريس عام ١٨٨٩ اثناء معرضها العام . واذ لم يكن ضليعاً باللغة الانكليزية طلب مني ان ارافقه الى لندن فجاريتيه . ثم لجّ عليّ بالذهاب معه الى الاستانة فانقدت لطلبه . وصار ذلك باعثاً على طلب السلطان عبد الحميد الثاني لادخل في خدمته بصفة كاتب خاص ومستشار سياسي »

وفي السنة ١٨٥٨ اراد البطريرك مار اغناطيوس انطون الاول ان ينصب القس افرام كرش مرش اسقفاً على بيروت . ولا ندري البواث التي دعت به بعد ذلك الى الاحجام عن هذا التدبير . وقد اشار الخوري ميخائيل ازرق رئيس دير الشرفة الى هذا التعيين في رسالة كتبها بتاريخ ٨ ايار ١٨٥٨ الى آل طرّازي قال :

« . . . ان القس يوسف سكر يخبرنا ان غبطته معتمد على سيامة اربعة اساقفة . فالثلاثة هم الذين اخبرناكم عنهم حين كنا بطرفكم والرابع هو القس افرام من ابرشية ماردين سيجعله اسقفاً على بيروت . ولا ريب ان اقامته تكون بدير الشرفة وكيلاً لغبطته على الدير المذكور ودير ماري افرام . نسأله تعالى ان يجعله اسقفاً غيوراً على خلاص الرعيّة وتاجراً اميناً بالوزنة الانجيليّة يشمر اثماراً صالحة . . . وينمي الطائفة بالخيرات الروحية والزمنية . ثم انه على ما يبين لي ان غبطته لا بدّ قبل رسامة الاب المذكور يخبركم عن ذلك قانونياً ولياقةً . . . »

ولبت آل طرّازي يواصلون اهتمامهم بكل وسيلة ناجعة لضمّ شتات ابناء الملة السريانيّة في بيروت وجمع شملها وتعزيز مقامها بين الملل الاخرى . فكانوا لا يضنون بشيء من المال والنفوذ في سبيل الوصول الى هذا الهدف المشكور . وقد قرّط الرؤساء حميتهم هذه قولاً وكتابةً في آونة مختلفة . واليك ما كتبه اليهم البطريرك اغناطيوس انطون الاول بهذا المعنى من ماردين في ٢٣ تموز ١٨٦٣ . قال : « ولقد مدحنا غيرتكم وهمتكم في تجميع اولاد طائفتنا المتبددة . نسأل الله ان لا يضيع اجرکم . . . »

وكان آل طرازي يتوقون شديد التوق الى رؤية كنيسة لمتهم في بيروت يحضرون فيها الاحتفالات الدينية حسب طقسهم السرياني . وقد طال ما راسلوا في هذا الصدد بطاركة الملة واستنهبوا همهم ليجيئوا الى طلبتهم ويحققوا نيتهم هذه الصالحة . وحدث في تلك الاثناء ان الآباء الكبوشيين عقدوا النية على ابتناء دير جديد لرهبانيتهم جنوبي باب ادريس ببيروت بدلاً من ديرهم القديم الذي كان واقعاً في محلة « باب الدركاه » . فجرت المفاوضة اذ ذاك بين رئيسهم الاب زكريا فنشويولي وبين آل طرازي لاجل مشترى الدير القديم مع كنيسة وحديقته وسائر مشتملاته ببلغ ثلاثة آلاف ليرة عثمانية ذهبية . فعرض آل طرازي هذا الامر على السيد ديونوسيوس جرجس شلحت رئيس اساقفة حلب الذي كان في ذاك العهد نائباً رسولياً اثناء فراغ الكرسي البطريركي . فأجابهم النائب المشار اليه بتاريخ ٢٨ شباط ١٨٦٥ بما نصه :

« . . . نجيب ثانياً بخصوص مشترى كنيسة الآباء الكبوشيين مع جزء من الجنيحة برسم محل الصلاة للطائفة عموماً في بيروت وتخصيصكم باقي الدير لحسابكم الخاص فقد مدحنا هذا الرأي . وان شاء الله بعد ان يصل حضرة القس حنا معمارباشي لطرفكم نتخاير معه ومعكم بهذا الشأن . . . » وقبل اجراء المعاملات الرسمية لانتقال هذا الدير الى آل طرازي والطائفة السريانية طرأت صعوبات حالت دون المشتري . لان الباب العالي تأخر كثيراً في منح الآباء الكبوشيين فرماناً سلطانياً يؤذن ببناء ديرهم الجديد . فكان ذلك التأخر باعثاً لالغاء العقد وإبطال مشترى الدير المشار اليه .

ولما التأم مجمع الانتخاب البطريركي عام ١٨٦٦ في حلب رفع اليه سريان بيروت عريضة يطلبون فيها ان يكون تديبرهم منوطاً برئيس اساقفة حلب . وصرحوا بما حملهم على ذلك الطلب وهو ينحصر في ثلاثة امور : أولاً لان الفريق الاوفر منهم يمت الى اصل حلي . ثانياً لان مدينة ماردين

مركز الكرسي البطريكي تفصلها مسافة عظيمة عن بيروت فيتعذر بسببها على البطريك زيارة هذه الابوشية كلما دعت الضرورة الى ذلك . ثالثاً لان سريان بيروت وهم قليلو العدد لا تتوفر لديهم الوسائل الكافية للنهوض بأود مطران خاص بهم .

فبعد ما اطلع آبا . هذا المجمع على العريضة المشار اليها ودرسوها ملياً استصوبوا ان تكون سياسة ابرشية بيروت تابعة لرئيس اساقفة حلب ودونوا ذلك في اعمال مجمعهم . ثم رفع البيروتيون عرائض شتى في هذا المعنى الى بطريركهم مار اغناطيوس فيلبس الاول والى رئيس مجمع انتشار الايمان في رومية يلتمسون فيها تأييد قرار مجمع الشرفة . وقد رأينا نص تلك العرائض والرسائل المنوطة بها محفوظاً في خزان آل طرّازي .

وعلى اثر ذلك خطر ببال السيد غريغوريوس يعقوب حلياني مطران دمشق ان يضم ابرشية بيروت الى ابرشيته متعهداً ببناء كنيسة فيها والقيام بجميع حاجاتها . وحجته في ذلك حق الشفعة لسبيين : اولاً لان بيروت الى دمشق اقرب منها الى حلب . ثانياً لان بيروت ودمشق واقعتان ضمن ولاية واحدة اي ولاية سورية بعكس حلب التي لها ولايتها الخاصة . يتبين ذلك من رسالة لمطران دمشق المشار اليه مؤرخة في ٩ تشرين الثاني ١٨٧٠ ومن رسائل اخرى موفدة الى ارخندس السريان في بيروت .

اطلع آل طرّازي على هذا الخلاف الذي نشب بين مطراني حلب ودمشق وشعروا ان بطريك الملة يؤيد نظرية مطران دمشق^(١) . فقرروا حين ذاك الغاء فكرتهم في ضم بيروت الى حلب وآثروا استقلال ابرشيتهم متشبثين بالبقاء تحت رعاية الكرسي البطريكي . فما كان من رئيس احبار الملة مار اغناطيوس فيلبس الاول الا ان اثنى على سداد رأيهم ووثق تعلقهم

(١) طالع رسالة السيد ديونوسيوس جرجس شلحت مطران حلب في ٢٨ شباط ١٨٦٧ ورسالتين للسيد اثناسيوس رافائيل جرخي اوفد الاولى في ١٦ شباط ١٨٦٧ من بغداد وسيّر الثانية من رومية في ١ كانون الاول ١٨٦٩ الى آل طرّازي

به واخذ يبذل عنايته الخاصة في تدبير شؤونهم . تؤيد ذلك رسالته التي انفذها من ماردين الى الكنت نصر الله دي طرازي بتاريخ ١٧ كانون الاول ١٨٦٨ ووقعها بامضائه . وامضاها ايضاً القاصد الرسولي في ما بين النهرين السيد نقولا كستلس والسيد اثناسيوس رافائيل جرخي رئيس اساقفة بغداد . واليك نصّها :

« نعلم جنابكم بانه قد ترتبت جمعية من المدونة اسماؤهم هنا بأمر المجمع المقدس المثبت من قداسة سيدنا الحبر الاعظم لاجل الفحص عن تركة البطريرك اغناطيوس انطون سمحيري وعن احتياجات جميع ابرشيات الطائفة السريانية وكنائسها . بناء على ذلك وبما انكم متقدمو ابرشية بيروت المحبوبة لدينا فقد وجهنا الحاظنا نحوكم لكي تعلمونا بالتفصيل ما هي احتياجات ابرشية بيروت سواء كان من جهة الكنيسة ام من جهة رعاية النفوس وخدمتها بالنوع الذي يقتضي لنجاح تلك الابشية . . . وزوم ان تشرحوا كل شيء بالتفصيل . . . »

ثم كتب البطريرك والقاصد الرسولي المشار اليها بتاريخ ٢٤ نيسان ١٨٦٩ الى الكنت نصر الله دي طرازي عينه ما نصه : « تداولنا في هذا الامر . ولجل بعض الملاحظات ارتضينا بما ارتأيتم وحوّلنا القضية لذمتكم لثقتنا بتقواكم . لان حضرتكم اخبر منا في ذلك . ونحن خوفاً من الوقوع تحت المسؤولية امام الله قد تمّ رأينا ان نحول المادّة لحقانيتكم وذمتكم . ومهما حكمتكم به فنحن راضون به من دون مراجعة لزيادة ثقتنا وامانتنا بذمتكم . . . »

يتضح اذا ممّا سبق بيانه ان الملة السريانية في بيروت كانت مجسّمة في آل طرازي الذين كانوا المرجع الوحيد والعماد المتين لرؤسائها في جميع الشؤون . وعليهم كان يعول البطارقة في المصالح المهمة . يؤيد ذلك

• ثات من الرسائل محفوظة بكل حرص في خزائن هذه الاسرة المباركة .
 اذّا بكل حقّ وبكل صواب وبكل امان نستطيع ان ننادي باعلى
 صوتنا على رؤوس الاشهاد ونقول القول الفصل بدون ادنى محاباة : ان
 الفضل بل كل الفضل في تكوين ابرشية بيروت السريانية لا يعود الا الى
 آل طرازي وحدهم دون سواهم . فمن انكر هذه الحقيقة الراهنة التي
 يعترف بها الرئيس والمروّس والقاصي والداني لا يُعدّ الا مكابراً او جاهلاً
 او متجاهلاً .

الفصل الثالث

آل طرازي وبناء كنيسة بيروت وقلايته

افرغ بنو طرازي كل جهدٍ وجدّ في ابتناء كنيسة مار جرجس
 السريانية ببيروت . وكانت زوجة المقدسي انطون السيدة كاترين بنت
 يوسف خوّام^١ المشهورة بتقواها تتنفس الصعداء مبتهلة الى الله تعالى مراراً
 ليمنّ عليها ان تشاهد بامّ عينها قبل وفاتها كنيسة السريان تمارس فيها
 فروضها الدينية . وقد استجاب عزّ وجلّ طلبتها المقدسة وانعم عليها بان
 تحضر بنفسها احتفال البطريرك بوضع الحجر الاول في أساس تلك الكنيسة
 في ٢٥ آذار ١٨٧٨ . وعربوناً لشديد ابتهاجها بذلك الاحتفال تزعّت من
 فورها خاتمتها الثمين ودفعته الى السيد البطريرك ليضمّ ثمنه الى المبالغ التي
 جمعت لبناء الكنيسة . ومنذ ذاك التاريخ الى حين وفاتها في ٦ آذار ١٨٧٩

(١) كان للسيدة كاترينا خوّام زوجة انطون طرازي ثلاثة اخوة انتظموا في سلك
 الرهبانية الباسيلية للروم الملكيين قبل انقسام تلك الرهبانية الى بلدية وحلبية .

كانت تردّد مع شمعون الشيخ : « الآن يا سيّد أطلق عبدك حسب قولك بسلام لان عينيّ قد ابصرتا خلاصك » (لوقا ٢: ٢٩ و ٣٠) .

اما نجلها الكنت نصرالله فكان من نيّته ان يبتني تلك الكنيسة بنفقته الخاصة . يتضح ذلك من المكاتيب الشتي التي تبودلت في هذا الشأن بين البطريرك الانطاكي وبينه . بيد ان السيد البطريرك ثبّطه عن انجاز مقصده الحميد رغبة ان يشترك جميع ابناء الابرشية البيروتية في هذا الصنع المبرور احرازاً للشباب في الدارين . وبهذه الوسيلة المقدسة تغلب السيد البطريرك على فكرة الكنت نصرالله مقنعاً اياه بالعدول عن رأيه . فآخذ من ثم الكبير والصغير والغني والفقير يشتركون في هذا العمل المقدس كما اعلن حقيقة ذلك الاب افرام ابيض في خطاب ألقاه صباح الاحد ١١ تشرين الثاني ١٨٨٣ لدى احتفاله بالقدس الاول اذ قال ما ملخصه :

« قد شملكم السرور ايها الاحباء يا ابناء الطائفة السريانية الاعزاء . اذ شاهدتم بآبصاركم ثمة اتعابكم أثناء خمس سنوات ... فقد فزتم بمراى معبد جديد شيّد لله تعالى في بيروت على اسم مار جرجس الشهيد ... اني اشكر جميع الذين اعتنوا ببناء بيت الله هذا وساعدوه بيد سخية ... واخص بالذكر السراة الغيرة الافاضل نصرالله طرازي وانجاله ، ورزق الله شقال وميخائيل موصلي ... واشكر الفاضل ميخائيل اليان سركيس العامل الادبي . ثم اشكر اخوتنا الاكارم الروم الملكيين والموارنة واللاتين والارمن ... » .

أخذ اذاً المحسنون في ذلك الحين يتسابقون فيكتبون بما جادت به اريحيتهم . وكان الكنت نصرالله دي طرازي وشقيقاه نعمة الله وفتح الله في طليعة الذين اكتبوا بسخاء في هذا المشروع الجليل . على ان نجلته السيدة ادما شامت وهي لم تتجاوز يومئذ ثمانية عشر ربيعاً ان تسبق الجميع في مساعدة هذا المشروع المبرور فتبرّعت من جيبها الخاص بقيمة بناء اساسات الكنيسة تمجيداً لله تعالى واحرازاً للاجر السهاوي .



كاترين زوجة المقدسي انطون طرازي

١٨٧٩ — ١٨٠٠

غير انه ما كاد يرتفع البناء ويصل الى منتصفه حتى نفدت النقود المجموعة بتمامها . فاقترح شيخ الطائفة الكنت نصرالله انشاء يانصيب خيري يُرصد ريعه لانجاز العمارة . وقرّ الرأي على ان يكون مجموع اوراق ذلك اليانصيب خمسة آلاف ورقة قيمة كل منها خمسة فرنكات ذهبية . واخذ الكنت نصرالله والكننتس مئة زوجته وانجالها على عهدتهم توزيع الاوراق على أصحابهم وأصدقائهم . وصرفوا في ذلك المشروع همه لا تعرف الكلال حتى فازوا بالضالة المنشودة .

ومن جملة الذين اشتركوا على يدهم في هذا اليانصيب الخيري نذكر خصوصاً : السيّد غريغوريوس الاول بطريرك الروم الكاثوليك . والسيّد لودوفيك بيا في القاصد الرسولي . ورستم باشا متصرف جبل لبنان . ونسيب باشا جنبلط كبير اعيان الطائفة الدرزية . واصحاب المروءة والشهامة بشاره الحوري ونخله مسعد وجيب دوماني وبشاره هاني وارملة متى فرح واسكندر سرسق وجرجس تويني وسأوم بسّول والكننت دي برتوي في بيروت . ثم فرج الله موصلي وقسطنطين كحيل في القاهرة . وجبرائيل مخّلع ويوسف نصر والكننت دي زغيب وفيليب بولاد في الاسكندرية . وسليم نصرالله خوري في حيفا . وجبران سعد في عكا . وانطون تيان وبطرس روك في يافا . والمركيز جورج صعب في منشستر . وسليم دي بستر في لندن وشكرالله حمصي وفرنسيس ضاهر في مرسيليا . والكننت رشيد الدحداح في باريس . واسرة المركيز غنطوس كبه في ليفورنو . والقس رافائيل ابن المركيز فتح الله بن شكرالله جروة في البندقية . وفيليب افندي مؤسس جريدة « طريق » الشهيرة في الاستانة .

فان كلّاً من هؤلاء الافاضل جاد بمبلغ خمسين ورقة اعني باثنين وخمسين فرنكاً ذهباً . ولما نجز المشروع وسُجبت اوراق اليانصيب تبرّع اصحاب النمر الراجعة على الكنيسة بما رجوه من اموال اليانصيب فاضافوا بذلك مبرة جديدة الى مبرّاتهم . نستغني منهم قسّاً سريانياً اصابته ورقة بمبلغ مائة فرنك ذهباً

فقبضها لحسابه الخاص :

وكان آل طرازي يراقبون بناء الكنيسة بانفسهم ويسهرون على اتقان العمل حتى يأتي كل شيء مطابقاً للفن . فلما بلغ مسمعي البابا لاون الثالث عشر ما قام به خصوصاً والدھم الكنت نصرالله من المساعي المشكورة في سبيل بناء هذه الكنيسة وملحقاتها أبى قداسته ألا ان يبدي له عاطفة الرضى والاستحسان . فاهدى اليه بتاريخ ٢٠ شباط ١٨٨٠ « وسام القديس ساوسترس » مكافأةً على اتعابه ومبراته وتنشيطاً لغيره على اقتفاء حميد آثاره .

وقد عرف ابو الطائفة المغبوط مار اغناطيوس جرجس الخامس لآل طرازي مكارمهم الجمة وجهودهم المتواصلة في سبيل كنيسة بيروت فكتب الى الكنت نصرالله بتاريخ ١ كانون الاول ١٨٨٤ اعني على اثر الاحتفال باقداس الاول ما نصه : « . . . هل نصمت ايها الابن العزيز عن امتداح المساعي الحسنة المقترنة بالتوفيقات العلوية المبذولة من بنوتكم خاصة . . . في انشاء بيت الرب هذا ؟ فليجزل اكرم الثواب تعالى في الدارين . . . »

فكل ما اثبتناه في هذا الفصل عن اهتمام آل طرازي بكنيسة ملتهم يصدق ايضاً على دار القلاية المجاورة لها . فانهم بالاشتراك مع النائب البطريركي السيد ثنوفيلس انطون قندلفت بذلوا مساعيهم لانجاز بناء الطبقة الاولى . ولدى الاحتفال بافتتاحها رسمياً في ٢ شباط ١٨٩٣ كلّفوا نيافة القاصد الرسولي السيد غودنسيو بنفيلي ومطارنة بيروت وبعض الاعيان ان يتناولوا طعام الغذاء على مائدة النائب المشار اليه . وفي ٨ كانون الاول ١٨٩٦ نجز بناء الطبقة الثانية فاستقل النائب البطريركي بسكنائها وخصّص الطبقة الاولى بسكنى الكهنة .

وما كاد يتم بناء القلاية حتى انتبه الفيكنت فيليب دي طرازي الى ان الاساس الذي شيدت عليه لا يتجاوز عمقه الاربعين سنتمتراً . وقد كان

ذلك الاساس لدى بنائه خاصاً بسور (تصوينة) باحة الكنيسة . ومن المعلوم ان عمق اربعين سنتمراً لم يكُ كافياً لحمل اثقال بناية ذات طبقتين . ولما كان الصخر في تلك المحلة لا يقل عمقه عن خمسة امتار خشي الفيكنت ان يفاجئ القلاية طارئاً يقوضها ويحرق وراءه ضحايا بشرية . فدفعته الغيرة الى استدراك الخطر قبل حدوثه واستدعى مهندساً بارعاً وبنائين ذوي خبرة وباحثهم في هذا الشأن . فقرر رأيهم قاطبةً على تشييد اساس متين يحيط بالقلاية ويدعمها حتى تكون في امان من كل خطر . وقد ادى الفيكنت جميع النفقات التي تطلبها هذا الاصلاح فاطمأنت الخواطر منذ ذاك الحين ولم يحدث والحمد لله في العمارة ادنى خلل .

ولما ألفت بلدية بيروت سنة ١٩٢٢ لجنة لوضع اسماء شوارع هذه المدينة عينت الفيكنت فيليب عضواً فيها . فانتهاز هذه الفرصة واقترح على اللجنة ان يُسمّى الشارع الواقع جنوبي القلاية المار ذكرها باسم « شارع البطريكية السريانية » . فوافقت اللجنة على هذا الاقتراح وأيده المجلس البلدي .

الفصل الرابع

آل طرّازي وتزيين كنيسة بيروت الكاتدرائية

ما كادت تنجز عمارة كنيسة بيروت على ما وصفنا حتى نهض آل طرّازي يسعون السعي الحثيث بأموالهم واتعابهم في تزيينها كما يابق بيت الله تعالى . فصرفت أهمهم الكونتس منة اطيب الجهود في تجهيز الاقشة لمذابجها وتطريز أغطيتهما . وراحت تهني مع بناتها الحلل لكهنتها والالبسة لشماستها . ولم تقتصر على اعداد ما يلزم الكنيسة من الاقشة والبذللات الحريرية والبطرشيلات السوداء . لاسبوع الآلام بل اخذت تعدّ كذلك كل ما يلزم الجنائز

كالقمصان والالوشحة وما شاكلها وقد نهضت تلك الكونتس النشيطة هي وبناتها بمشترى الاقمشة وتفصيلها وخياطتها بما لا يوصف من العناية والدراية . واعتادت الحضور الى الكنيسة معهنَّ في كل موسم ليعتنينَ بغسل اغطية المذابح وقمصان الكهنه وأردية الموترلين وكيها المرة بعد المرة . وواصلنَ هذه الخدمة الحميدة نحو الثلاثين سنة بما عُرفنَ به من الغيرة والتفاني في خدمة بيت الرب . وكانت الكنتس متة اذا رأت الكنيسة محتاجة الى شي . من الزينة أقبلت على مشترائه بكرمها المشهور .

والى هذه الكونتس الجليلة يعود الفضل في مشترى مبخرة فضية وشعدانين كبيرين مركزين الى اليوم في عمودي المذبح الكبير . وقد اتحف الكنت نصر الله هذه الكنيسة بصورة زيتية تمثل السيد المسيح في العشاء السري يحيط بها اثنتا عشرة صورة على شكلها تمثل آباءنا الرسل العظام . وفي السنة ١٨٨٣ زين مذبحها اليمين بصورة والدة الله مريم عليها السلام . وأهدى اليها ابنه الكنت انطون قنديلين من الفضة " مع شمعدانين كبيرين بشكل ثريا يركزان في جناحي المذبح الكبير ايام المواسم السيدية . وأهدى اليها الفيكنت سليم صور درب الصليب مرسومة بالزيت وهي من ابداع ما صورته ريشة مصور . وأضاف الى ذلك ستة شمعدانات كبيرة من النحاس الاصفر مع ستة زهور مذهبة تُزين بها درجات المذبح الكبير في المواسم الكبرى . ووقفت السيدة ادما دي طرازي قرينة نخله مسعد قنديل فضة كبيراً سنة ١٨٩٥ .

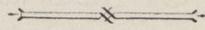
أما الفيكنت فيليب فقد اهدى الى هذه الكنيسة الثريا الكبيرة المعلقة في وسطها وأغلب الثريات الاخرى مع خزائن الموفه التي استصنعها المعلم يوسف النجار على طراز خزائن موفه كنيسة اليسوعيين . ثم ذهب درجات المذابح الثلاثة وبيوت القربان بعد ما وسع على نفقته مذجبي والدة الله والقديس

(١) سُرق هذان القنديلان في ٥ تموز ١٨٩١ مع المبخرة الفضية التي اهدتها الكنتس منة طرازي رحما الله تعالى

افرام الملقان. ووقف للكنيسة ايضاً خزانتيْن راكزتيْن الى جانبي صورة مار جرجس الشهيد لتوضع فيهما النذور والتقدم . ويُشاهد بيدها نذورُ شَتَّى وقفها الاسرة الطرازية .

ولما عزم آل طرازي عام ١٩٠٠ على دهن سقف الكنيسة وجدرانها باللوان الزيتية الجميلة وعلى صنع منبري الاعتراف كانوا في مقدمة المتبرعين على هذا المشروع . اذ انهم جادوا وقتئذٍ بمبلغ اربعين ليرة ذهبية وهو اكثر من نصف المبلغ الذي اُنفق في السبيل المذكور . امّا المبلغ الباقي فقد جُمع من سائر ابناء الملة . وقد عرف لهم البطريرك اغناطيوس افرام الثاني هذه المكرمة فكتب اليهم بخط يده في ١٥ آب ١٩٠٠ يبيدي لهم آيات الشناء الى ان قال :
 « ... نهنتكم بدهن الكنيسة ونحن نعلم كم هي غيرتكم على الطائفة ومجدها وكم هي محبتكم للكنيسة وللعبادات . نسأل الله ان يحفظكم لنا مديداً ويزيدكم جاهاً وفضلاً » .

ومما نذكره لآل طرازي بالامتنان والشناء انهم استنهضوا غيرة بعض ذوي الاحسان من كهنة وعالمين لاجل صنع الصور والقناديل وسائر انواع الزينة التي دُبجت بها جدران هذه البيعة الكاتدرائية ومذابجها .



الفصل الخامس

آل طرازي وجمعية المساعي الخيرية السريانية وأوقافها في بيروت

على أثر الاحتفال بالقدّاس الاول في كنيسة مار جرجس ببيروت رأى اعيان الملة ان يؤسّسوا جمعية خيرية تقوم بمساعدة الفقراء واغاثة الغرباء من ابناء جنسهم . فالتأموا صباح عيد الدنح (الغطاس) ٦ كانون الثاني ١٨٨٤ بعد القداس الالهى في غرفة النائب البطريركي القس افرام أبيض . واقتروا

على ان يكتب ذوو اليسار بمبلغ سنوي يُدفع الى صندوق الجمعية ويُنفق على يدها بالطريقة القانونية . وفي ذلك الاجتماع عُين الكنت نصرالله دي طرازى باتفاق الكلمة والصوت الحيّ رئيساً للجمعية الخيرية لما اشتهر به من الحميّة الطائفيّة وعمل المبرّات . وقد وقفنا على ابيات شعرية نظمها نجله الفيكنت فيليب تاريخاً لتأسيس تلك الجمعية هذا نصّها :

جَمِيعَةُ الْبَرِّ لِلْسَّرِيَانِ أَنْشَأَهَا أَفْضَلُ أَلْفَوْا الْإِحْسَانَ وَالْوَرَعَ
حَنَانُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ غَايَتُهَا اسْعَافُ مَنْ فِي شِقَاءِ الْعَمْرِ قَدْ وَقَعَ
أَجَازَهَا بِطَرِيْقٍ طَابَ عَنَصْرُهُ عَلَى الصَّلَاحِ وَنَفْعِ النَّاسِ قَدْ طُبِعَا
نَالُوا الثَّنَاءَ لِمَا أَبَدُوهُ مِنْ هَمِّهِمْ وَأَحْرَزُوا الْأَجَرَ مَشْفُوعًا بِكُلِّ دُعَا
فَتَلَكْ مَأْرُوثُهُ نَادَى مَوْرُثُهَا يَا حَبْدَا الدِّينِ وَالْدُنْيَا مَتَى اجْتَمَعَا

١٨٨٤

واصل الكنت نصرالله دي طرازى مساعيه الطيبة في تعزيز هذه الجمعية وجاد عليها كل سنة وفي اوقات ممتازة بالعوارف العديدة التي خلّدت له فيها اجمل تذكّار . وراح أعضاؤها يبدون لرئيسهم الجليل عاطفة عرفان الجميل فنصبوا رسمه في قاعة الجمعية عربوناً لشكرهم وتقديرًا لمكارم رئيسهم النبيل . وقد دوّن هذا الكنت الفاضل في صك وصيته الاخيرة مبلغ خمسمائة ليرة ذهبية توزّع بعد وفاته في سبيل المشاريع المبرورة . فقام ابنائه بتنفيذ الوصية لدى انتقاله في ١٠ كانون الاول ١٨٩٥ الى جوار ربّه . ولم يكتفوا بذلك بل اضافوا الى المبلغ الموصى به مبلغاً آخر يضاويه قدراً . ولذا أقامت اديار الملة وبعض ابرشياتها قداساً وجزائراً حافلين عن روح هذا الراحل الكريم اقراراً بحسناته .

ولما استعفى الكنت نصرالله من الرئاسة أنيطت شؤونها بنجله الفيكنت فيليب الذي خدمها الاعوام الطوال بما عُرف به من الحصافة والغيرة والحسكة والسخاء . وخلف فيها كوالده الحميد الذكر آثاراً تذكر فتشكر على توالي الاعصار . وقد طالما رأينا الفقراء والمعوزين يتراکضون

اليه ويطلبون مساعدته . ولسنا نبالغ ان قلنا ان هذا الفيكنت الكريم لم يرد سائلاً ولم يجيب طالباً في كل حياته .

ومن آثار الفيكنت فيليب في هذه الجمعية انه وقف لها في حياته بقعة الارض الملاصقة لمقبرة الملة في راس النبع والتي أطلق عليها بمساعيه بعد ذلك اسم « حارة مار افرام » الملفان . وقد عُرف ذلك رسمياً لدى الحكومة وسُجل في مجلس بلدية بيروت . وكان الفيكنت متولياً على هذه البقعة طبقاً لحجة شرعية مؤرخة في ١١ ذي الحجة ١٣١٥ هجرية . على ان البقعة المذكورة كان وقفها آل طرّازي ورزق الله شقّال وميخائيل . ووصلي^١ في سبيل البرّ . وجعلوا الولاية الشرعية عليها للفيكنت فيليب الموما اليه ولرزق الله شقّال مدة حياتهما . وشرطوا ان يتولّاهما بعد وفاتهما الأرشد فالأرشد من أسرتي طرّازي وشقّال المشار اليهما الى ما شاء الله . بيد ان الفيكنت فيليب بعد ما انفق على الوقف المذكور مبالغ طائلة من جيبه الخاص مدة خمس وثلاثين سنة متوالية . أحبّ عربوناً لشديد غيخته على مصالح ملته وتقانيه في سبيل رقيها الروحي والزمني ان يتنزل برضاه ومل . اختياره عن ولايته هذه الشرعية . وحين ذاك حول الوقف المذكور بصفة رسمية الى جمعية المساعي الخيرية السريانية . وقد كتب في هذا الصدد الى المقام البطريكي بتاريخ ٦ تموز ١٩٣٢ مشيراً الى هذا الامر بقوله :

« ... اوضحتُ لغبطتكم اني توليت ادارة هذا العقار الموقوف معظمه مني ومن اخوتي منذ انشاء المقبرة سنة ١٨٨٥ بموجب حجة شرعية . . . »

(١) بعد ما وقف المرحوم ميخائيل موصلي حصته في هذه البقعة الملاصقة للمقبرة ساءت احواله المالية وخسر ثروته . فأدّى له الفيكنت فيليب قيمة حصته واخذ منه في ذلك وصلاً رسمياً . وبدلاً من ان يسجل الفيكنت تلك الحصّة باسمه أولاً ثم يحوّلها الى وقف أشار على المرحوم ميخائيل المذكور ان يسجلها رأساً باسم الوقف في المحكمة الشرعية اقتصاداً في نفقات الفراغ والانتقال . اما حصص الواقفين لهذه البقعة فكانت تتوزع كما يأتي : عشرة قراريط للفيكنت فيليب وستة قراريط لاختوته انطون وسليم وادوار وثمانية قراريط لرزق الله شقّال . فيكون مجموع الحصص الموقوفة اربعة وعشرين قرراطاً .

وبالحقيقة فان هذا الوقف كان وسيلة بل وسيلة كبرى في اوقات الشدائد والنكبات لايواء ابناء ملتنا المهاجرين الذين طردتهم تركيا من ولاياتها . وما هو اعظم من ذلك فانه كان اقوى ذريعة لاكتساب جمهور من اخوتنا اليعاقبة الذين اتحدوا معنا لانذين بكبرسيكم الانطاكي المقدس . وهم ما برحوا يسكنون في تلك البقعة منذ احدى عشرة سنة بلا اجرة البتة . هكذا تحققت الاماني والامال التي عقدت على انشاء هذا الوقف الذي عاد الآن بالخير والبركة روحياً ومادياً على ملتنا السريانية وفقرائها وواقفها . قلنا احدى عشرة سنة لانه كما تعلمون ايها الخبر المغبوط لو اضطر اخوتنا هولاء المهاجرون ان يتخذ كل منهم غرفة لسكنائه في المدينة اسوة بامثالهم لتعذر عليهم استئجار منزل باقل من ثلاث ليرات سورية شهرياً . فذلولهم في هذه البقعة المعروفة رسمياً لدى الحكومة والمجلس البلدي باسم « حارة مار افرام » قد وفرنا عليهم — وكانوا تسعين عائلة — مبلغاً لا يقل عن خمسة وثلاثين الف ليرة سورية . وهو مبلغ لا يستهان به .

ولدى تنزل الفيكنت فيليب عن ولايته هذه الشرعية تبرع بتاريخ ١٧ تشرين الثاني ١٩٣٢ على الوقف المذكور بمبلغ مائتين وتسع واربعين ليرة عثمانية ذهباً طبقاً لصك رسمي . وقد سبقت الجمعية الخيرية فسجلت له في السنة ١٩٢٦ مكرمة ثانية لا تقل عن الاولى . فانها اثبتت في الصفحة التاسعة عشرة من برنامجها ما تبرع به عليها وقدره ١٢٨٠٧٥٨ غرساً لبنانياً سورياً .

ازاء هذه الحسنات الوافرة المتواترة يشق علينا جداً أن فريقاً من أعضاء جمعية المساعي الخيرية السريانية اعادوا آذانهم عن جبل او عن قلة روية لسفسطات بعض ذوي الاغراض . فتسرعوا الى اتخاذ قرار لا يستند الى أساس راهن وألبسوه غير ثوبه الحقيقي . ولو أنصفوا لدرسوا قضية الوقف المختف عليه درساً مدققاً كما يعلمه العدل ويوحيه الوجدان الطاهر ويتطلبه خير الجمعية التي سلمت اليهم أقدارها . بل كان الاجدر بهم ان يقابلوا

صنيع الواقف الكريم ونيته الصالحة وسعيه المشكور بالثناء والدعاء .
 وناهيك ان الفيكنت فيليب لم يقف عند هذا الحد من الاجتهاد والجد .
 بل دَفَعَتْهُ غَيْرَتُهُ الى ان ينهض عام ١٩٢٥ نهضة البطل في جمع الاموال
 الوفيرة من سخاء رجالات الخير والاحسان في بيروت والقاهرة والاسكندرية
 وبغداد والبصرة واوربة واميركة . وخصّص ذلك لمشتري بقعة ارض جديدة
 تضم ابناء الملة الذين طردتهم تركية من بلادها منذ السنة ١٩٢١ وأقبلوا
 الى بيروت واستوطنوها . فقصد الفيكنت النشيط القطر المصري مسافراً على
 نفقته الخاصة وجمع هناك مبلغاً من المال لهذه الغاية . ثم راسل باسمه اصدقاءه
 في المدن المذكورة وما عثم ان وردته الاجوبة بالثناء والاجابة الى طلبته .
 وبعد هذا فاوض الفيكنت فيليب صديقه الخواجا موصلي واطلعه على
 مساعيه المذكورة . ثم سألته ان يحولا معاً في بيروت ويقصدا بيوتات التجارة
 والمصارف المالية ويستنديا اكف المحسنين لنجاح هذا المشروع . فحَبَذَ
 الخواجا نجيب فكرة صديقه وطافا كلاهما وجعا في مدة وجيزة المبالغ المالية
 الكافية لمشتري بقعة الارض الواقعة جنوبي مستشفى « اوتيل ديو » البالغة
 مساحتها ثلاثة عشر الف ذراع مربع . ويحيط بهذه البقعة الجميلة الموقع
 والفسيجة الارجاء اربع طرق من جهاتها الاربع . وهي تشتمل على أغراس
 ليمون وعلى ناعورة غزيرة المياه يستقي منها جميع سكان تلك الناحية .
 وبعد ما تم مشتري البقعة المذكورة اخذ الفيكنت وحده يسعى في تنظيمها
 وتسويتها وتعميرها . وجمع فيها اكثر من مائة عائلة سريانية فقيرة كانت
 مشتتة في اكثر انحاء المدينة . وخصّص بكل منها بيتاً تسكنه دون اجرة .
 واصطنع عند هولا الفقراء البائسين ما سبق فاصطنعه عند اخوانهم الذين
 أسكنهم في « حارة مار افرام » على ما ذكرنا .

وكان الفيكنت فيليب يتفقدهم كل يوم صباحاً ومساءً ويسأل عن
 أحوالهم ويبذل لهم الاحسان . وبلغت به شهامته وأريحيته الى ان يستدعي
 شيوخهم الى منزله مراراً لتناول الطعام على مائدته . وكان يستقبلهم بصدر

رحب ويتولى خدمتهم بنفسه ويبدل لهم النصائح ليجتذب قلوبهم ويوطد لهم في المبادئ القوية . و اضاف الى ذلك كله انه كان يشترك في افراحهم واتراحهم فيحضر عماد الخالهم وأعراس شبانهم وجنائز موتاهم . وسعى ايضاً في ايجاد مصالح يرتقون بها ويتكسبون معيشتهم ليعدلوا عن التسول في الشوارع . على ان الفيكنت الغيور قام بذلك كله بهمة شريفة لم نعهدها حتى الآن باحد ابناء الملة على الاطلاق .

من ذلك كله يتضح جلياً اكل ذي بصيرة وبصر أن جمعية المساعي الخيرية لم تكن لها علاقة اصلاً بانشاء هذه الاوقاف والمشاريع التي قام بها آل طرّازي ولا سيما سليلهم الفيكنت فيليب .

وفي هذا المقام لا نرى بدءاً من التنويه بان الجمعية الخيرية السريانية كان قد انفرط عقدها اثناء الحرب العظمى لدواعٍ شتى . اما الفيكنت فيليب فانه أبى الا ان يأخذ على عهده في تلك الاوقات العصيبة اغاثة فقراء ملته ومساعدة غيرهم من منكوبي سائر الملل والمذاهب . فأحرز ثناء الجميع حتى ان جريدة « المقتبس » الدمشقية لمؤسسها السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي كتبت في عددها ٢٥٠٢ الصادر بتاريخ ١١ كانون الثاني ١٩١٨ في مقالة عنوانها « المحسنون » ما نصه :

« . . . وكالفيكنت فيليب دي طرّازي في بيروت الذي لم يدع ستاراً في بيته الا وخاطه ألبسة المحتاجين . وهو قد جعل ديدنه صباح مساء ان يوزع الخبز والطحين على معسري بلده » .

وعرفانا لمبرات هذا الشهم الكريم في ايام الحرب الكبرى قرّطه ايضاً كثير من الرؤساء والشعراء فنفعوه بالرسائل البليغة والقصائد الرنانة . كاللغوي العلامة الشيخ عبدالله البستاني والصحافي الشهير طانيوس عبده والاستاذين الياس بهنا وحنا زهيا وغيرهم من حملة الاقلام . واليك ابياتاً من قصيدة نظمها فتح الله بك خياط السرياني وارسلها اليه من الاستانة قال :

يا مَنْ غدا حِرْزي الحريزَ وعوذتي من فتنة الدنيا ومن عدوانها

ما انتَ للاوطان ألا قطبها ورسول بعثتها ورفعته شأنها
 إن رمتُ احصاء الرجال بربعها ما كنتَ إلا العينَ من اعيانها
 أوليتَ بيروتَ النصيرة بهجةً منّتَ بها عطفاً على لبنانها
 اني لاشكر من جميلك أنعماً قد نلتها حاشاي من نكرانها
 كم من يد لك في السخط ومنحةٍ تستغرق العافين في طوفانها
 تلك اليد البيضاء ما شمتنا يداً لا في سماحتها ولا إحسانها
 نُشرتْ لنعمك الصعائف في الوري فقرأتُ سطر الحمد من عنوانها
 فاسلم وُدْمُ سوراً لسوريا وسُدْ ما دامت الدنيا على أركانها
 ونُحِمْ هذا الفصل بذكر مآثرة جلييلة للفيكنت فيليب المشار اليه .
 وهي انه جرّد همته لانشاء محلة يأوي اليها العمال من ابناء الطائفة الذين
 تساعدهم احوالهم المالية على تعمير بيوت اسكناهم توفيراً لراحتهم وضماناً
 لمستقبلهم . وقد عالج هذه الفكرة زماناً وعجمها حتى وقع اختياره على
 الاراضي الواقعة شرقي « اوتيل ديو » والقريبة من سائر اوقاف الجمعية
 الخيرية ومن الصرح البطريكي السرياني . ثم قصد السيد البطريك وفاوضه
 في الامر . فأعجب صاحب الغبطة بهذا الرأي المصيب وأثنى على الفيكنت
 الذجيبي^١ واشترى البقعة المذكورة التي أصبحت مسكناً لعددٍ غير يسير من
 ابناء الملة . وما يرح هولاء جميعاً يطلقون الاسنة بالادعية الحميمة لمن
 اصطنع عندهم هذا الصنع الجميل .

والخلاصة ان الفيكنت فيليب دي طرّازي صرف اقواله واعماله
 وامواله في تعزيز كنيسة بيروت وجمعيتها الخيرية منذ نشأتها حتى اليوم . ولم
 يرضَ عليها بكتاباتهِ ومساغيهِ وبنات افكارهِ ايضاً . بل نشر المقالات وألف
 التواريخ واللقى الخطب ونظم القصائد ورتب الحفلات وسهر الليالي وعانى
 الاسفار حباً لرقى ملته واعلاء شأنها في هذه الديار .

(١) يؤيد ذلك رقيم بطريكي انفذه صاحب الغبطة مار اغناطيوس جبرائيل الاول
 من حلب بتاريخ ٩ نيسان ١٩٣٠ الى الفيكنت فيليب دي طرّازي في بيروت .

الفصل السادس

آل طرّازي والمقبرة السريانية في بيروت

كما ان السريان لم يكن لهم كنيسة في بيروت يؤدّون فيها فروضهم الدينية كانوا ايضاً لا يملكون مقبرة لدفن موتاهم . وكان الآباء الكبوشيون يرخصون لهم ان يدفنوا امواتهم في مقبرة اللاتين بشرط ان لا يبنوا فوق مدافنهم اضرحة حجرية كاضرحة اموات الملة اللاتينية . وكان آل طرّازي يؤدّون للآباء الكبوشيتين بدلاً من ذلك مبلغاً من المال سنوياً اعراباً عن معرفة الجميل كما يتضح ذلك من الوصولات المحفوظة حتى الآن وهي موقعة بخط يد رئيس الكبوشيين ومذيلة بختم ديرهم .

وما كاد يشيّد السريان كنيستهم الكاتدرائية عام ١٨٨٣ حتى وافى الاب الكبوشي اندراوس الكبير^١ لزيارة الكنت نصرالله دي طرّازي في منزله . وبعد التحيات والمجاملات المألوفة أبلغه أن مقبرة اللاتين اصبحت ضيقة عن استيعاب موتى هذه الملة فضلاً عن اموات غيرها من الملل ثم رغب اليه ان يسعى في مشترى مقبرة خاصة بالملة السريانية التي كانت تنمو في ذاك العهد نمواً محسوساً . فقابلته الكنت على ذلك بالشكر ووعدته بصرف الجهود التامة لاجابة رغائبه ورفع الثقل عن الملة اللاتينية .

وعلى اثر تلك الزيارة قرّر الكنت طرّازي وجوب استقلال السريان بمقبرتهم مثلما استقلوا بكنيستهم . فاستدعى حالاً السمسار نقولا بن جرجس بن مرعب الشنتيري وفوض اليه ان يشتري من مشايخ آل بليل بستاناً واقعاً على

(١) كان في دير الآباء الكوشيين ببيروت راهبان يدعيان باسم واحد وهما : الاب اندراوس الكبير والاب اندراوس الصغير . وسبب تلقيهما بالكبير والصغير تميزاً لاحدهما عن الآخر هو ان اولهما كان طويل القامة سمين البدن بعكس ثانيهما الذي كان قصير القامة نحيف الجسم .

طريق الشام جنوبي مقابر اليهود والبروتستانت . ولم تنقُص ثلاثة ايام على ذلك حتى جرت رسمياً معاملات البيع والشراء . وتمت في المحكمة الشرعية بتاريخ ٦ جمادى الاولى ١٣٠٠ هجرية (١٥ اذار ١٨٨٣ ميلادية) . وتبرع بدفع الثمن مثلاًة كل من آل طرازي وشثال وموصلي . ومن شاء زيادة ايضاح عن تاريخ مشترى هذا البستان وكيفية تحويله الى وقف مؤبد من وليه الشرعي الفيكنت فيليب دي طرازي الى « جمعية المساعي الخيرية السريانية » عليه ان يراجع ما كتبناه بهذا الشأن في الفصل السابق .

وبعد مشترى البستان طرأت مصاعب حمة حالت دون إحداث مقبرة جديدة للسريان في بيروت . فأخذ آل طرازي يعالجون هذه القضية بالفظنة والنشاط والصبر حتى فازوا برغبتهم . على ان القرار في احداث مقبرة جديدة كان يعود الى مرجعين رسميين : أولاً الى محكمة الاستئناف وعلى رأسها القاضي العادل اسمعيل رامز بك نائب الشرع الشريف . ثانياً الى مجلس بلدية بيروت وعلى رأسه الحاج محي الدين حماده ابن السيد الشهير عبد الفتاح حماده . وكان الرئيسان كلاهما من اعز اصدقاء آل طرازي لا يتقاعسان عن تسهيل مصالحهم . فعرض آل طرازي عليها مشكلة المقبرة المشار اليها وطلبوا اليها بالحاج ان يملأها بطريقة لا ينجم عنها اجحاف بملتهم . فاعز اليهم الرئيسان ان يتربص السريان عن دفن موتاهم بصورة علنية في البستان برهة من الزمان . واثارا ان يُدفن فيه عددٌ وافرٌ من الفقراء سرّاً تحت جناح الليل . وقررا انه حينما يتم ذلك يبادر آل طرازي الى الحكومة طالبين اليها ان تستعرف تلك المقبرة القديمة العهد رسمياً وترخص في تسويرها حرمةً للموتى وصيانةً للصحة العمومية .

فاستحسن آل طرازي رأي القاضي ورئيس البلدية ونقذوه بتمامه . غير انه تعذر عليهم ايجاد عددٍ وافرٍ من الموتى الفقراء في ملتهم السريانية التي كانت صغيرة في ذلك العهد بالنسبة الى سائر الملل . اذ لم يكن يتجاوز عدد موتاهم الفقراء ثلاثة او اربعة انفار في السنة . فلجأوا اذ ذاك الى

وسيلة اخرى لبلوغ امنيتهم باسرع ما يكون من الزمان . وهي انهم فاوضوا في هذا الامر كاهناً مارونياً يسمّى الحوري جبرائيل ملحمه^١ الذي كان مؤسساً ومرشداً لجمعية دفن الموتى المارونية . ثم اتفقوا معه على ان ينقل الى المقبرة السريانية جميع الموتى الفقراء والغرباء من ابناء الملة المارونية . وتكفلوا له بتأدية جميع ما ينفق في هذا السبيل من جيهم الخاص . فقام الحوري جبرائيل بهذه المهمة خير قيام ودفن في المقبرة السريانية اثنين وثمانين فقيراً مارونياً في مدة السنتين ١٨٨٦ و ١٨٨٧ .

وكان الحوري جبرائيل ملحمه يتقاضى اربعة ريالات مجدية أعني ثمانين غرشاً ذهباً عن كل دفنة متكفلاً باجرة الحفارين وحاملي الصليب والتابوت . يُضاف الى ذلك ربع ريال مجيدي اجرة سائس للحجار الذي كان يركبه هو نظراً لشيخوخته وهو راجع من الدفن الى بيته . وكان القوم يمتطون في تلك الايام الحبل والجحاش . ذلك قبل انتشار العربات والسيارات كما هو جارٍ في عهدنا الحاضر .

على ان آل طرازي لما رأوا ان عدد الاموات الذين دُفِنوا في مقبرتهم اصبح كافياً لاستعرافها رسمياً طلبوا من المرجعين المارّ ذكرهما اصدار القرار بذلك فنجحوا في مسعاهم . وبعد حصولهم على القرار من محكمة الاستئناف ومجلس البلدية أيدوه ايضاً في مجلس الادارة عام ١٨٨٨ مديلاً بختم علي باشا والي الولاية .

واول عمل أجراه آل طرازي بعد الفراغ من المعاملات الرسمية انهم

(١) كان هذا الكاهن الجليل يُعرف لدى العامة بالحوري جبرائيل ابي شلحي . وسبب نعته بهذا اللقب ان جده جبور ملحمه كان يُعدّ من ابطال عصره . وكانت جريده دون جريد سائر الفرسان تملّقى فوق قلعة جبيل كما روى لنا احد شيوخ بيروت نقلاً عن لسان أجداده . وكان سيف جبور بئراً يُضرب به المثل حتى صار الفرسان يعبر بعضهم بعضاً بهذه العبارة : « هل سيفك أمضى من سيف ابي شلحي ؟ » ومن ذاك العهد تغلب لقب « ابي شلحي » على جبور وعلى سلالة التي تفردت به دون سائر افراد اسرة ملحمه .

اهتموا بتسوير المقبرة من اطرافها الاربعة . ثم عني احدثهم الفيكنت فيليب بتخطيطها وتنظيم طرقها وغرس اشجارها وجلب المياه اليها كي تكون لائقة بسكانها الراقيين بالرب . وكان يتعهدا يومياً بلا انقطاع وينفق من جيبه للمحافظة عليها . اما بعض الذين أدرجت تراجمهم ورسومهم في « الذكرى الذهبية » وكان هذا الامر من اختصاصاتهم فقل ما اکتثروا للمقبرة سواء . عمرت ام خربت .

وقد نظم الفيكنت فيليب جميع الابيات التاريخية المنقوشة على أرضه المقبرة بلا استثناء ما عدا ضريح اسرته الخاص . فان التاريخين المنقوشين عليه جنوباً وشمالاً هما من نظم العلامة الشيخ ابراهيم الحوراني . وقد اشار هذا الشيخ في ابياته المحفورة في ناحية الضريح الجنوبية الى مبرات الكنت نصر الله والى شعار^(١) آل طرازي وهو : تاج الحكمة مخافة الرب (ابن سيراخ ١ : ٢٢) قال :

يا ساكن الرمس والآثار شاهدة	بكل ما شئت من مجد وإعزاز
قد كنت في الناس ممتازاً بكل على	وانت في فعل خير خير ممتاز
غزوت بالجدود فينا كل نائبة	فليت اكليل نصر ايها الغازي
مخافة الرب تاج الحكمة ارتسمت	في لوح صدرك حرزاً فوق أحواز
فأنشدت ألسن الاقوام خاشعة	على ضريحك تكراراً باليغاز
يا ديمة الرحمة العظمى مؤرخة	أمي ترى الكنت نصر الله طرازي

١٨٩٥

اما ابيات الشيخ الحوراني المنقوشة على الضريح المشار اليه في الناحية الشمالية فهي :

هذا مقام الكنت طرازي الذي في جنة الرضوان أدرك ما قصد
حملته من دار الفناء ملائكة علوية قصدت به عرش الصمد

(١) تيمنت الاسرة الطرازية هذا الشعار منذ القرن الثامن عشر . ثم أيده البابا لاون الثالث عشر عندما منح عميدها نصر الله لقب « كُنت روماني » عام ١٨٩٦

فَالرُّوحُ عِنْدَ اللَّهِ لَكِنْ رَمَسُهُ يُسْقَى بِدَمْعِ الْحَزَنِ مَا طَالَ الْأَمْدُ
فَإِذَا مَرَرْتَ بِهِ فَقِفْ مُتَحَنِّناً وَقُلِ السَّلَامُ عَلَى الَّذِي فِيهِ رَقْدُ
هُنَّتْ نَصْرَ اللَّهِ بِالْصَّرْحِ الَّذِي شَدَّتْهُ لِلنَّفْسِ فِي دَارِ الْأَبْدِ
وَعَلَيْكَ خَيْرُ تَحِيَّةٍ مَا أَرَّخُوا وَعَلَى ضَرْبِكَ رَحْمَةُ الْحَيِّ الْأَحَدِ

١٨٩٥

الفصل السابع

آل طرّازي وأقدم المدارس السريانية في بيروت

تأسست أقدم مدرسة سريانية في بيروت عام ١٨٢١ بهمة السيد كورتس انطون دياربكرلي مطران هذه المدينة . وتعهّد المقدسي انطون طرّازي بدفع اجرة مكانها السنوية تسهيلاً لنجاحها واسعافاً لمنشئها . وكانت تلك المدرسة واقعة في محلة « الكراويا » كما ورد في الصفحة ٤٠٤ من كتاب « السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية » . ويستخلص من الوثائق الخطيّة المصونة لدى آل طرّازي أن سليلهم نصرالله وشقيقه نعمة الله تلقنا فيها مبادئ العلوم . وقد استغرق عمرها عشرين حولاً ولم تقفل ابوابها إلا بوفاة منشئها عام ١٨٤١ .

(١) كانت محلة « الكراويا » تشتمل في ذلك العهد على البقعة الممتدة الآن من شارع الامير بشير شمالاً الى شارع ناصيف اليازجي جنوباً ومن شارع الشام شرقاً الى شارع سوريا غرباً . وهي اول محلة تناولها العمران خارج سور بيروت بعد ما ضاقت المدينة العتيقة عن استيعاب سكّانها . واصبحت محلة « الكراويا » هذه حافلة بمنازل الاعيان لتوفر مياهها دون سائر انحاء بيروت . لان مياه راس النبع كانت متصلة بها فكانت توزع على البيوت والمعابد والحمّامات والسبل العامة الخ . ذلك ما حمل راهبات المحبة وجميع الملل المسيحية وغير المسيحية على تشييد الاديار والكنائس والجوامع في « الكراويا » وفي الاراضي المجاورة لها ضمن السور . ولبت هذه المحلة لا تنازعها محلة اخرى حتى جرت مياه نهر الكلب عام ١٨٧٤ الى بيروت . فكان ذلك من اقوى الدواعي لاتساع نطاق هذه المدينة وانتشار العمران في جميع انحاءها الواقعة خارج السور .

اما المدرسة الثانية فقد أنشأها عام ١٨٥٣ المطران ديونوسيوس يوسف سمنه بتنشيط المقدسي انطون طرازي المشار اليه ومساعدته . فعاشت ستة اعوام فقط كما أيد ذلك صاحب « السلاسل التاريخية » في الصفحة ٢٣٧ . وظلّت مدينة بيروت الى مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر لا تحتوي الا على كتابيب يتلقى فيها صغار الاولاد العلوم الابتدائية . واول من برز في انشاء مدرسة نظاميّة للعلوم العالية واللغات العصرية كان المعلم بطرس البستاني صاحب « المدرسة الوطنية » عام ١٨٦٣ . وفي تلك السنة عينها أنشئت مدرسة « الثلاثة الافار » للغة الارثوذكسية . ثم ابنتى البطريرك غريغوريوس الاول عام ١٨٦٥ مدرسته البطريركية . وفي السنة ١٨٦٦ أسس المراسون الاميريكيون الكلية السورية الانجيليّة التي تعرف اليوم باسم « الجامعة الاميريكية » .

على ان السريان بالرغم من قلة عددهم لم يروا ان يتخلفوا في تلك الحقبة عن سائر الملل في تأسيس مدرسة عصرية تهذيب الناشئة البيروتية . ولا سيما لانه كان يتولى خدمتهم الروحية في ذلك العهد كهنان من اجل كهنة الشرق ثقافة وعلماً وفضلاً : احدهما الخورفسقوس يوحنا معمارباشي كاتم اسرار البطريركين اغناطيوس انطون الاول واغناطيوس فيلبس الاول . والآخر القس لويس صابونجي تلميذ مدرسة بروبندا في رومة صاحب التصانيف المشهورة والمواقف الماثورة . فهذان الابوان بعد ما فاضا كبير اعيان الملة الكنت نصرالله دي طرازي واستطلعا رأيه في هذا الشأن قرّر ثلاثتهم انشاء مدرسة نظاميّة تُعدّ ثلاثة المدارس التي اقامها السريان في بيروت في القرن التاسع عشر . وجعلوا تدريس اللغات العربيّة والسريانيّة والفرنسيّة اجبارياً واللغات اللاتينيّة والايطاليّة والانكليزية والتركيّة اختيارياً .

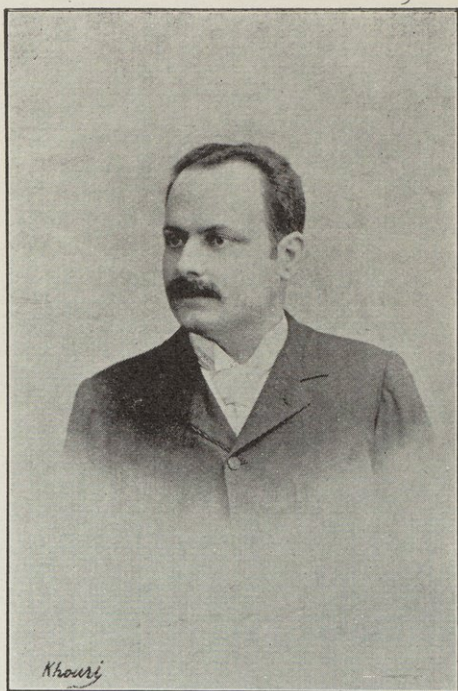
وكان الكنت نصرالله دي طرازي اعظم مساعد لهذين الكاهنين قولاً وعملاً . فانه خصّص بهما على نفقته داراً لسكناهما ومكاناً فسيحاً

للمدرسة مجاوراً لداره في محلة خندق العميق . وراح يحث جميع اصدقائه على ارسال اولادهم لاقتباس المعارف في هذا المكتب الجديد . وقد جرى افتتاحه بتاريخ ١ تشرين الاول ١٨٦٥ والقي القس لويس في قاعته خطاب الترحيب مشفوعاً بقصيدة عصماء من نظمه .

واشتهرت هذه المدرسة لدى الخاص والعام بن تخرج فيها من العلماء والاعيان وحمله الاقلام . نخص منهم بالذكر : الكنت انطون ابن الكنت نصرالله دي طرازي وشقيقه سليم . وانطون بك شجير رئيس شركة مار منصور دي پول الخيرية ورئيس محكمة تجارة بيروت سابقاً . ونجيب بك بولس طراد ترجمان قنصلية ايران سابقاً . وسليم شلفون من قدماء محرري الصحف في بيروت والاسكندرية . ونذكر منهم ايضاً صبحي بك وشوكت بك وحشمت بك انجال كامل باشا متصرف بيروت الذي صار بعد ذلك صدراً اعظم في دار الخلافة العثمانية . وتخرج فيها عددٌ وافر من الطلبة غير من ذكرنا لا يتسع المجال لسرد اسمائهم .

واستمرت علائق الولاء والوفاء غير منفصمة بين الاستاذ صابونجي وطلبته على رغم تشتتهم في مختلف البلدان . فكان يحن اليهم ويراسلهم ويراسلونهُ كما يتضح ذلك من قصيدة نظمها لتلميذه القديم الكنت انطون دي طرازي عام ١٨٩٤ وأرسلها اليه من جزيرة الامراء قال في مطلعها :

والى حماك سعى قريضي وافداً	الشوق مني أم دارك قاصداً
متذكراً ذاك الزمان البائداً	من مشرق البسفور أقرئك الشنا
هيهات ن نظره الينا عائداً	زمن بيروت الفتاة قضيه
من بات في حلك المقابر راقداً	زمن له في مهجتي أسف على
أعتد لهم في المكرّمات فراقداً	زمن عرفت به افاضل بلدة
ألفيت فيها الكلّ شهماً ماجداً	زمن يذكّرني بأسرتك التي
كنت المجلي بينهم والسائد	لا شيء ينسيني تلامذتي الألى



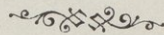
الکنت انطون دي طرازي

١٩٠٠ — ١٨٥٧

أحرزت ناصية الذكا والتبّل بل فيهم سموت فضيلة ومقاصداً
 حققت آمالي فقلبي اليوم من طرب وإسماعٍ غداً متليداً . . .
 وواصلت هذه المدرسة تعليم اللغات والقاء الدروس على طلبتها الكثيرين
 مدة سبعة أعوام . ولم تقفل أبوابها الا عندما باشر القس لويس صابونجي في
 ١٣ آب ١٨٧١ رحلته الشهيرة حول الكرة الارضية . وهو اول رحالة من

آل سام بن نوح أتيح له هذا الطواف فأُنشد فيه الايات الآتية :

اني انطلقتُ أجوب انحاء الورى متفقداً اهلُ البسيطةِ ناقداً
 سافرتُ مغترباً وشهرةً جولتي غتتُ بها أهلُ البلادِ نشانداً
 ما طاف من أبناء سام طائفٌ قبلي ولا مثلي أجاد وشاهداً
 في الخافقين رحلتُ رحلةَ عالمٍ يجلو الغوامض راشداً لا شارداً
 جُبتُ البلاد سهولها وجبالها وبها شهدتُ محافلاً وموائداً
 وطرقتُ أسواق المدائن كلها ما كان منها رائجاً او كاسداً
 قابلتُ من بعض الشعوب ملوكها وحضرت في أقصى الجهات مشاهداً
 جالستُ أقطاب المذاهب باحثاً فعرفتُ أمراراً لهم وعقائداً
 ولذا تجرّيتُ الكتانس جلها فصوامعاً فعباداً فمساجداً
 كيف اتجهتُ من الصباح الى المساء كان الاله مسانداً ومساعداً
 سميتُ في عرف الملا جوالاً جوبةً في كل قطر رائداً
 لما انتهيتُ كتبتُ قصةَ رحلتي فيها نشرتُ من الرسوم قلائداً
 اني بعثتُ بنسخةٍ منها لكي تبقى وقائعها لديك^١ شواهداً



(١) اشار الناظم هنا الى الكنت انطون دي طرازي الذي اليه ارسل هذه النسخة .

الفصل الثامن

آل طرّازي ومجلة «النحلة» والمطبعة السريانية في بيروت

برز القس لويس صابونجي بين علماء عصره بمعرفة أهمّ اللغات الشرقية والغربية . وامتاز باستقلال الفكر وحبّ التجدد وتنشيط الفنون وبعض الاختراعات التي تنطق بذكائه وطول باعه^(١) . وقد اتضح له ان أنجع طريقة بعد المدارس لترقية الشرق هي تعزيز الصحافة التي كانت حين ذاك في اول عهد تكوينها . فانشأ بتاريخ ١١ ايار ١٨٧٠ مجلة «النحلة» التي أحرزت مقاماً رفيعاً في عالم الادب لوفرة أبحاثها وشهرة مؤسسها العلامة .

ولما كان هذا المشروع لا ينفض الا بالمال فقد اعتمد القس لويس على صديقه الكنت نصرالله دي طرّازي في تحقيق أمنيّته . فلبى الكنت رغبته وأمدّه لساعته برأس مال كاف لما عهد فيه من الكفاءة الصحافية والحمية على نشر العلم . على ان مساعدة الكنت المادية لمشىء «النحلة» لم تكن باقل من مساعدته الادبية . فانه بذل الجهود في نشر تلك المجلة بين أعيان البلاد الشرقية وتجارها وأدبائها . وصرف المساعي في ترويجها ايضاً في كثير من أنحاء اوربة بواسطة شقيقه نعمة الله طرّازي في مرسيليا وفتح الله طرّازي في منشستر .

أوجزنا الكلام عن مجلة «النحلة» والآن نتطرق الى ذكر المطبعة السريانية في عاصمة الجمهورية اللبنانية فنقول :

لما ارتقى البطريك مار اغناطيوس افرام الثاني الى السدة الانطاكية سنة ١٨٩٨ وقرّر الإقامة في بيروت أراد ان ينصرف الى نشر المعارف وتعزيز الآداب الآرامية . فرأى ان افضل وسيلة لتحقيق هذه الفكرة هو تأسيس

(١) راجع ترجمته في «تاريخ الصحافة العربية» للفيكت فيليب دي طرازي مجلد ٢ : صفحة ٧١-٨١ وطالع اخبار مجلته «النحلة» في الصفحة ٤٧ الى ٥١ من الكتاب عينه .

مطبعة ينشر فيها المؤلفات العائدة بالفائدة على الملة السريانية . وكان انشاء المطابع في عهد الدولة العثمانية لا يتم الا برخصة رسمية من الباب العالي بعد اجراء المعاملات القانونية في مركز الولاية اولاً ثم في عاصمة السلطنة . فبعد التفكير رأى السيد البطريك الموما اليه ان الرجل الوحيد الذي يستطيع التعويل عليه في تأدية هذه الخدمة العلمية هو الفيكنت فيليب دي طرازي . ذلك نظراً لثقافته العالية ووجهته عند الناس وغيرته على الملة وصداقته مع الحكام . فطلب منه ان يسعى في نيل الامتياز بمطبعة يُطلق عليها اسم « المطبعة السريانية » للغاية الآتفة الذكر .

فما كان من الفيكنت الا أن أجاب بكل رضى الى رغبة السيد البطريك ورفع استدعاء في ١٩ تموز ١٨٩٦ الى وزارة الداخلية يطلب فيه امتيازاً سلطانياً بالمطبعة المذكورة . ولم ينقض الشهران على تقديم هذا الاستدعاء حتى وردت براءة الامتياز على يد رشيد بك والي بيروت . وبعد تهئية اكثر المواد اللازمة لمباشرة الاشغال رأى السيد البطريك والفيكنت ان الحكمة تقضي بالتربص عن اخراج هذا المشروع الى حيز العمل . خصوصاً لان ارباب المطابع كانوا يعانون حين ذاك المصاعب الكثيرة بداعي المراقبة الشديدة على المطبوعات في الدولة العثمانية .

وبعد اعلان الدستور سنة ١٩٠٨ في اواخر عهد السلطان عبد الحميد الثاني تبدلت الاحوال وأطلقت الحرية للمطبوعات . فصرف السيد البطريك نظره عن مطبعة بيروت وحصر اهتمامه في تعزيز مطبعة دير الشرفة وتحسينها وتوسيع نطاقها . ثم اضاف اليها آلتين للطباعة مع حروف جديدة سريانية وعربية وافرنجية . وظلّ ينشر فيها كتباً ذات شأن في اللغات المذكورة حتى السنة ١٩٢٥ . فأنشأ مطبعة جديدة في بيروت وجعل مركزها في دار اشتراها بجوار كنيسة مار جرجس . وفي هذه المطبعة نشر مجلته البطريكية المعروفة بعنوان « الآثار الشرقية » التي عاشت اربع سنوات وتوارت بعد وفاته رحمه الله تعالى .

القسم الثاني

آل طرّازي وأخبار الملة السريانية

الفصل الاول

آل طرّازي وضيافتهم لأخبار ملّتهم

امتاز آل طرّازي منذ قديم الزمان بعواطف الاحترام ووافر الاجلال لأخبار ملّتهم السريانية . وبذلوا في سبيل تعزيز مقامهم لدى الخاصّ والعامّ كل ما امكنهم من النفوذ والجهود والتضحيات . وقد تشرّبوا هذا الروح الطيّب من والده جدّهم الياس طرازي (١٧١٥—١٧٩٢) بن بطرس طرازي الثاني . اعني بها السيّدة مرّوم ابنة القس شكرالله نشاد وخالة السعيد الذكر مار اغناطيوس ميخائيل الثالث (جروة) البطريك الانطاكي (١٧٨٢—١٨٠٠) . وهذه صلات القربى المتينة وثّقت عرى الالفّة والصداقة بين أشرقي طرّازي وجروة النبيلتين والكريحي المعتد . وحملت الياس طرّازي المومأ اليه على بذل النفس والنفس لابن خالته البطريك ميخائيل المغموط في مشاريعه العظيمة وملأته الوافرة التي يعرفها كل من له المام بأخبار الملة السريانية الكاثوليكيّة . وقد اتصل بالخبر الاعظم البابا بيوس السادس (١٧٧٥—١٧٩٩) خبر تلك العوارف المشهورة فأنعم في ٢٨ آب ١٧٨٥ على مصطنعها الياس المشار اليه بنوط «المهّاز الذهبي» مكافأة له على غيرته

النادرة ومزايه' الزريدة . وما برحت براوة ذلك النوط الشريفة مصونة حتى اليوم عند سلالتِه كذخيرة ثمينة . وفيها يصف خليفة مار بطرس ذلك الرجل « بالمحسن الوافر السخاء . لكنيسته والجندي الباسل المتطوع لحراثة كرم الرب وخدمة الاعمال الصالحة منذ حدائمه » .

وقد ورث آل طرازي تلك العواطف الشريفة والعوارف الحسنة خلفاً عن سلف حتى تجلت باعظم مظاهرها في جدّهم انطون الذي نزع الى بيروت كما ذكرنا آنفاً . فانه جعل منزله فيها محطاً لرحال البطارقة والاساقفة منذ السعيد الذكر مار اغناطيوس ميخائيل الرابع (١٨٠٢-١٨١٠) خليفة مار اغناطيوس ميخائيل الثالث (جروة) الى البطريك مار اغناطيوس سمعان الثاني (١٨١٤-١٨١٨) الى البطريك مار اغناطيوس بطرس السادس (١٨٢٠-١٨٥١) الى البطريك مار اغناطيوس انطون الاول (١٨٥٣-١٨٦٤) الى البطريك مار اغناطيوس فيلبس الاول (١٨٦٦-١٨٧٤) الى البطريك مار اغناطيوس جرجس الخامس (١٨٧٤-١٨٩١) الى البطريك مار اغناطيوس بهنام الثاني (١٨٩٣-١٨٩٧) الى البطريك مار اغناطيوس افرام الثاني (١٨٩٨-١٩٢٩) . ذلك كل مرة يَمُوموا بيروت غادين ورائحين وانطلقوا الى دير الشرفة او الى عاصمة الكشلكة او الى عاصمة السلطنة او الى بلاد اوربة . وكثيراً ما صادف ان البطريك الانطاكي وجميع مطارنته مع حاشيتهم^(١) حلّوا ضيوفاً أعزاء في وقت واحد على آل طرازي كما جرى الامر

(١) عثرنا في الجزء الرابع من « العقد الثمين » على رسالة رقيقة للشماس دانيال الموصلي الذي ارتقى الى الكرامة الاسقفية باسم قرّس يولس دانيال (١٨٩٦-١٩١٦) على دارا شرقاً . وقد وجّهها بتاريخ ١١ شباط ١٨٥٦ من دير الشرفة الى انطون طرازي يشكر له ضيافته . وكان هذا الشاس قائماً بخدمة البطريك مار اغناطيوس انطون الاول اثناء حلوله في دار آل طرازي قال :

« . . . وصلنا الى دير الشرفة يوم السبت صحبة غبطة السيد البطريك الجزيل الطوبى والسيد يعقوب (حلياني) المحترم بالخير والسلامة . وما صعب علينا سوى فراقكم العزيز . نسأله تعالى ان ينّ علينا بمشاهدة حضرتكم وانتم موجودون بكامل الافراح

لدى انعقاد المجامع الطائفية في دير الشرفة عام ١٨٥٣ و ١٨٧٤ و ١٨٨٨
ومجمع حلب عام ١٨٦٦ والمجمع الواتيكاني عام ١٨٧٠ الخ . وكانت
السيدة كاترين^١ تضاهي زوجها انطون طرازي بكرمها ولا تقل عنه تأهيلاً
باولئك الائمة اثناء اقامتهم في دارهما على الرجب والسعة .

ويطول بنا المجال لو رمنا ان نسرد ههنا اسماء سائر احبار الطائفة
السيرانية الطيبي الذكر الذين يربو عددهم على العشرين وقد حلوا ضيوفاً في
تلك الدار المباركة في ازمنة مختلفة . نذكر منهم : السادات كوارتس
انطون الديرابكرلي . ويوليوس انطون الديرابكرلي . وديونوسيوس
ميخائيل هدايا . وكوارتس يوسف حائك . وديونوسيوس يوسف سمعة .
واقليميس بولس صعب . وايتيس متى نقار . وغريغوريوس يعقوب حلياني .
وفلبانوس بطرس متاح . واثناسيوس رافائيل جوشي . وايتيس ايليا عتمة .
واوسطاثيوس افرام تكمجي . وغريغوريوس جرجس شاهين . ويعقوب
متى احمدقنه . واقليميس يوسف داود . وثئوفيلس انطون قندلفت .
ويوليوس باسيل قندلفت . وماروثا بطرس طوبال . وقراس بولس دانيال .
وغريغوريوس عبد الله سطوف الخ . وهذه رسائلهم التي ضمنوها آيات
الشكر والثناء وانفذوها بخطوط أيديهم الى عميد الاسرة الطرازية وانجاله
واحفاده من بعده هي أقوى برهان على ما نقوله . وما برحت تلك الرسائل
محفوظة بكل اجلال في خزائن تلك الاسرة الكريمة اعني لدى الفيكنت
فيليب دي طرازي . وهي تحتوي كما قلنا غير مرة على احد عشر مجلداً
ضخماً عنوانها : « المقد الثمين في رسائل الآباء الى البنين » .

وسمعنا عنكم اخبار الفرح والسرور التي تبهجننا . فحينما تذكر محبتكم ومودتكم
ولطفكم وأنسكم وافضالكم علينا في هذه المدة التي استقمناها عندهم نسأل الله ان
يعوض عليكم عوض الواحد مئة . وتنالون منه المكافأة عنا روحياً وجسدياً وتكون
داركم عامرة وتسكنون فيها بالفرح والسرور طول ايام حياتكم . . . »

(١) راجع ما كتبناه عن هذه السيدة الفاضلة في صدر الفصل الثالث من القسم
الاول تحت عنوان « آل طرازي وبناء كنيسة بيروت وقلآيتها »



الکنت نصر الله دي طرازي

١٨٩٥ — ١٨٢٢

ففي تلك المجلدات التاريخية الضخمة يرى القارئ الوفاً من رسائل البطارقة والمطارنة والكهنة والاعيان . وكلها تشتمل على مدح الاسرة الطرازية والاقرار بماآتيها المشكورة في سبيل الامة السريانية لا في بيروت فحسب بل في جميع الابريشيات . والى القارئ اللبيب نتقاً من الاوصاف التي اطلقها اولئك الاحبار النبلاء في رسائلهم على عميد آل طرازي الكنت نصرالله الخالد الاثر . فقد سموه بكل عدل واستحقاق : « شيخ الطائفة السريانية وكبير اعيانها وعمادها — مصباح الطائفة المنير في الآفاق الشامية — الرجل المنقطع النظير والمحلى بفرائد الاوصاف — رأس الطائفة السريانية في بيروت وفي كل موضع — فخر الطائفة السريانية بأسرها بل فخر النصرانية قاطبة — المولى الجليل رفعةً وقدرًا — المفطور على الشم الكريمة النادرة الوجود — صاحب الفضل المندفق المفرق — صاحب اليد البيضاء التي تلو على كل يد — ذا النفس المشهورة بالسخاء والمروءة والوفاء والبر والاحسان — ذا النفس النجبية الجليلة التي فاقت الاولين والآخرين في الجود والكرم مما لم يُسمع مثله في الاخبار ولا قرأ احدٌ مثاله في الاسفار — مَنْ حُبُّه وكرمه قد استعبد القلوب والنفوس — مَنْ بلغ كرمه حدًا يقف دونه كلٌ وصف — المميز بحامد ومكارم لم يسخُ الله بها الا على من حكم بتسريفيهم على عامة الخلق في أعلى طبقة — الدرة اللامعة في هامة الطائفة السريانية الخ الخ .

وكانت منزلة الكونتس منة كمنزلة قرينها الكنت نصرالله في عيون أحبار الملة السريانية . فانها كانت في ضيافتها لهم تعتني عناية وافرة بشؤونهم وتسهر على راحتهم سهر الابنة الوفية على راحة والديها متفطنة في تأدية فروض الضيافة وضروب اللياقة لهم بما فطرت عليه من السخاء واللطف والمناقب الفريدة . ولذلك زى جميع الرسائل التي وجهها اولئك الاحبار الى الاسرة الطرازية طافحةً بعبارات الثناء وعواطف الاجلال والشكر لهذه الكونتس الفاضلة . وعلى سبيل المثال نورد فقرة من رسالة كتبها

يُحِطَ يده الخبر العلامة اقليميس يوسف داور رئيس اساقفة دمشق الى الكنت نصرالله دي طرازي في ٢ شباط ١٨٨٢ ودبجها بهذه العبارات الرقيقة قال :

« ... ولم ازل منذ ساعة الرحيل الى الآن اهذباً بما حُزنته لديكم في ايام اقامتي السعيدة في داركم العامرة من الترحاب والتكريم والاعزاز والتفضل الذي جعلني غارقاً كالعادة في بحر جودكم ... فما لي الا ان أُعيد على الدوام الادعية الحارة القلبية بدوام ذاتكم الشريفة فخراً لي وللطائفة السريانية بأسرها بل للامة النصرانية قاطبة . واني لا أنسى ما صنعتته معي السيدة قرينتكم الجليلة الخاتون مئة امي الكريمة . نعم لا يستحق غير هذه الخاتون الجليلة هذه التسمية مني كما سمعت من في يوم كنت عندهم » .

وكتب المطران عينه ار الكنت دي طرازي في ٩ تشرين الثاني ١٨٨٤ قال :

« اما بعد افخر السلام الابوي وأوفر الدعاء القلبي مع جزيل الاكرام والاجلال فبدعائكم وعونه تعالى وصلت الى مقر سكناي وكسي رعايتي (بدمشق) . وانا منذ ساعة فرقتكم المرة ألهج في قلبي وكل جوارحي بما شاهدته وسمعتُه ومسته لديكم من آيات الكرم والطف والمجد التي تجلّ عن كل وصف ويحار بها كل عقل . فسيحان الكريم اللطيف المجيد الذي لاظهار علو كرمه وسمو لطفه وجلال مجده احب ان يخص بصفاته هذه الفائقة اشخاصاً سعداء من بني آدم يتعظم بهم اسمه تعالى دون سائر خلائقه . ويا ما اندرهم وما اعزهم وما اشرفهم ! وكيف لا أؤدّي لكم ولدويكم الكرام هذه الشهادة وان ما صنعتوه معي في مدة اقامتي السعيدة القصيرة لديكم يحلّ عن كل شكر وكل ثناء . ? وكيف يمكنني ان لا اقابل جليل المعروف بجليل الشكر وأحجم عن ذكر أوصافكم السامية وخلالكم النادرة وفضائلكم الشريفة التي يعترف بها كل قلب

ولسان وأقصر في المناذاة بها بين الملا في كل ناد؟ وكيف استطيع ان انسى آيات الكرامة التي تسطع في بيتكم الميمون منبعشة من شمس نفسكم النيرة الى كل من فيه بل الى كل ما فيه حتى كأن الكرامة قد تلبسته وتحرقت به فيه من كل ناحية؟ جعل الله هذه الشمس منيرة على الدوام عوض العائضين لهجة الامة السريانية على الخصوص والجنس البشري على العموم وفخرهما»

على اننا لو شئنا سرد امثال هذه الرسائل في هذا الفصل اطال بنا المجال جداً . انما نكتفي باثبات فقره من رسالة انفذها بطريرك مار اغناطيوس بهنام الثاني من الموصل بتاريخ ١٩ كانون الاول ١٨٩٦ الى الفيكنت فيليب . ذلك على اثر حاول المطران غريغوريوس عبدالله سطاوف^(١) ضيفاً في دار آل طرازي قال :

«... اخبرتنا عن حاول الاخ السيد عبد الله الموقر ضيفاً كريماً في داركم العامرة . الا انكم لم تشاؤوا ان تتيحوا بنا كان منكم من تجاوز حدود المروءة والكرم . فلقد وردتنا منه تشكرات عظيمة لجميع افراد عائلتكم المباركة بشأن معاملتكم الطيبة الفائقة الحد معه الخ . فعلى ما لاحظنا من كتابه انكم قد ادهشتم عقله بما أبدىتموه من المكارم والفضل ومبادئ الدين والفضيلة ولطف الاخلاق حتى اضحى عاجزاً عن وصف كل ذلك . وهذا ما زادنا طرباً وسروراً واستدعى مضاعفة ثنائنا ومدحنا وامتناننا لكم . فإله نسأل ان يصونكم بيمينه ويوتيكم بركاته السماوية وسائر النعم والعطايا الالهية ...»

وما قلناه عن ضيافة آل طرازي لاجبار ملتهم يصدق على كرم ضيافتهم لسوى ارباب الطعمة الكهنوتية ايضاً . ومن هذا القبيل نورد ابياتاً ارتجلها الشاعر الحلي نصر الله طرابلسي عندما كان هو وبعض الادباء ضيوفاً في

(١) ارتقى السيد عبدالله سطاوف الى السدة الانطاكية على السريان اليعاقبة بتاريخ ١٥ آب ١٩٠٦ في دير الزعفران . وحلت وفاته في دير مار مرقس باورشليم سنة ١٩١٦

دار المقدسي يوسف طرّازي (١٧٨٥—١٨٤٥) ابن المقدسي نصرالله طرّازي
قال : (١٧٥١—١٨٠٨)

ان شئت تلقى المكرمات وأهلها فالكل أصبح ضمن هذي الدائرة
واذا تحرّيت الضيافة فهي في دار ابن نصرالله دوماً دائره
فصديق هذي الدار عزّ مكانة وعدوها دارت عليه الدائرة

ونختم هذا الفصل باثبات قصيدة نظمها الشيخ نوفل الخازن في الشفاء
على اريحيّة ميخائيل طرّازي (١٨١٨—١٨٨٠) وكرم ضيافته قال :

في صبوتي يوماً دُعيت الى السّفر يمتّ دار العلم يديوت التي
يتمت فيها لقيتُ أحبّةً ثبتوا على عهد المودّة والوفاء من الصّغير
وفدوا عليّ يسلمون وجلهم في أطيب الحالات ألا ما نذر
أكرم ميخائيل طرّازي تسا مى بالنهى فيهم وبالادب اشتهر
شهمُ نشأ من عترةٍ حليّةٍ برجالها الفضلاء لبنانُ افتخر
شهمُ لاسرته قديمُ علاقه بآبي وجدي منذ قرنٍ قد عبّر
ألفتُ منه في المجالس عزّة شهدت بها أهل الحضارة والوبر
بل نلتُ حسن ضيافةٍ في بيته عن جودها حدّثتُ ما شاء القدر
في حلبة الاحسان أسبق فارس نعتُهُ والخبرُ عندي كالخبر
حسناته في السرّ لا تخفى كما في الليلة الدهماء لا يخفى القمَر
وبكلّ مسألة تولّاهَا نرى أكلامه الرأي الحنيف المعتبر
لهُ في القلوب محبةٌ ومكانةُ فهو الأبي الحازم السّخّخ الأعزّ
ولهُ نسجل كلّ يومٍ منةً في منةٍ تبقى مخلّدة الأثر
يسمى القريض الى حمّاه صاغراً واصوغ في شكرانه أغلى الدرر

الفصل الثاني

آل طرّازي وتعظيمهم لاحبار ملتهم

لا نرى عبارات تنوّه بتعظيم آل طرّازي لاحبار ملتهم السريانية أفصح وأبلغ ممّا كتبه في هذا الصدد السيد البطريك مار اغناطيوس بهنام الثاني الى المطران ثيوفيلس انطون قندلفت نائبه في بيروت بتاريخ ٢٦ اذار ١٨٩٥ قال :

« اننا عندما تسلمنا لقب « الكنيّة » لحضرة الكنت نصرالله دي طرّازي كانت غايتنا ورغبتنا ان نرى هذه العائلة الفاضلة الجليلة النبيلة المقدّمة في رأس طائفتنا قد ارتفع مقامها . فيعود ذلك علينا موضوع المسرة والمباهاة . على ان حضرة الكنت وعموم عائلته قد أدّوا لنا من الاعزاز واکرام المشوى ما يفوق الوصف كما هو معلوم مشهور في بيروت . وليس ذلك من باب المكافأة فانهم في كل وقتٍ وأن أدّوا لايمة طائفتنا ولاسيما لشخصنا مزيد الاكرام والاجلال . وقد شاهدنا منهم جميعاً من حسن التدبّر وروح التقوى والاخلاص النبوي والغيرة على الطائفة ما أترعنا حبوراً . وان احببت ان تزيدكم علماً بهذا الشأن فانهم علاوة على ما تفضلوا به علينا مدة ضيافتهم لنا فقد قدّموا لنا حين مبارحتنا ايّاهم مبلغ ثلاثة آلاف فرنك (ذهبية) هديةً منهم لشخصنا وقبلنا ذلك بغاية الشكر ... »

وفي الحق ان آل طرّازي لم يدعوا فرصة الا اتخذوها لابداء مظاهر اجلالهم وعواطف احترامهم لاحبار ملتهم النبلاء . بل لم يزدخوا وسيلة الا تذرّعوا بها حباً لتعزيز ملتهم السريانية ورفع شأنها في كل صوبٍ وناحية . يتضح ذلك من الدعوات والضيافات والولائم المتواترة والاحتفالات والتكريمات المستمرة التي اقاموها في دارهم لاولئك الاحبار مدة تزيد على قرن كامل . هذا ما عدا اهتمامهم المتواصل بتسهيل مصالح اولئك الرؤساء لدى الحكومة توثيقاً لعرى الصداقة بينهم وبين الولاة العثمانيين .

واذا ضربنا الصفح عن تعداد ذلك كله بالتفضيل فلا يسعنا السكوت عما بذله آل طرّازي من الجهود على مرأى ومسمع منا لدى الاحتفال العظيم باليوبيل الاسقفي الفضي (١٨٨٧-١٩١٢) للسيد البطريك مار اغناطيوس افرام الثاني ويوبيله الكهنوتي الذهبي (١٨٧٣-١٩٢٣) والبطريكي الفضي (١٨٩٨-١٩٢٣) . فانهم بالاتفاق مع سيادة الحبر الموقر المطران اقليميس ميخائيل بجّاش ألّفوا لجنة رسميّة في بيروت لتهيئة معدّات اليوبيلات المذكورة وتنظيم احتفالاتها كما يليق بشرف الملة ومقام بطريركهم المقبوط المحتفى به . ثم راسلوا جميع الابريسيّات السريانيّة واستنهبوا المهمم الاشتراك في هذين المهرجانين الطائفيين اللذين لم يسبق لهما مثيل في تاريخ الملة . وقد وافى الوفود زرافات من جميع المدن ورفعوا الهدايا تترى الى صاحب اليوبيل واعربوا لغبطته عن وثيق تعلّقهم به وشديد اعتبارهم له .

واذا رمنا ان نخصّص الكلام بالفيكنت فيليب عميد الاسرة الطرّازية الآن قلنا انه حرسه الله قد تغافى في سبيل رقي الملة تغافياً كتب له اجمل تذكّار في قيودها . فانه اغتم الفرص في ازمنة مختلفة واحوال متعدّدة للاعراب عن شعوره الرقيق واخلاصه الحميم لاحبار الملة وكهنتها ووجهائها بل لكل فردٍ من أفرادها . فقد القى الخطب الرنانة في قلّاية بيروت مثرّحاً على من استأثر بهم الله تعالى او مهتّماً من ارتقى منهم الى الذروات المقدّسة . فهو الذي آبن السيد اغناطيوس جرجس الخامس عام ١٨٩١ والسيد اغناطيوس بهنام الثاني عام ١٨٩٧ والسيد اقليميس يوسف داود عام ١٨٩٠ والسيد ثئوفيلس انطون قندلفت الذي توفي عام ١٨٩٨ في دير الشرفة . وآبن كذلك في ١٢ شبّاط ١٨٩٢ المرحوم الياس بن ميخائيل موصلي احد المحسنين الى كنيسة مار جرجس بيروت .

اما قصائد التهانّي التي نظمها هذا الفيكنت وأنشدها في احتفالات مختلفة فكثيرة جداً . نذكر منها قصيدتيه اللتين لفظهما في حفاتي استقبال السيد البطريك اغناطيوس جرجس الخامس ووداعه . وقصيدته في تهنئة

السيد البطريرك المشار اليه لما وردته الطغراء الهمايونية في ٢٠ نيسان ١٨٨٧ من السلطان عبد الحميد . وجرى للترحيب بها في قلالية حلب احتفال شائق . وقد ناب عن الفيكنت في انشادها السيد المطران ثيوفيلس انطون قندلفت وهذا مطلعها :

برزت تيس بظهور وضاء وبدت تليه بعزة وسناء

ثم نذكر قصيدة تهنئته للسيد ثيوفيلس انطون قندلفت يوم ارتقائه في كنيسة بيروت عام ١٨٨٦ الى الكرامة الاسقفية . وقد انشدها الناظم في دار آل طرازي حيث جرى استقبال وفود المهتمين على اثر السيامة المقدسة . ونذكر ايضاً قصيدته في تهنئة مار اغناطيوس بهنام الثاني بارتقائه عام ١٨٩٣ الى العرش البطريركي في كنيسة الطاهرة بالموصل . وقصائده المستبدعة في تهنئة مار اغناطيوس افرام الثاني يوم تبوئه السدة الانطاكية عام ١٨٩٨ في كنيسة ماردين . وخطبتيه النفيستين اللتين افتتح بهما يوبلي السيد البطريرك المشار اليه اعني اليوبيل الاسقفي الفضي عام ١٩١٢ واليوبيل الكهنوتي الذهبي والبطريركي الفضي عام ١٩٢٣ السابق ذكرهما . وقد كان لذينك الخطابين اجمال وقع في جميع الارشيات السريانية .

ونضيف الى ما تقدم تواريخ شعرية نظمها الفيكنت فيليب عينه في مواضع طائفية شتى أخصها :

- ١ : لبناء كنيسة مار جرجس ببيروت . ٢ : لتأسيس جمعية المساعي
- الخيرية السريانية . ٣ : لضريح المطران اثناسيوس روفائيل جرخي في
- بغداد . ٤ : للبطريرك اغناطيوس بهنام الثاني عند جلوسه البطريركي وحينما
- أهدي اليه الوسام العثماني الاول . ٥ : لضريح أسرة شقال في بيروت .
- ٦ : لضريح جرجي بري صابونجي في بيروت ايضاً . ٧ : للبطريرك
- اغناطيوس افرام الثاني حين تبوئه العرش البطريركي وفي تذكار عيده
- الشخصي . ٨ : لمجمع الشرفه المعقود سنة ١٨٨٨ . ٩ : لبناء كنيسة حماة .

١٠ : لتشييد صرح البطريكية السريانية في بيروت . ١١ : لضريح آل مدور في بيروت .

وما عدا ذلك فانه نظم كثيراً من القصائد والمقطعات والتواريخ الشعرية لعدد صالح من ابحار الملة السريانية وعلمائها وكرامها في احوال مختلفة . نكتفي منها بذكر بيتين نظمهما لغبطة السيد البطريوك مار اغناطيوس جبرائيل الاول وارتجالهما عندما ترأس احتفال شركة مار منصور دي پول صباح عيد العنصرة عام ١٩٣٠ . وكلف احد اعضائها ان ينشدهما وهما :

صهيون بالرسل الكرام تجددت اذ جللتها نعمة الروح القدس
واليوم شركتنا تيمن ربها بحلول بطركنا الجليل مع القسس
ومن ذلك ايضاً بيتان اقترحهما عليه المركز ميخائيل دي جروة لينقشهما على كأس قداس . وهما :

لما اتكا رسل المسيح على العشا الـ سرّي باركهم بنفس طاهرة
قال اشربوا هذا دمي وتذكروا عهدي الجديد^(١) لكي تناولوا الآخرة
ومن ابدع ما نظمه هذا العلامة قصيدته الشرفية التي التزم فيها لفظة
« الشرف » في جميع قوافيها يختلف معنى كل لفظ منها عن معنى الآخر .
وقد هنا بها السيد اغناطيوس افرام الثاني عندما قلده قنصل فرنسا العام
وسام « جوقة الشرف » واستهلها بقوله :

سما اليك كن يسمو الى الشرف وسام فخر يُسمى جوقة الشرف^(٢)
وما عدا هذا فقد ألقى الفيكنت خطبتين تاريخيتين عام ١٨٨٨ لدى
افتتاح مجمع دير الشرفة الكبير لدى اختتامه . ولفظ كذلك خطب

(١) اقتباس من الآيتين الواردتين في انجيل مار متى (٢٦ : ٢٧ و ٢٨) وهما : « واخذ كأساً وشكر واعطاهم قائلاً : اشربوا منها كلكم . لان هذا هو دمي للعهد الجديد »
(٢) نشرنا في مجلة « الآثار الشرقية » ابيات هذه القصيدة في سنتها الثانية صفحة ٧٤-٧٨ .

الترحيب والتأهيل في قلّاية بيروت بالبطريك اغناطيوس جرجس الخامس عام ١٨٨٥ و ١٨٨٨ . وبالبطريك اغناطيوس بهنام الثاني لدى مروره ببيروت مسافراً الى اوربة عام ١٨٩٤ ولدى رجوعه منها في اواخر السنة المذكورة . وبالسيد ايليا الثاني عشر بطريك بابل على الكلدان في ٨ حزيران ١٨٩٠ . وبالسيد اغناطيوس افوام الثاني عام ١٨٩٩ . ورّحّب به كذلك بخطبة شائقة عند زيارته الاولى لجمعية مار منصور دي بول وشفعها بخطبتين أخريين بعد التاريخ المذكور في تقريظ البطريك الانطاكي عينه

وقد رّحّب الفيكنّت بخطبة جميلة بالسيد اقليميس يوحنا معمارباشي مطران دمشق عام ١٨٩٢ لدى قدومه الى بيروت للمرة الاولى بعد سياسته الاسقفية . وهذا المطران يوليوس باسيل قندلفت عام ١٨٩٣ بارتقائه الى الكرامة الاسقفية في كنيسة بيروت . وخطب ايضاً على مائدة دير الشرفة عام ١٩٠٩ مرحّباً باعضاء اخوية العائلة المقدسة وشركة مار منصور دي بول عندما حجّوا مقام سيدة النجاة في الدير المشار اليه .

وهو الذي خطب عام ١٩١٩ في الصرح البطريكي الماروني في بكركي " نيابةً عن الملة السريانية لدى وداع السيد البطريك مار الياس بطرس الحويك قبل رحلته الشهيرة الى باريس . وخطب ايضاً باسم الملة السريانية على مسامع اللجنة الاميركية التي جاءت عام ١٩١٩ لاستفتاء أهالي سورية ولبنان في أمر مصيرهم . ومثّل الملة ايضاً في المجلس الاستشاري عن المنطقة الغربية في عهد الجنرال غورو . وكان له في ذلك كله مواقف مشرفة بين زملائه . ولسنا ننسى خطبة الفيكنّت البديعة التي رّحّب فيها ببنافّة

(١) خطب الفيكنّت فيليب مرّة اولى في بكركي سنة ١٨٩٧ يوم كان رئيساً على شركة مار منصور الخيرية واخوية العائلة المقدسة . وجرى ذلك في عهد السيد يوحنا بطرس الحاج البطريك الماروني بحضوره وحضور لقيف اساقفته ومئات من اعيان بيروت ولبنان على اختلاف مذاهبهم ومراتبهم . فكان لخطابه صدى استحسان حمل الخطيب البليغ انظون بك شجيره ان يثي بفصاحته المشهورة على الفيكنّت ويفوه بتلك العبارة التاريخية : « كنت اتمنى ان يكون هذا الشاب مارونياً » .

الكردينال ديبوا في القلاية البطريكية ببيروت عام ١٩٢٠ . الى غير ذلك من الخطب الرتانة التي ألقاها في اوقات مختلفة وفي مواسم شتى . ولاسيا خطبه في الاحتفالات السنوية وقت حضور قناصل فرنسا ومفوضيها القداس الرسمي في الكاتدرائية السريانية صباح الاحد الثاني التالي لعيد القيامة .

ومأً يجدر بالذكر عن الشيكنت فيليب في هذا المقام انه هو الذي نقل من العربية الى الفرنسية خطاب السيد ثنوفيلس انطون قندلفت في المجمع القرباني الاورشليمي . ثم ناب عنه في القائه رسمياً في جلسة المجمع الثانية المنعقدة في ايار ١٨٩٣ في كنيسة المخلص الكبرى . وقد جرى ذلك بحضور نيافة الكردينال لنجنو والبطريركين غريغوريوس الاول ولودفيكس بياني وستة وعشرين مطراناً والوف وخمسة كاهن وجمهور غفير من المؤمنين التأموا من اربعة اقطار المسكونة . فنال خطابه هذا استحسان السامعين وصنفوا له نيقاً واربعين مرة .

هذا ما عدا كتابه « القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة » الذي جمع فيه مرثي العلامة السيد اقليميس يوسف داود في عشرين لغة . وما عدا كتابه الشهير الذي عنوانه « السلاسل التاريخية في اساقفة الابريشيات السريانية » ونشره بالطبع عام ١٩١٠ مضمناً اياه اخبار احوار البيعة السريانية منذ القرن السادس عشر حتى عهدنا . ونضرب صفحاً عن ذكر غيرهما من المؤلفات الجليلة التي أدرجناها في فصل آخر من هذا الكتاب ولا يقل عددها عن ستة عشر مؤلفاً او مجموعاً^(١) . وقد أنشأ ونشر ذلك كله اظهاراً لحميم اخلاصه وشديد تقانيه في خدمة ملته وتعظيم احوارها . وكانت تلك الخطب وتلك القصائد وتلك التصانيف بلا ريب من أدعى الوسائل لتعزيز كنيسة مار جرجس البيروتية واعلاء شأن الملة السريانية .

(٢) نخيل القارئ الى مراجعة اسماء تلك المؤلفات ووصفها في (الفصل الرابع من القسم الثالث من هذا الكتاب .

ولما كان الشيء بالشيء يذكر رأينا ان نُضيف الى ما سبق كلمة عن مساعي هذا الفيكنت الجليل في تعزيز مقام احبار ملته النبلاء وتخليد اسمهم في قلوب الخاصة والعامة . فانه اعتنى بصنع صورة الخبر الانطاكي مار اغناطيوس افرام الثاني يحفّ به بطاركة الملة السريانية اسلافه . فصورها بطريقة فنيّة مستزفة وارسل منها نسخاً عديدة الى جميع الابريشيات لتعلق في قاعاتها الرسمية وبيوت أعيانها . وهي تمثّل رسوم احد عشر بطريركاً من بطاركة السريان الانطاكيين منذ البطريرك اغناطيوس اندراوس الاول (١٦٦٢—١٦٧٧) الى البطريرك اغناطيوس افرام الثاني (١٨٩٨—١٩٢٩) . وقد أعجب بهذه الصورة التاريخية كل من شاهدها وأنشأ على عقبية الفيكنت فيليب الذي ابتكر هذه الفكرة . وانفذوا اليه رسائل شكر نذكر منها فقرة كتبها السيد اقليميس ميخائيل بجّاش مطران دمشق بتاريخ ٨ نيسان ١٩٠١ قال :

« ... سرنا جداً الاثر النفيس الذي اهتموه لبطاركتنا العظام بطبع رسومهم الفوتوغرافية مع رسم بطريركنا المغبوط والشعار البطريركي . فهذا ما يدعونا لنثني على حضرتكم الكريمة ونتمنى لكم إطالة العمر لتظهر محاسن طائفتنا بما تجددونه من آثارها الحسنة . جزاكم الله خيراً ... »

ولم يكتفِ الفيكنت بهذا بل نصب صورة العلامة السرياني الشهير مار اقليميس يوسف داود مطران دمشق في دار الكتب الاهلية التي أنشأها عام ١٩٢١ في بيروت . وقد ضمّها الى رسوم مشاهير العلماء التي دّبح بها القاعة الكبرى في المكتبة المشار اليها تحليداً لذكورهم وإعلاء لشأن العلم في الامصار الشرقية .

الفصل الثالث

آل طرازي ونقل الكرسي البطريكي من ماردين الى بيروت

كان يجول في خاطر آل طرازي منذ عهد بعيد ضرورة نقل الكرسي البطريكي من ماردين الى حلب او الى بيروت لما بينها وبين ماردين من التفاوت العظيم في الحضارة وال عمران والمثالة الاجتماعية . وكانوا يعتبرون ان مستقبل نجاح الملة السريانية يتوقف على ان يكون لبطاركتها كبطاركة سائر الملل الشرقية مركز ثابت في احدى المدن الشهيرة ولائق بكرامة منصبهم . لان ماردين مدينة صغيرة خالية من المحاسن العصرية والمشوقات الحديثة والمواصلات البريدية المنتظمة . الى غير ذلك من التسهيلات الاجتماعية التي تتمتع بها عواصم البطريكيات الاخرى شرقاً وغرباً .

ومن المعلوم ان مدينة ماردين لم تكُ في عهد مضي سوى مركز لواء تابع لولاية ديار بكر ومرتبطة بها . ولما كان صاحب الكرسي الانطاكي السرياني يقيم في ماردين وكانت ديار بكر كرسياً لمطرانية سريانية خاضعة للبطريرك كان يلزم البطريرك لدى تعاطيه الشؤون المدنية التي تطرأ له ان يلجأ في قضائها الى المطران السرياني المقيم في مدينة ديار بكر . يُراد بذلك ان البطريرك كان يضطر الى مراجعة مقام ادنى من مقامه بل تابع لسلطته الروحية . وكل ذلك لا يتفق مع طريقة التسلسل في العلائق المألوفة بين الرئيس والمروؤوس او التابع والمتبوع .

بعد هذه المقدمة نورد الدواعي الخطيرة التي استند اليها آل طرازي في وجوب نقل الكرسي البطريكي من ماردين . لانهم بكونهم الوكلاء الرسميين للبطاركة في الشؤون المالية والمهام المدنية بسوريا واوربا كان

يتعذر عليهم النهوض بتلك المهام المتواصلة بسهولة وانتظام. ونحصر تلك الدواعي في المسائل الثلاث الآتية وهي :

اولاً : البريد. فان دائرته في ماردين كانت تشتمل على غرفة واحدة يديرها مأمور واحد لا يعرف الا اللغة العربية مع المام باللغة التركية. وكان هذا المأمور يجهل بتاتاً اللغات الفرنجية. ثم ان البريد لم يكن يرد الى ماردين ولا يسافر منها الا مرتين في الشهر في عهد البطريك اغناطيوس انطون الاول (١٨٥٣ — ١٨٦٤). ثم اصبحت حركته اسبوعية في عهد خلفه مار اغناطيوس فيلبس الاول (١٨٦٦ — ١٨٧٤). وعند وصول البريد الى تلك المدينة كانت تلقى المكاتيب على الحضيض وتبقى هناك ريثما يذهب اصحابها ليلتقطوها. وكان اذا تأخر احدهم عن اخذ مكاتيبه امست تلك المكاتيب طعماً للحريق والاعدام.

ثانياً : الرسائل البرقية. فان الخلل فيها لم يكن باقل من خلل البريد كما سبق الكلام. على ان البرقيات المكتوبة باحدى اللغتين العربية او التركية كانت تُرسل الى ماردين وتصدر منها تواتراً. اما البرقيات المكتوبة باحدى اللغات الاوربية فكان البطريك يوصلها الى دياربكر مركز الولاية مع ساعر خاص ركوباً على البهائم. وكانت المسافة بين مدينتي ماردين ودياربكر تستغرق زهاء عشرين ساعة. وناهيك ما كان يتكلفه البطريك في هذا السبيل من النفقات وما يتحمله الساعي من مشقات الاخطار ذهاباً واياباً. وقس على ذلك البرقيات الواردة باسم البطريك من بلاد اوربا. فان حكومة دياربكر كانت تكلف مطران السريان فيها كي يوصلها بدوره الى البطريك في ماردين. وكان المطران يقوم بهذه المهمة مستعملًا نفس الطريقة التي كان يستعملها البطريك كما ذكرنا.

ثالثاً : المصارف المالية او البنوك الرسمية. فانه لم يكن لها في ماردين اسم ولا رسم. بناء عليه كان التعاطي المالي من اصعب الامور في تلك الازمان بين هذه المدينة وسائر البلدان. فكان آل طرازي يرسلون الى

البطارقة موكلهم كل ما يحتاجون اليه من النقود ضرراً يسلمونها الى امنائهم من اصحاب القوافل . فكان ذلك يدعو الى القلق المستمر فضلاً عن النفقات الباهظة .

فهذه الصعوبات وما شاكلها مما ضربنا عنه الصفح حباً للاختصار دفعت آل طرّازي الى التثبّت بمبداهم في وجوب نقل الكرسي البطريركي من ماردين . وقد ادركوا كل هذه الاعتبارات الجوهرية التي تحط من كرامة بطاركتهم المغبوطين وتؤخر نجاح ماتهم . فأخذوا يصرون بها لرؤسائهم كلما سنحت لهم الفرص قولاً وكتابة . ولبثوا يعالجون هذه القضية الحيوية حيناً بعد آخر حتى تحققت امانهم وجاءت الايام مصداقاً لما تنبأوا به قبل ثمانين سنة من هذا التاريخ .

هكذا تطوّرت الافكار بتوالي الازمان واتضح لكل ذي بصيرة أن بقاء الكرسي البطريركي في ماردين يجرّ اضراراً جسيمة الى الملة السريانية . وتجلى ذلك بكل صراحة سنة ١٨٦٤ لدى وفاة البطريرك اغناطيوس انطون الاول . فان افكار السادة المطارنة اتجهت الى اختيار النائب الرسولي السيد ديونوسيوس جرجس شلحت مطران حلب خليفةً للجبر الراحل . لكن النائب جاهر برفض هذه الكرامة الشريفة لاضطراره — لو ارتضى — الى السكنى في ماردين . ولنا حجيح دامغة على تشبته بالرفض ما حرّره مراراً في هذا المعنى الى آل طرّازي . نزوي من ذلك فقرّة من رسالة سيرها اليهم بتاريخ ٩ نيسان ١٨٦٥ قال :

« ... ثم انكم في تحريركم الاول (٣٠ آذار ١٨٦٥) توضحون افكاركم في ما يلاحظ الكرسي البطريركي في حلب او دير الشرفة او بيروت . وانه اكثر اعتباراً للطائفة من وجوده في ماردين المنزوية في راس جبل بين قبائل العرب والاكراد . اي نعم ايها الابناء الاعزاء ان وجود الكرسي في احدى هاتين المدينتين (حلب او بيروت) هو اكثر اعتباراً للطائفة . ولكن كيف العمل ؟ ان المجمع المقدس لا يفتكر نظيرنا بل

يرتأي الضد . اي ان وجود الكرسي في ماردين يصير منه خير اكثر . . .
الخ . »

وفي ٢٠ نيسان من السنة المذكورة كرّر آل طرازي إلحاحهم على
النائب الرسولي في الامر المشار اليه . فجاءهم حالاً بتاريخ ٢٩ نيسان
بما يأتي :

« . . . نظراً لوجود كرسي بطريكية طائفتنا في ماردين فتغييره امرٌ عسرٌ
جداً . لان قداسة سيدنا الخبر الاعظم مع مجمه القدس يقتكرون ان
وجود الكرسي هناك هو الوساطة الوحيدة والفعالة لارتداد طائفة اليعقوبيين .
ومن ثم فنحن بثبات نستمر ملتصقين بالاعفاء من هذه الوظيفة . لان ماردين
ستكون سبباً لزوال صحتنا التي من بعدها نضحي عديمي الافادة ليس
بماردين فقط بل بغيرها ايضاً . قربنا يوفق الى ما فيه الخير ويختار كبشاً
لهذه الذبيحة . . . الخ »

على ان ما حرّره هذا النائب الرسولي قد صدق بتمامه في السيد
اغناطيوس فيلبس الاول الذي انتخب بطريكاً عام ١٨٦٦ وسكن في
ماردين . فانه لم يكدير على هذا الخبر الانطاكي زمن قصير حتى ارتلي
بامراض عضالة كانت السبب للقضاء على حياته الثمينة عام ١٨٧٤ غير متجاوز
الثامنة والاربعين من العمر . ويعزى ذلك الى خلوة مدينة ماردين من اطباء
وصيادلة قانونيين يعول عليهم في احوال خطيرة كهذه . وكان مار اغناطيوس
فيلبس الاول آخر بطريك سرياني أقام في ماردين ولم يسكنها بعده احد
من خلفائه رسمياً .

ولدى فراغ الكرسي البطريكي سنة ١٨٧٤ أُحيلت النيابة الرسولية
تكراراً الى السيد ديونوسيوس جرجس شلحت . فظهر من التشبث برفض
البطريكية ما اظهره في المرة السابقة . غير انه بعد اتفاق الاصوات على
انتخابه بطريكاً رخص له الكرسي الرسولي ان يسكن مدينة حلب بدلاً
من ماردين .

وما كتبناه عن السيد اغناطيوس جرجس الخامس (١٨٧٤-١٨٩١) يصدق تماماً على خليفته مار اغناطيوس بهنام الثاني (١٨٩٣-١٨٩٧) . فإنه أصرّ على رفض البطريكية في ما لو حتم عليه ان يقيم في ماردين . فوافق المطارنة على اقتراحه ان يُقيم في الموصل وأيد الكرسي الرسولي قرارهم . وبعد فراغ السدة الانطاكية ب وفاة هذا الحبر الجليل اختار مجمع الاساقفة خلفاً له مار اغناطيوس افرام الثاني (١٨٩٨-١٩٢٩) الذي جرى تنصيبه في ماردين . وكان هذا الحبر الخالد الآثار صديقاً قديماً حميماً لآل طرّازي يعتمد عليهم ويثق بأرائهم في جلائل الامور . يتضح ذلك من مئات الرسائل التي كتبها لهم بخطّ يده وأعرب فيها عن صدق مودّته وجزيل اعتباره لهم . نقتصر منها على فقرة اثبتنا في رسالتنا المورّخة في ١٥ تشرين الاول ١٨٩٨ على اثر انتخابه البطريكي قال :

« ... فعلى ذلك كلّه نشني عليكم أعظم الشاء ونشكركم طالبين الى الله جلّ شأنه ان يجزل لكم كل المواهب والمنح ويبقيكم أحقاباً مديدة فخراً للطائفة السريانية التي قد عهدت الينا . ولا حاجة ان تزيدكم علماً في هذه الاثناء . باننا في اول قداس قدسنا عقب انتخابنا خصصنا بالذكر عائلتكم النبيلة الجليلة الشأن واستمطرنا عليها البركات الالهية . وها اننا نتحفكم بياكورة بركتنا البطريكية ... »

على ان آل طرّازي انتهزوا فرصة ارتقاء صديقهم هذا المغبوط الى العرش البطريكي لتجديد مساعيهم في حمله على نقل كرسيه الرسولي من ماردين الى بيروت . ورفعوا اليه في ١٢ تشرين الاول ١٨٩٨ تقريراً مسهباً بقلم سليلهم الفيكنت فيليب في اثنتين وعشرين صفحة . ويتضمن هذا التقرير ما ينجّم للبطريكية عن هذا الانتقال من الفوائد العظيمة . فاخذ السيد البطريك الجديد بعين الاعتبار ذلك التقرير الوافي مقتنعاً بما احتواه من الآراء الصائبة والبراهين اللامعة . ثم كتب الى آل طرّازي الجواب راغباً اليهم ان لا يذيعوا مآل التقرير الموماً اليه ريثما يدبر هذه القضية مع

الكرسي الرسولي الروماني . وما عثم ان كتب رسالة بخط يده مورخة في ٢٢ تشرين الاول ١٨٩٨ (اعني ستة ايام بعد تتويجه البطريكي) الى الفيكنت فيليب ورد فيها ما نصه :

« . . . وان شئتم ان نطلعكم على دخيلة افكارنا . . . فهذه الاسباب كلها وغيرها تحملنا على ان نجعل لنا مقراً في سورية مدينة بيروت العامرة بكم خاصة . . . ونظن ان رأيكم طبق رأينا . . . »

يتضح من كل ما أدرجناه في هذا الفصل ان آل طرازي جاهدوا الجهاد الحسن في قضية تحويل الكرسي البطريكي من ماردين الى بيروت . وقد تهلت قلوبهم ابتهاجاً لدى تحقيق أمنيتهم هذه التي عادت بالخير والبركة على الملة السريانية جمعا . وما كادوا يتلقون بشرى قدوم كبير احبارهم حتى اخذوا يستعدون للاحتفال باستقباله كما يليق بمقامه الرسولي . ثم هياؤا كل الطبقة العليا من منزلهم الفسيح في شارع « نصر الله طرازي » وأعدوها لتكون مقراً للخبز الانطاكي في عاصمة كرسية الجديد ريثما يتيسر له الاستقلال بدار خاصة . وقد استمر مدة سنتين هو وحاشيته ضيوفاً لدى هذه الاسرة النبيلة التي طالما طاب لها ان تحافظ شديد المحافظة على تقاليد ضيافتها الموروثة عن الآباء والاجداد .

وقد كتب هذا البطريك الانطاكي رسائل جمّة ملوؤها عواطف معرفة الجميل لأرحية آل طرازي وكرم ضيافتهم . نقصر على ذكر واحدة منها مؤرخة من دير الشرفة في ٤ حزيران ١٨٩٩ ومكتوبة بخط يده قال :

« . . . وبعد فلساننا قاصر عن اداء ما يجدر من تقارير الثناء لما لقيناه في داركم العامرة من ضروب الكرم واللفظ والفضل المقرونة بأخلص الود واشد الولاء . جعلكم المولى على ممر الادهار انتم واعقابكم فجراً وبهاء للطائفة السريانية . ونجتري عن الكلام المسهب بحضنا اياكم قاطبة مودتنا الابوية ثم بالدعاء الى الله ان يمجزل لكم منحة الفائضة بكل خير . هذا ونخص بالشكر والدتكم الموقرة السيدة الكنتسة مئة ونسأل المولى ان

وثائق خطية

يتمتعها بكم ويتمتعكم بها مديداً...»

(وفي ٢٤ شباط ١٩٠٢ انتقل البطريك من دار آل طرّازي الى الطبقة العليا من الدار المحاذية لكنيسة القديس جرجس الكاتدرائية اذ جعلها مقراً رسمياً له . وكان آل طرّازي قبل ذلك قد اعتنوا بتهيئة الدار البطريكية الجديدة وترتيبها لتكون لائقة برئيس ملتهم . ثم جهّزوا اكثر رياشها بنفقتهم الخاصة فضلاً عما نقلوه اليها من موجودات منزلهم . وقد التحفوه حين ذاك بهدايا نفيسة نذكر منها عكازاً بطريكياً ذا اربعة رؤوس تعلوه كرة متوجة بصليب مثني .

وبعد ما قضى هذا الخبر الخالد الأثر احدى وثلاثين سنة في السدة الانطاكية خلفه في ٢٤ حزيران ١٩٢٩ مار اغناطيوس جبرائيل الاول البطريك الانطاكي الجالس سعيّاً . ومن عهد هذا التاريخ صرف الاساقفة النظر عن كرسي ماردين الذي اتفقت الآراء على ان لا يكون مركزاً لبطاركة الملة في مستقبل الزمان . وقرّروا في الوقت عينه ان تكون اقامة البطريك وخلفائه في مدينة بيروت عاصمة الجمهورية اللبنانية . والتمسوا من الكرسي الرسولي الروماني ان يوافق على قرارهم هذا .

ولما عزم السيد البطريك الجديد على تشييد دار ثابتة في مدينة بيروت للاقامة فيها رسمياً اراد من باب الحكمة ان يستشير في هذا الشأن بعض اللائذين بكرسيه البطريكي من روحانيين وعالمين . فأخذ كلٌ منهم يبدي رأيه الخاص مدّعياً بانه الاوفق والأصوب . وكان بعضهم يعرض آراء غير ناضجة او لا تنطبق على قياس منطقي او لا يستقيم لها وزن . بل كان كلّها دار البحث عن هذه القضية في جلسة سرية انتشرت اخباره بسرعة البرق بين القريب والغريب داخل بيروت وخارجها .

وقد عرف السيد البطريك حين ذاك غثّ الآراء وسمينها فحشي ان تؤزل النتيجة الى ما لا تُحمد عقباه من ارتفاع اسعار الاراضي المرغوب في مشتراها فيعود ذلك بالخسائر الفادحة على البطريكية . ومن تلك الساعة

رأى ان تُختصر المفاوضات بكل تحفظ بينه وبين اشخاص معدودين مشهود لهم بالرياسة والصدق وأصالة الفكر . وبعد التروي اختار رجلين من اعيان الملة وادبائها يُركن اليهما في جلائل الامور وهما : الفيكنت فيليب دي طرازى والسيد نجيب موصلى . ثم اضاف اليهما المهندس البارع جورج سرکيس وفوض الى ثلاثتهم درس هذه القضية لجذافيرها كما يوحيه اليهم الضمير الحي والوجدان الطاهر .

فأخذ هؤلاء الثلاثة يبحثون يوماً تحت اشرف اصحاب الغبطة عن بقعة ارض مناسبة بحسن موقعها واتساع مساحتها وجودة مناخها لِيشيد فيها صرح البطريكية الجديد . وبعد البحث المتواصل والتدقيق العميق وقع اختيارهم قاطبةً باتفاق الآراء على بقعة ارض مساحتها ستة وعشرون الف ذراع مربع واقعة بين شارعين كبيرين من اهم شوارع بيروت وهما : شارع الشام من الناحية الجنوبية وشارع الكورنيش من الناحية الشمالية .

ولم ينقض اسبوع على نتيجة ما قرره هذه اللجنة حتى بادر السيد البطريك الى مشتري البقعة المنوه بها . ثم باشر البناء بكل همة في مطلع السنة ١٩٣٠ وفرغ من هذه العمارة الجميلة التي دشنها بحفلة شائقة في ٢٨ حزيران من السنة التابعة . فجاء صرحاً فخماً يعدّ من اطرف الصروح البطريكية في الشرق . وقد أرحه الفيكنت فيليب دي طرازى بأبيات شعرية وجعلها في أطار جميل علّق في مدخل الصرح المذكور قال :

كرسي انطاكية أمسى هنا	طوراً يكلله جمال الهيبة
جبريل جدّ عصره الذهبي في	بيروت مثل العصر الرسليّة
حبر تسلسل من بطاركة الهدى	خلفاً لبطرس في سرير البيعة
وبه بنو آرام طراً فاخروا	لما تسلم صولجان السلطة
قد شاد هذا الصرح جانب معبد	ترعاه عين الغزاة الصمدية
صرح اسريان الوري هو مرجع	يبقى مدى تاريخه كذخيرة

وما اكتفى الفيكت بدلك بل أراد ان يتحف الصرح الجديد بهدية
 ثمينة تعزّز مكتبة البطريكية وتزين خزائنها . فقدّم لها طائفة من الكتب
 ذات القيمة الوافرة نذكر بينها مجموعة ثمينة عنوانها : « Description de
 l'Egypte » أي « وصف مصر » تتألف من اربعة عشر مجلداً مزينة
 بالرسوم النادرة والصور الفاخرة . وقد طبعت في مستهل القرن التاسع عشر .
 وتعدّ بكل حق من أشهر المجموعات الكتابية وأنفسها في العالم . لانه
 اشترك في وضعها وجمع موادها وتنسيقها اكثر من ثلاثائة عالم رافقوا
 الحملة الفرنسية العسكرية الى وادي النيل عام ١٧٩٧ بقيادة الجنرال
 بوناپرت . ويبلغ طول كل مجلد كبير مصوّر من المجموعة المذكورة متراً
 وخمسة سنتمترات بعرض سبعين سنتمترأ . ثم استصنع الفيكت لهذه المجموعة
 خزانة بديعة ذات شغل هندسي جميل افرز فيها لكل مجلد بيتاً خاصاً به
 صيانة لهذه المجموعة من الضياع او البعثرة . وقد جاءت تلك البيوت
 مطابقة بعددها وقياسها عدد المجلدات وحجمها كي يوضع في كل بيت منها
 مجلد مستقل عن الآخر .

أعجب السيد البطريوك بهدية الفيكت وكتب اليه رسالة في ١٣
 شباط ١٩٣٢ تشفّ عن عواطف شكره وثنائه . وهذا نصّها :

« اغناطيوس جبرائيل الاول بطريوك السريان الانطاكي

« حضرة ولدنا العزيز السري الفاضل الفيكت فيليب افندي دي

طرأزي امين دار الكتب الكبرى الماجد

« البركة الرسولية والسلام والمحبة بالرب

« اما بعد فهذه عارفة جديدة اضفتموها الى سالف عوارفكم العديدة .

فاستوجبت لاجلها اعطر الثناء وسجّلتكم في قيود الطائفة العزيزة اطيب

الذكر . ولشد ما كان اعجابنا بكم وازدياد اعتبارنا لفضلكم وفضيلتكم

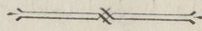
وحيم شكرنا لتعلقكم ومحبتكم وقتما تلقينا صباح اليوم من حضرتكم

اربع رزم تحتوي على اثن الكتب التي رمت ان تتحفوا بها دار الكتب

البطيركية الجديدة ببيروت علاوة على ما سبقتم فاتحتموها به من المصاحف القيمة في الخزانة الثمينة . فقد استلمناها مع كتابكم المسطر في ١٢ شباط بقلب يطفح سروراً وبهجة ولسان ينشد أعذب الاثنية على أريجيتكم .

« اجل انكم ايها الشهم الكريم قد طررتم بهذه التقادم الثمينة حللاً قشبية وشحتم بها هذه المكتبة البطيركية بأغن الخلل وأنفس الذخائر . واصبحت تلك المصاحف كزهور زكية او ينابيع صافية يستنشق عبرها الطيب رواد العلوم والمعارف ويرتشفون من مناهلها العذبة . ويطلقون السنهم بالثناء على مكارم مهديها الفضال ما كرت الاجيال .

« فشكراً حميماً لاريجيتكم بل ثناء عظيماً على تفانيكم ومودتكم . اننا نسأل الله تعالى مانح المواهب الصالحة والعطايا الكاملة ان يسكب عليكم غيوث النعم والبركات الفائضة بكل الخيرات . ويزيدكم جاهاً ورفعة . ويمتدنا بطول بقائكم فخراً للطائفة وتعزيزاً للعلم والأدب بين ظهرانيها . وعربوناً لمودتنا الابوية نهدي اليكم مع الدعوات الخيرية البركة الرسولية والسلام والمحبة بالرب حرسكم المولى مديداً » .



الفصل الرابع

آل طرازي وسلسلة بطاركة السريان الانطاكيين

كان بطاركة السريان الانطاكيون منذ ضربهم عهد الوصال مع البيعة الرومانية يوقعون اسماءهم بجانب ختمهم في آخر المناشير والرسائل الموجهة منهم الى رؤسهم . وكانوا يضيفون كنيثهم في تلك التواقيع الى اسمهم الشخصي واسم شفيح الكرسي مار اغناطيوس النوراني البطيرك الانطاكي (٦٨ - ١٠٧) . وعلى ذلك نقدم مثلاً السيد اغناطيوس بطرس السابع (١٨٢٠ - ١٨٥١) فانه كان يوقع امضاءه في ذيل الرسائل هكذا :

« اغناطيوس بطرس جروة بطريك السريان الانطاكي » . وقد جرى سلفاؤه وخلقاؤه على هذا النمط من دون ان يتقيدوا رسمياً بالرتبة العديدة التابعة لاسم كلٍ منهم . فكان البطاركة اصحاب الاسم الواحد لا يتميز احدهم عن الآخر إلا بالكنية او النسبة فقط .

ولا غرابة في ذلك لانهم نهجوا في هذا الامر نهج بطاركة السريان اليعاقبة . يتضح ذلك من مطالعة كتب مشاهير مؤرخي اليعاقبة كيوحنا اسقف اسيا وزكريا البليغ اسقف ملطية والبطريك ديونوسيوس التلمجوري وميخائيل الاول الكبير . بل ان ابن العبري نفسه الذي أَلَف تاريخه البيعي ونسّق حوادثه تبعاً لسلسلة بطاركة انطاكية وسلسلة مقارنة المشرق لا نزاه يثبت في السلسلتين كليهما رتبة الاسماء العديدة .

ولما كان هذا الاصطلاح مخالفاً للتقاليد القديمة المرعية لدى تسمية القائمين في الكراسي الرسولية انصرف الفيكنت فيليب دي طرازي الى درس هذه القضية درساً جدياً . وبعد ما مَحَصّها تحصيماً وافياً اخذ يفادس اصحاب العلاقة بالموضوع لاجل المحافظة على تلك التقاليد واعادة استعمالها . ودون نتيجة ابحاثه في تقريرين مستوفين رفع احدهما سنة ١٨٩٣ الى السيد البطريك مار اغناطيوس بهنام الثاني (بني) والآخر سنة ١٨٩٨ الى خليفته مار اغناطيوس افرام الثاني (رحمان) وعزّزها بالبراهين الدامغة . فكان لذينك التقريرين صداهما الحسن واثرهما الحميد في الديوان البطريكي .

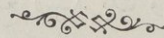
واول من اعاد استعمال ذلك التقليد القديم في تأييد رتبة الاسم العديدة كان السيد اغناطيوس افرام الثاني الذي استصوب رأي الفيكنت فيليب دي طرازي وأثنى عليه . وما كاد يمرّ على عهد جالوسه البطريكي اثنان وثمانون يوماً حتى بدّل توقيعه الاول « اغناطيوس افرام رحمان » بتوقيعه الجديد « اغناطيوس افرام الثاني » طبقاً للتقاليد المرعية في الكراسي الرسولية ووفقاً للرأي السديد الذي ابداه الفيكنت المشار اليه . يؤيد ذلك ما كتبه هذا الخبر الانطاكي بتاريخ ١٤ كانون الثاني ١٨٩٩ في جوابه الى كاتب

التقريرين المذكورين قال :

«... ولنأت الآن الى الجواب عن مسألتين عرضتموهما علينا. ولنا أولاً ان نقرّظ غيرتكم على الطائفة وعلينا. ونشي على ذكائكم ثم نقول : نعم اننا في توقيع امضائنا قد رأينا من الواجب ان نسلّك بموجب العادة القديمة التي عليها يجري الاجار الرومانيون الى يومنا الخ. وينبغي كذلك ان يكون ختمنا بالحرّ الاحمر...»

بهذه الوسيلة تجدد استعمال تلك التقاليد الماثورة التي ورثناها عن آباءنا منذ العصور الغابرة . وقد شاعت الآن هذه التسمية العددية بين الخاصة والعامة اذ ايدها اصحاب الشأن وقرروها بعد اهمالها قروناً عديدة . ومن شاء زيادة ايضاح عن هذه القضية فليراجع ما اورده عنها الفيكنت فيليب دي طرازي في توطئة كتابه « السلاسل التاريخية في اساقفة الابريشيات السريانية » . ونحيل القارئ اللبيب ايضاً الى مطالعة سلسلة بطاركة السريان في الكتاب نفسه من الصفحة ٤٠٩ الى الصفحة ٤١٥ .

لا ريب في ان هذه السلسلة هي الاولى من نوعها اذ لم يسبق لاحد من كتبة السريان ومؤرخيهم ان ينشر قبل الفيكنت دي طرازي سلسلة وافية لبطاركة هذه الملة تضاهيها بالدقة والضبط والكمال ورتبة الاسماء العددية^(١) . ويستطيع المؤلفون بعد الآن ان يستندوا بكل ثقة الى هذه السلسلة التاريخية ويتخذوها دستوراً صحيحاً لاجرائهم عن البطيركية السريانية الانطاكية .



(١) سبق حضرة الفيكنت فيليب دي طرازي الفاضل فاطمنا على فكرته هذه المصيبة . وقد اعتمدنا عليها وضيطنا اسماء بطاركة السريان الانطاكيين طبقاً للسلسلة العددية في كتابنا « الزهرة الزكية في البطيركية السريانية الانطاكية » الذي نشرناه عام ١٩٠٩ فوجب اذاً ان نكرر هنا لحضرة الجليلة عاطفة الشكر والامتنان .

الفصل الخامس

آل طرّازي والبطريك مار اغناطيوس افرام الثاني

ما كادت تمرّ سنوات اربع على بطريكية السيد اغناطيوس افرام الثاني حتى طرأت له مشاكل صعبة اختلقها اعداء الخير الذين اعتادوا ان يسطادوا في الماء العكر . فنغصت عليه عيشه وسببت له ضعفاً لزمه سائر ايام حياته . وقد تحمّل البطريك المغبوط تلك المعاكسة العنيفة بصبر جميل وقلب جري . يجدر بن كان في مقامه الروحاني العالي . غير انه معاً تدرّع به من الحكمة والتؤدة في فض تلك المشاكل لم يرَ من ملققيها الا الاسترسال في تحسيمها . ولما كان هذا الخبر الانطاكي متكلّلاً في جميع شؤونه على العون الالهي اثر التنحي عن الكرامة البطريكية بلّ رضا . اذ كان يخشى ان تزداد تلك العراقيل تعقداً فتفت في ساعده عن مواصلة المساعي في تعزيز رعيته واعلاء شأنها . ومن ثم رفع بتاريخ ٢ آب ١٩٠٢ استقالته الى الخبر الاعظم البابا لاون الثالث عشر في رسالة برقية ذات ثلاث صفحات كبيرة كتبها باللغة اللاتينية . ونظراً لثقتهم التامة بالفيكننت فيليب دي طرّازي كلفه ان ينقلها بنفسه الى ادارة التلغراف ليكون على ثقة من ايصالها الى مرجعها . ثم نوى ان يرتحل فوراً الى عاصمة الكشلكة ليؤيد استقالته بين يدي الخبر الروماني .

اما مدير التلغراف فانه بلغ رشيد بك والي بيروت مآل تلك الرسالة البرقية لخروجها عن مألوف العادة . وكان الوالي يوم ذاك ملازماً فراشه في مصيفه بعاليه على اثر عملية جراحية أُجريت له . فاخذ الدهش من ذلك الحادث الفجائي واستقدم الاب جوردان الفرنسي لينقل له البرقية عن اصلها اللاتيني الى اللغة الفرنسية . وما وقف الوالي على فحواها حتى ازداد استغرابه وارسل فاستدعي عميد آل طرّازي واستطلع له الامر ليرفعه بدوره

مفضلاً الى المابين الهايوني في الاستانة . فاخذ العميد يسرد على صديقه الوالي تلك التفاصيل التي رُفعت بكل أمانة وسرعة الى العرش السلطاني .

ولما كان يتعذر على السيد البطريك ان يسافر الى بلاد خارجة عن السلطنة العثمانية دون ارادة شاهانية رغب الفيكنت دي طرازي الى صديقه الوالي ان يبادر الى استعداد ارادة سنية تؤذن لعبطته في السفر الى رومية دون ترتب . فاجاب الوالي الى إلحاحه واستحصل امراً من السلطان عبد الحميد بتسهيل سفر السيد البطريك حالاً في اليوم التالي .

ركب البطريك الانطاكي في ٤ آب احدى بواخر شركة المساجري ماريتيم الفرنسية مستصحباً السيد اقليميس ميخائيل نجاش مطران دمشق الذي كان يعول البطريك على اخلاصه في جلائل الامور ويثق بسداد رأيه في اصعب الخطوب . فركبا كلاهما قاصدين عاصمة الكثرة . ولم يطلع على هذا الحادث الخطير احدٌ من ابناء الملة وغيرهم سوى آل طرازي فقط . ومن ثم نهض هولاء نهضة الابطال مستأثرين بقول من قال : « للشدائد تذخر الرجال » . وانفذوا الرسائل البرقية فوراً الى ابحار الملة والى النواب البطريكيين واعيان الابشيات في جميع الانحاء يطلعونهم على ما جرى . ثم استحثوهم على رفع الاحتجاجات الى الكرسي الرسولي في رومة برفض قبول استعفاء البطريك المعبوط . فلبى الجميع نداءهم من كل صوب واتفقت كلمتهم على رفع العرائض البرقية والبريدية الى الحبر الروماني في تأييد البطريك في منصبه ورفض استقالته مصرحين بانهم ان يرضوا عنه بديلاً . وبتاريخ ١١ آب ١٩٠٢ وصل البطريك الانطاكي الى رومية . وفي اليوم التالي قابل البابا لاون الثالث عشر مكرراً على قداسته طلب الاستعفاء . فما كان من الحبر الاعظم الا ان طيب خاطره ثم باداهه بقوله : « لسنا نريد ان نسمع منك ايها الاخ المحترم لفظة الاستقالة . لان ملتك محتاجة الى حسن تدبيرك والشرق مفتقر الى ابحار نظيرك يرشدونه بفضائلهم وينيرونه بعارفهم . وكيف يمكننا قبول استقالتك وهذه برقيات

جميع مطارنتك ونوابك واعيان ملتك تحتجُ على ذلك معلنة لنا بضرورة تأييدك في منصبك ؟ فنروم ان ترجع الى كرسيك لرعاية الخراف التي استودعتك اياها العناية الالهية . ومن صميم القلب ندعو لك وللمطارنة معاونيك ولاقليرسك وجميع الشعب السرياني بالتوفيق في كل ما يعود الى مجد الله وخير الكنيسة » .

فلم يتالك البطريك عن الانقياد لصوت خليفة هامة الرسل الذي لطف احزانه بتلك العبارات الرقيقة والعواطف السامية . وبالتالي حنى منكبيه احتراماً لارادة الله تعالى وتحقيقاً لاماني الامة السريانية جمعا . لاعتقاده الراسخ ان « صوت الشعب صوت الله » .

وبعد ما اقام البطريك بضعة اسابيع في رومة رأى من الواجب واللياقة ان يعرج في عودته على عاصمة السلطنة ليؤدي فروض الاجلال والاخلاص للحضرة الشاهانية . بيد انه ما وصل الى تلك العاصمة حتى اعترضته مشاكل جديدة أقوى من الاولى دبرها بعض الوشاة ليحولوا دون رضى السلطان عليه وعلى ملته . فوقع البطريك في مأزقٍ حرج . ولو لم تداركه العناية الصمدية لتعذر عليه الخروج منه .

وقف آل طرازي على خبر تلك المكيدة الخبيثة فاهتموا لاستئصال شأفتها اهتماماً جدياً . وراحوا يتداولون مع صديقهم الوالي رشيد بك في اتخاذ الذرائع الفعالة لرفع تلك التهم عن بطريركم الصالح السريّة . وتم الاتفاق بينهم وبينه على ان يبعث هو بتلغراف الى المهابين الهايوني ينفي فيه تلك الاشاعة الكاذبة ويؤدي في حق البطريك شهادة صريحة تؤيد اخلاصه للعرش السلطاني . ثم سألوا الوالي ايضاً ان يرسل الى جميع الولايات المشتملة على جماعات سريانية كاثوليكية يطلب الى ولايتها ان يرفعوا الى المرجع الاعلى في الاستانة رسالات برقية تنفي تلك الوشائات المزورة .

نجحت تلك الجهود والحمد لله نجاحاً باهراً وظهرت الحقيقة ظهور الشمس في رابعة النهار . وعلى اثر ذلك تبدل سخط السلطان بالرضى عن

البطريرك وعن ملته التي كانت في كل آن ومكان من أطوع الملل وافرها اخلاصاً لدولته . ودلالةً على رضاه امر ان يقابله البطريرك بمقابلة خصوصية . وبعد ان اعلن لغبطته اثناء تلك المقابلة رضاه التام عنه وعن ملته جمعاء أهدى اليه الوسام المجيدي المرصع الذي لم يكن اهداه فيما سلف الى بطريرك يقيم خارجاً عن دار السلطنة .

وكما تجنّد آل طرّازي في بيروت تجنّد صديقهم الدكتور لويس صابونجي ايضاً في القسطنطينية لانقاذ البطريرك الانطاكي من تلك المكيدة الشيطانية . وكان الدكتور في ذلك العهد كاتباً خاصاً ومستشاراً سياسياً للسلطان المشار اليه .

على هذا الاسلوب انحلت هاتان المشكلتان الخطيرتان وعاد كيد اعداء الخير الى نحرهم . ثم سافر البطريرك راجعاً الى كرسيه في بيروت معزّزاً منصوراً يرافقه السيد اقليميس ميخائيل نجاش الذي تعهّد كل مدة السفر بالعباية والاجلال . وجرى لاستقباله مهرجان خارق العادة لم يجر مثله لبطريرك سرياني قبله . وقد احتفل البيروتيون حينذاك وفي طليعتهم آل طرّازي احتفالاً عظيماً برجوع راعي رعاتهم المغبوط . فاقاموا الولاثم ونصبوا معالم الزينة ابتهاجاً بانتصاره واعترافاً بفضله وتعزيزاً لرفعة مقامه .



القسم الثالث

آل طرّازي والملة السريانية عموماً

الفصل الاول

آل طرّازي ودير الشرفة

تشتمل مكتبة آل طرّازي كما قلنا غير مرّة على مجلدات ضخمة تحت عنوان «العقد الثمين في رسائل الآباء الى البنين» وقد نُحِصَ المجلّد الثامن منها بمجموعة الرسائل التي اوفدها رئيس دير الشرفة الخوري ميخائيل ازرق الى الاسرة الطرّازية منذ ٢٢ كانون الثاني ١٨٥٣ حتى ١٦ تشرين الاول ١٨٧٥ . ذلك لان آل طرّازي كانوا متولين قضاء شؤون الدير المشار اليه في بيروت وسوريا واوربا وانحاء شتى .

وما عدا نهوض آل طرّازي بشؤون دير الشرفة طبقاً لوكالتهم الشرعيّة فقد ادّوا له من الخدم المجانيّة ما سجّله لهم الرؤساء بالثناء الخالد . ومدّوه ايضاً بتبرعاتهم السخيّة وساعدوه في آونة الضيق كما يظهر جلياً من الرسائل الوافرة التي انفذها اليهم رؤساء ذلك المعهد المبارك . وعلى سبيل المثال نورد فقرة من رسالة كتبها الخوري ميخائيل ازرق رئيس الدير المشار اليه في ٢٥ تشرين الاول ١٨٦٥ وهي :

« . . . ثم ان ما تفضلتم بارساله ليها مجيدية خمسة وعشرين^(١) على وجه الاحسان لديركم المغمور بافضالكم فقد احتسبناه فضلاً محضاً صادراً من قبل شيمكم الحميدة . لان ديركم مديون لغيرتكم وسوابق افضالكم . فنسأله تعالى ان يزيدكم نعماً وبركات . ونتوسل الى سيّدة النجاة صاحبة المقام ان تكون عطيتكم مقبولة لديها وتضاعف اجركم دنيا واخرى . وتحرسكم مع عيالكم من كل كدر على الدوام . . . »

وقد سبقنا فذكرنا في الفصل الثاني من القسم الاول تحت عنوان « آل طرّازي وتكوين الملة السريانية في بيروت » صفحة ١٨ ما كتبه العلامة الدكتور لويس صابونجي بتاريخ ٣٠ نيسان ١٩٢٨ الى الفيكنت فيليب دي طرّازي ممّا يؤيد حقيقة ما نحن في صددده . والآن نضيف الى ذلك ما كتبه الطيّب الذكر مار اغناطيوس فيلبّس الاول الى الكنت نصرالله دي طرّازي من دمشق بتاريخ ١ حزيران ١٨٦٧ ونصّه :

« . . . فيا حضرة ولدنا العزيز انكم تعرفون انه لا يوجد لنا مساعدون سوى بعض ذوات قلائل الذين أخصهم انتم . وحضرتكم اكبر المساعدين لدير الشرفه من زمن والدكم المرحوم . . . »

وما عدا اهتمام آل طرّازي بتعزيز دير الشرفه فانهم كانوا يكابدون مشقات السفر اليه ركوباً على الخيل قبل انشاء الطرق الحديثة العهد . وكانوا يقصدون ذلك المعهد المقدس كلما دعت الحال وكلما جرى فيه احتفال من الاحتفالات الدينية كتصويب بطاركة وسيامة اساقفة او كهنة . وفي هذا الدير سيم سليلهم الخورفسقوس اندراوس طرّازي كاهناً بتاريخ ٨ كانون الثاني ١٨٥٤ بعد ما تلقن فيه العلوم الكهنوتية . وهو باكورة الكهنة الذين

(١) الليرة المجيدية هي عين الليرة العثمانية الذهبية المتداولة في يومنا . وقد سُميت « مجيدية » نسبةً الى السلطان عبد المجيد الاول (١٨٣٩ - ١٨٦١) الذي كان اول من أوجد نقوداً ثابتة في السلطنة العثمانية . وما قلناه عن الليرة المجيدية يقاس ايضاً على الريال المجيدي وفروعها .

رقاهم مار اغناطيوس انطون الاول الى الدرجة المقدسة في اول عهد بطريركيته .

على ان آل طرازي كلما كانوا يقصدون ذلك الدير الشريف كانوا يجودون عليه بيد سخية عربوناً لاعتبارهم له وتعزيزاً لمقامه . ولما تفشى الهواء الاصفر (الكوليرا) في بيروت عام ١٨٦٥ ارسل الخوري ميخائيل ازرق رئيس الدير يستدعيهم اليه ويصرح لهم بانه قد اُخلى جميع الغرف وهيأها لهم ولانسابهم كي يقضوا فيها فصل الصيف . وقد لبى آل طرازي دعوة الرئيس الجليل ويمموا ذلك الدير ونصبوا في ساحته خياماً خصوصها بسكناهم ريثما تمكنوا من تنظيف الغرف وتجهيزها على نفقتهم بالاثاث الجديد بدلاً من الاثاث القديم . هكذا قضوا في ذلك الدير اربعة اشهر حتى انقشعت سحابة الكوليرا عن بيروت . فلما عاد الرئيس والتلاميذ من ميروبا شاهدوا الدير في حالة جديدة غير الحالة التي تركوه فيها . فأطلق الرئيس لسانه بالثناء على اريحية آل طرازي وشكرهم تلك المكرمة التي لم تحظر بباله .

وزد على ذلك كله انه لما باشر البطريرك مار اغناطيوس جرجس الخامس بناء كنيسة جديدة في دير الشرفة عام ١٨٧٥ تبرع آل طرازي في هذا السبيل بمبلغ ٤٢٩٠ غرشاً ذهباً كما هو مثبت في سجل الدير المومأ اليه . وقد تلقى الكنت نصرالله دي طرازي دعوة رسمية وجهها اليه البطريرك مار اغناطيوس جرجس الخامس في ١٨ تموز ١٨٨٨ ليحضر الاحتفال هو والجاله الاربعة بافتتاح مجمع دير الشرفة واختتامه . وقد القى نجله الثالث الفيكنت فيليب في اليومين المذكورين خطبتين نفيستين على المائدة . ودبج خطبته الثانية بايات شعرية ختمها بيت تاريخي لعقد ذلك المجمع الشهير هذا نصها :

اجبار ملتنا اقاموا مجعاً نالوا به في الشرق أبعد شهرة
للدين والتهذيب خير شرائع ستوا بعهد البطرك ابن الشلحت



فتح الله طرازي

۱۸۹۲ — ۱۸۳۵

أحيوا رسوماً قد عفت آثارها من خاليات الأعصر الرسليّة
 فقصوا بذلك مُنيّة كُنا الى تحقيقها نسعى لفخر الملة
 سقياً لهذا البطريك فعهده برئاسة السريان زاهي الطلعة
 لا غرو فهو يمين تاريخ أب فيه لهم شرفٌ بجمع شرفة

١٨٨٨

وكان لخطائيّ القيصكنّت فيليب رنة استحسان لدى اخبار الملة قاطبة .
 فطلبوها منه رسمياً ليُدْرَجاً في أعمال المجمع فلبى طلبهم . ولما ارسل نصّ
 الخطاب الاول بعث اليه المطران ربّولا افرام رحاني برسالة مؤرخة في ٢٨
 تموز ١٨٨٨ جاء فيها : « ... قرأت النطق الذي تلوثه حين الطعام والذي
 اتحقتني بنسخة منه فطاب لي جداً . وقد أمرتُ الكاتبُ بنقله الى كتاب
 اخبار مجمعنا ... أعدُ النفس وأمنيّها بانك طبقاً لوعدك ستأتينا الى الشرفة
 وتلبث لدينا أياماً ... »

ولما قررت حكومة جبل لبنان عام ١٨٩٤ مدّ طريق العربات من
 جونبة الى صرود كسروان فرضت على القرى والديورة المجاورة للطريق
 مبلغاً من المال . فارتضى رئيس دير الشرفة ان يدفع مائة ليرة عثمانية ذهبية
 بشرط ان تمرّ تلك الطريق بجانب الدير . غير انه لما باشرت الحكومة هذا
 المشروع وطالبت المكتتبين ان يؤدّوا ما عليهم تمتع وكيلا الدير عن الدفع
 ظناً منهما ان الحكومة تغض النظر وتعفي الدير مما تعهد به . بيد ان
 الحكومة شدّدت الطلب على الوكيلين توصلاً الى حقوقها المشروعة . فوقع
 الخورفسقفوس بولس هبرا رئيس الدير في مأزق حرج بداعي تعنت الوكيلين
 وأخذ يستعطف اهل الحل والعقد فلم يفرز بالنتيجة المرضية . وحين ذاك
 استنجد آل طرازي اصدقاء دير الشرفة منذ قديم الزمان راجياً منهم ان
 يتوسطوا بين حكومة لبنان وبينه لحل الخلاف . فعرض آل طرازي هذا
 الامر على صديقهم نعيم باشا متصرف جبل لبنان وسأله ان يحقّض المبلغ
 الى خمسين ليرة عثمانية ذهبية بدلاً من المائة ليرة . فاجاب الباشا الى طلبهم

كرامة لحاظرهم وحسماً للخلاف الذي طال مداه .
 لكن الحكومة كانت قد بدلت اثناء تلك المفاوضات تخطيط الطريق
 وقررت بداعي الاختلاف مع الوكيلين تحويله عن دير الشرفة . وهكذا
 أصبح الدير بعيداً عن الطريق العامة وحُرم سكانه منافعها . وقد اقرّ
 الوكيلان بغلظهما بعد ما شاهدا بأمّ العين ما ينجم من الفوائد العظيمة عن
 انشاء الطرق العامة . وفي السنة ١٨٩٧ رأى الرؤساء ان لا مندوحة لهم عن
 ايصال الطريق الى الدير فانفقوا في سبيل ذلك اضعاف المبلغ الذي سبقوا
 فدّونوه في الاكتاب . واصبحوا علاوة على ذلك مضطرين ان ينفقوا كمية
 من المال سنة فسنة على حساب الدير لاجل تعبيد تلك الطريق الخاصة
 والمحافظة عليها .

وفي السنة ١٨٩٧ توجهت الكونتس منّة دي طرازي وانجالها قاصدين
 ميروبا لقضاء فصل الصيف . فعرجت في طريقها على دير الشرفة حاملة معها
 ثمانية شمعدانات جميلة التحفت بها كنيسة سيّدة النجاة عاينها السلام .
 وفي السنة ١٨٩٨ انطلق الفيكنت فيليب دي طرازي الى الدير عينه
 وتبرّع بمبلغ من المال ينفق على تبليط الممشى التحتاني والغرف المحيطة به .
 وكان ذلك في عهد رئاسة الخورفسقفوس بولس هبرا . ولم يكتفِ الفيكنت
 بمساعداته المالية للدير في كل مرة كان يزوره بل أسنى اليه من الهدايا
 الثمينة والتحف القيّمة والرسوم النادرة والخرائط التعليمية ما خلد له فيه
 اجل تذكّار .

وقد دفعته محبته لهذا الدير وغيرته على تعزيز شأنه الى ان ينشئ له
 تاريخاً مفصلاً مستوفى سمّاه « التحفة في تاريخ دير الشرفة » جمع فيه أخبار
 ذلك المعهد المالي فأورد فيه حوادث تأسيسه والمحسنين اليه . وأخبار كنيسته
 والمجامع التي عقدت فيه . ثم أثبت حوادث مطبعته ومدرسته ومكتبته .
 وأسهب في ذكر السادة البطارقة الذين اقاموا فيه والكهنة الذين تولوا
 رئاسته والاحبار الذين اشتهروا بين تلامذته . ومرد اسماء الكتبة الذين

نبغوا من طلبة مدرسته مع عناوين مؤلفاتهم . الى غير ذلك من الفصول التي يتوق الى مطالعتها ذوو البحث عن آثار الشرق والشرقيين . وقد ضمن المؤلف هذا التاريخ فوائد كثيرة لم يسبقه الى ذكرها احد من ابناء الملة الكلدانية كان ام عالمياً . فاستحق على عمله الشناء المتواصل والذكر الجليل الخالد من ابناء الملة عموماً ومن تلامذة الشرفه خصوصاً .

ولا بأس ان نضيف الى ما سبق ذكرى مكرمة جليلة اتاها الفيكنت فيليب المشار اليه عربوناً لمحبه واعتباره لدير الشرفه وحرصاً على آثاره المقدسة . فانه اعتنى عناية خاصة بصورة سيده النجاة التي كان المثلث الرحمت مار اغناطيوس ميخائيل الثالث مؤسس الدير يستصحبها في اسفاره . وقد كانت تلك الصورة مهجمة منسية وكان مصرعاها مبعثرين في زوايا الدير . فجمع الفيكنت حرسه الله كل ذلك وكلف احد الرسامين المشهورين باعادة الصورة الى رونقها القديم . ثم استصنع لها صواناً من البلور والخشب الممتاز ونصبها في مذبح الدير الكبير .

ومما نذكره لهذا الفيكنت الغيور الهام انه لما بلغه ان الحكومة الايطالية استولت على دير السريان الكاثوليك في رومية^{١)} وحوطته الى بيوت للسكنى خشي ان تأخذ يد الضياع ضريح منشئه الخير الجليل السيد اثناسيوس سفر العطار (١٩٢٨) مطران ماردن . فكتب حالاً الى صديقه الخورفسقوس يوسف هبرا الوكيل البطريركي في رومية وطلب ان يرسل اليه هامة الخير المشار اليه لتحفظ في دير الشرفه . فلما استحضرها هياً لها الفيكنت صندوقاً من خشب وزجاج واستكتب تاريخها ووضعها في مكتبة الدير كذخيرة ثمينة الى هذا اليوم .

والى الفيكنت فيليب يرجع الفضل ايضاً في احياء ذكر أقدم الذئ احسنوا الى دير الشرفه او بذلوا افعالهم لاجل تأسيسه . فانه كتب الى البلاط

(١) طالع اخبار هذا الدير في كتاب « السلاسل التاريخية » صفحة ٣٥-٣٦ مؤلفه الفيكنت فيليب دي طرازي .

الملكي في اسبانية وطلب رسمياً صورتي الملك كراس الرابع وزوجته الملكة ماري لويز كي ينصبهما في دير الشرفة تحليداً لذكر هذين العاهلين وعرفاناً لاحسانهما . وما ان وصلت اليه صورتا الملكين المشار اليهما حتى بادر الى تكبير حجمهما على نفقته . ثم وضعهما ضمن إطارين وزين بهما بهو ذلك الدير العامر .

ومن حسنات القيكنت فيليب دي طرازي انه اعتنى بجمع اهم الوثائق واقدماها التي كانت مبعثرة في زوايا دير الشرفة . فرتبها واحدة فواحدة ثم ضمها الى بعضها واحضرها الى بيروت وأوعز الى مدير المطبعة الكاثوليكية ان يجلبها بعد اصلاح ما تمزق منها . وما صنعه بتلك الوثائق الثمينة صنعه كذلك بالسُّسْطاشيقونات البديعة التي خلفها الاجداد وكاد يذهب الدهر برونقها لتراكم الغبار عليها او لكثرة تداولها بين ايدي من لا يدرك قيمتها التاريخية . فأرشدته فكرته الواسعة الى اتخاذ وسيلة مشكورة لوقايتها والحرص عليها . وهي انه احضرها ايضاً الى بيروت وكلف بعض ذوي الفن الشرقي باعادتها الى حالتها القديمة من دون ان يعتورها خلل . ثم الصقها بقماش متين واستصنع لكل منها صواناً خاصاً به يبقى محفوظاً ضمنه على كرور الاحقاب . وأهدى كذلك الى متحف دير الشرفة محفظة تحتوي على أثر من حلية العلامة السيد اقليميس يوسف داود مطران دمشق وعلم علماء الملة السريانية في القرن التاسع عشر رحمه الله تعالى .

وبما لا يسعنا ان نغمض عنه في هذا المعنى ان القيكنت حرصه الله رأى أن اضرحه البطاركة والاساقفة المدفونين في مصلى دير الشرفة خالية من أثر ظاهر يذكر الخلف بالسلف . فاقترح ان تقام في جدران هذا المصلى القديم صفائح رخامية ينقش على كل منها اسم حبرٍ من اولئك الاجبار مع تواريخ ولادته وسيامته ووفاته . فيكون ذلك مدعاة الى تجديد ذكرهم الطيب والترحم على نفوسهم . وتحقيقاً لهذه الفكرة الصالحة سبق فاستصنع صفيحة رخامية نقش عليها اسم السيد كوارتس انطون دياربكرلي اول

اساقفة السريان في بيروت . وهي اول صفيحة من الصفائح التذكارية التي دُبيج بها المصلّى المشار اليه . ومذ ذاك العهد اخذ رئيس الدير وسكّانه يقصدون هذا المعبد المهيب كل يوم سبت بعد صلاة الغروب لاقامة تسمشت (**المصحة**) الموتى عن ارواح الاحبار الراقدين هناك بالرب .

ولما ضربت المجاعة اطناها في انحاء جبل لبنان اثناء الحرب العظمى (١٩١٤ - ١٩١٨) وقع دير الشرفة في عسر مالي شديد لم يسبق له مثيل منذ تأسيسه . لانه نكب حين ذاك بتناقص وارداته وزيادة نفقاته وتكاثر عدد سكّانه . فاضطرّ الى استقراض الاموال بفائدة باهظة للقيام بمعيشة جميع النازلين به واللاجئين اليه والمحتاجين الى احسانه^(١) . فحرّكت الشفقة عواطف الفيكنت فيليب الذي نهض حالاً وسعى في ارسال ثمانية عشر قطاراً من الحنطة على سبيل المساعدة الى الدير لوجه الله تعالى . وقد تسامها وقتئذ المونسنيور افرام حيقاري الذي كان رئيساً على ذلك الدير اثناء الحرب . ولم يقف الفيكنت عند هذا الحدّ من المساعدة للدير المذكور بل بعث اليه على يد الرئيس المشار اليه مرات شتى بكميات وافرة من الالبسة التي خاطتها والدته وزوجته وشقائقه بايديهنّ لتوزع على تلامذة دير الشرفة وعلى اكثر الفقراء المقيمين حوله . واجتهد كذلك مع زوجته السيّدة اوجيني في انقاذ حياة ستين ولداً ذكوراً واناثاً من سكان القرى المجاورة لهذا المعهد المبارك أو من أولاد مزارعيه في بقعاتا وميروبا ورعشين ومزرعة كفرديان وغيرها بادخالهم الى المآوي الخيرية والمطاعم المجانيّة^(٢) في بيروت . واليك فقرة من رسالة وجهها المونسنيور افرام حيقاري الى الفيكنت فيليب

(١) لدى حلول تلك الضائقة المالية لجأ المونسنيور افرام حيقاري رئيس دير الشرفة الى اربحية الفيكنت فيليب دي طرّازي . وكتب اليه بتاريخ ٥ تشرين الاول ١٩١٧ يسأله ان يجد له شخصاً يقرض الدير مبلغاً من المال . فاجاب الفيكنت بكل ارتياح الى سوّاله وانجز رغبته .

(٢) تؤيد ذلك رسالتان وجهها البطريرك مار اغناطيوس افرام الثاني من قرية ميروبا الى الفيكنت طرّازي بتاريخ ١٩ و٩ ايلول ١٩١٧ .

بتاريخ ٢١ تشرين الثاني ١٩١٦ توفد ماسبق بيانه قال :

«... اني اشكركم تكراراً على شحنة الثياب الثانية التي تكرمتم بها لتوزع على الفقراء المساكين . وكل الذين أصابهم منها شي . رفعوا الادعية الحميمية الى الغزة الالهية بشأنكم وشأن عائلتكم الكريمة . فاقدم لجنابكم امتنانهم الخالص . والله المسؤول ان ينجحكم الاجر الوفير وهو القائل : « كنت عرياناً فكسوتوني »

ومن جملة الايادي البيضاء التي جاد بها الفيكنت فيليب على دير الشرفة اثناء الحرب الطاحنة انه ارسل اليه كمية وافرة من القرايطس لاجل الكتابة . وكان الورق في ذلك الوقت العصيب غالي الثمن ونادر الوجود . فكتب رئيس الشرفة المنسنيور افرام حيقاري عينه الى المحسن المشار اليه بتاريخ ٨ تشرين الثاني ١٩١٢ قائلًا : « تشرفت بكتابكم وبه تعلموني بارسال رزمتين كبيرتين من الورق لكتابة الرهبان . قد استلمت الورق المذكور وهي بالحقيقة هدية ثمينة خاصة في هذه الاونة . فرأيت ان اشرف وارفع اليكم اعظم الشكر على اياديكم البيضاء . وصار سائر التلامذة الرهبان يتذكرونكم ويصلون لكم وللعائلة ليس مرة في اليوم بل مرات عديدة لدى كتابة فروضهم الخ » . وما عثم ان اعاد الرئيس ذاته الكررة فطلب ايضاً بتاريخ ٥ تموز ١٩١٨ كمية اخرى من الورق فلبى الفيكنت طلبته بكل ابتهاج .

وقد قدر الرؤساء للفيكنت فيليب فضله وجميله وتحدثوا بعبقريته ومكارمه . وأبدوا له عواطف الشكر خصوصاً لما تبرع به على مكتبة دير الشرفة من نفائس الكتب والمخطوطات . فكتب اليه السيد المطران اقليميس ميخائيل نجاش رئيس الدير رسالة مؤرخة في ٥ تشرين الثاني ١٩٢٥ نقطف منها ما يلي :

«... كن على ثقة ايها الوجه الارمجي ان الشرفة ستشيد بمكارمك وتثبت في الملا جميلك عليها ونعمك اليها ما قامت آثارها . وتذكر بنينا على

تعاقب الزمان بما تقرأه عليهم من سجلات المحسنين اليها : ان آل طرازي وعلى الخصوص الفيكنت فيليب كان من محبيها ومن المفضلين عليها . وتوجب عليهم الصلاة عليك حياً واستمطار غيوث الرحمة والرضوان من بعد العمر الطويل عليك راقداً . هذا وزغب الى فضلك ان تتم يدك فتخص خزانة كتبها برسمك فيزينها تخليداً لحسن آثارك وآية لاعترافها باجلال قدر المحسنين اليها . . . » .

وكتب اليه ايضاً خافه في رئاسة الدير الحور فسقفوس جرجس ستيتيه (مطران دمشق حالياً) رسالة مؤرخة في ١٥ كانون الثاني ١٩٣١ ورد فيها ما نصه : « . . . فان لجنايبكم على شرفتنا وشرفتك من الايادي البيضاء . والنعم القراء ما يجعلنا مدى الدهر ننشر الآءكم ونذيع مكارمكم » .

وخلاصة القول اننا لا نعرف رجلاً سريانياً جاد على دير الشرفة بالتحف الشمينة كالفيكنت فيليب دي طرازي . فان ولعه بتعزيز مكتبته جعله ان يضرف الايام الطوال في تنظيمها وتبويب مواضعها وتجليد قسم وافر من مصاحفها . ثم أهدي اليها نيفاً وألفين واربعائة مجلد ونحو المائة والثمانين كتاباً مخطوطاً . وبين هذه المخطوطات طائفة من المجلدات التي ألفتها الفيكنت وكتبها بخط يده ولم يتيسر له نشرها . فكانت تلك العوارف باعاً ليشني على أريجته جميع محبي المعهد المذكور وفي مقدمتهم غبطة السيد البطريوك مار اغناطيوس جبرائيل الاول . فانه انفذ اليه بتاريخ ٢٠ ايلول ١٩٣٠ رسالة نفيسة نجعلها مسك الختام لهذا الفصل . واليك نصها :

« اغناطيوس جبرائيل الاول البطريوك الانطاكي

« حضرة ولدنا السري الفاضل الفيكنت فيليب دي طرازي امين دار الكتب الكبرى ببيروت الاكرم رعاه الله تعالى

« نهدي اليكم البركة الرسولية والسلام والمحبة بالرب
« أما بعد حمد الله عز شأنه فنقول : لئن قام في بني السريان رجالات

عظام من ارباب الكهنوت امتلاوا غيرة على صالح الطائفة وبذلوا النفس
والنفيس في سبيل اعلاء منارها ورفع شأنها فلم تحرم الامة ما بين ابنائها
العالمين ممن ضاهوا اولئك الاعلام في غيرتهم وبذل نفسهم وذات يدهم
في هذا السبيل .

« وليس من مقصودنا في هذه العجالة تعداد المبرزين في هذه الحلة من
تinzك الطبقتين ولا وصف ضروب الخير المتعددة التي آتوها الامة . بل
نقصر الكلام على احدى المآثر — وقد دعانا الى ذكرها تفقدنا خزانتي كتب
دير كرسينا البطريكي في الشرفة — ونأتي بشاهدين من الفتين المذكورتين
على ما قدمنا .

« لا غرو ان السعي الحثيث في انتقاء الكتب النفيسة والمؤلفات الثمينة
وتوفيرها في كل فرع من فروع العلم الصحيح والفنون الجميلة وتأليف
خزانة صالحة منها ووقفها على معهد يزاوله الساعون في نشر الفضيلة والعلم
والادب . ويختلف اليه المدعوون ليكونوا يوماً قادة الامة ونبراسها هو من
اقوى العوامل على فلاح تلك الامة وانجح الوسائل في رفعتها ورفع
قدرها .

« ولقد أفينا من جملة الناشطين لهذا العمل طبقاً للآثار التي طالعناها في
خزانتى معهد الشرفة البطريكي فردين كريمين وشاهدين كبيرين من الطبقتين
يدعونا الواجب ان ننوه باسمهما خصوصاً :

احدهما هو سالفنا المجيد الطيب الذكر السيد اغناطيوس ميخائيل الثالث
من اسرة جروة النبيلة مؤسس هذا دير كرسينا الانطاكي . فقد عانى هذا
الحبر القديس على قلة ذات يده الامرّين في جمع طائفة صالحة من تلك
المصاحف بالسريانية والعربية . منها ما وضعه هو نفسه . ومنها ما نسخه
بخط يده المباركة . ومنها ما استنسخه غيره . ومنها ما هو منشور بالطبع
اشتراه بآله . وقد ضم الى هذه المؤلفات ما كان في حوزة والده الشاس
نعمة الله وشقيقه الكاثلير جبرائيل . ثم وقف مجموع ذلك كله على

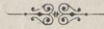
دير الكرسي البطريكى . يؤيد ذلك الصكوك والمخطوطات الشتى المصونة بكل حرص في سجلاته وفي داري كتبه كليهما .

« اما الشاهد الثانى من فئة العالمين فاننا بل الارتياح والمفاخرة نثبت اسمكم الكريم ونأتى بكم حجة دامغة وشاهد لا يدافع ايها الابن الحبيب يا حضرة الفيكت فيليب دي طرازي النبيل . فهذه كتبكم الوافرة اليتيمة من منظوم ومنثور وعلوم وفنون . ومن مخطوط نادر ومن منشور بالطبع قيم باللغات المختلفة . وقد صرفتم في تأليفها او نسخها بخط يكم العمر والسهر الطويل . او انفقتم في سبيل الحصول عليها البدانير الوهاجة . واصبحت اليوم تزين خزانتي كتب الشرفه المخطوطة والمطبوعة ووسمت باسم واقفها الكريم . فهذه الكتب لى بيتات ناطقات بغير تكلم المتقدمة المتأججة على صالح الامة وبفضلكم المتواصل على معهد الشرفه المقدس وبكرم تلك العترة الطيبة الاصول والزكية الفروع التى تنتمون اليها وهى عترة آل دي طرازي الشريفة .

« اننا نتمتع هذه الفرصة ايها الابن العزيز الغيور لنثني الثناء الجميل على اريحييتكم . بل نشكر لكم الحديث والقديم من عوارفكم . ونسأل المولى المنان ان يزيدكم فضلاً ويتولى عنا وعن دير كرسيتنا الانطاكي مكافأتكم فى الدارين .

« وفي الختام ندعو لكم من صميم القلب بمزيد التوفيق وطول البقاء . ثم نهدي اليكم تكراراً الى افراد لسرتكم الكريمة البركة الرسولية والسلام والمجبة بالرب . حرسكم المولى واياهم مديداً .

« عن دير كرسيتنا البطريكى فى الشرفه ٢٠ ايلول ١٩٣٠ »



الفصل الثاني

آل طرازي والكنائس والاديار السريانية

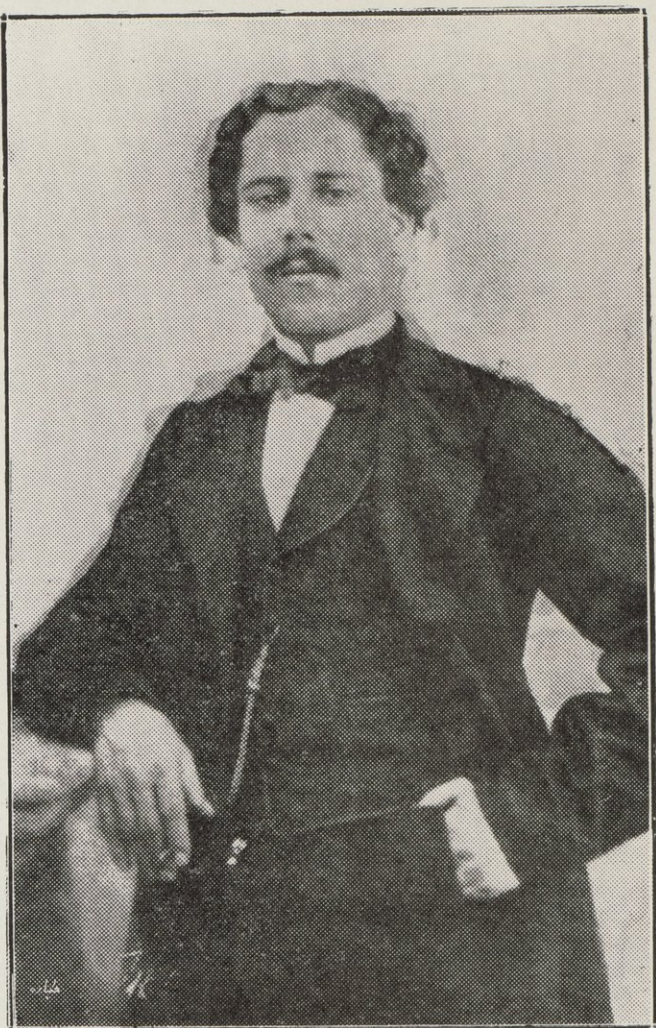
لم يقتصر آل طرازي على مساعدة ملتهم وكنائسها ومعاهدها في ابرشية بيروت فحسب بل شملت غيرتهم ابرشيات اخرى . ولدينا شواهد جليسة تنطق بما تيمهم في سبيل امتهم السريانية وتعزيز شوونها ادبياً ومادياً . واليك بعض ما عثنا عليه من تلك المبرات نوجزه في ما يلي :

١ : الكنيسة الكاتدرائية في حلب

كان المرحوم الياس طرازي (١٨١٢-١٨٥١) رجلاً باراً زهد في الحطام الدنيا وقضى شطراً كبيراً من حياته في خدمة المشاريع الخيرية . ومن مآثره الطيبة أنه اهدى الى كنيسة السيدة في الشهباء وطنه نذوراً شتى . نذكر منها انجيلاً مصقفاً بالفضة وموشى برسوم ذهبية تمثل آلام السيد المسيح له المجد وتحيط بزواياه الاربع رسوم الانجيليين الاربعة . وقد نبه السالبون بتاريخ ١٦ تشرين الاول ١٨٥٠ لدى احتراق الكنيسة والدار البطريركية المجاورة لها . ولما سافر المرحوم نعمة الله طرازي^(١) (١٨٢٥-١٨٩٧) من

(١) انتقل نعمة الله طرازي الى رحمة ربه بتاريخ ١٠ كانون الثاني ١٨٩٧ في مدينة مرسلينا . وقد اרך وفاته هذه الايات صديقه العلامة سليمان البستاني وزير التجارة والزراعة في السلطنة العثمانية سابقاً ومعرّب «الباذة اوميرس» واحد منسبي «دائرة المعارف» البستاني قال :

اليوم عن آل طرازي الكرام نأى
أبقى لهم بعده الذكر الجليل وفي
يرثي الوري نعمة الله الذي رزئت
هذا الذي عاش في دنياه محترماً
شهم بكاه ذوو الحاجات حين مضى
مرسلينا سعدته مثل الشهاب أضاً
به القلوب فلا ترجو له عوضاً
تاريخه في الاعالي رحمة ورضى



نعمۃ اللہ طرّازی

۱۸۹۷ — ۱۸۲۵

مرسيليا الى حلب عام ١٨٧١ ذكره مطران الابرشية السيد ديونوسيوس جرجس شلحت بكتاب الانجيل المشار اليه أسفاً على فقدانه شديد الاسف . فما كان من المرحوم نعمة الله الا ان رغب الى المطران ان يصيغ بالقصة على نفقته جميع دفات اناجيل الكنيسة المذكورة . فأثني المطران الجليل على اريحية هذا الشهم الكريم ودبج جميع اناجيل الكنيسة بدفات فضية . ثم كتب رسالة مؤرخة في ٣٠ كانون الثاني ١٨٧٢ الى آل طرازي محوِّلاً عليهم قيمة اكلاف تلك الاناجيل فادّوها لسيادته بالشكر والامتنان .

٢ : كنيسة مار الياس الحّي في القاهرة

ثم اننا نذكر بالرحمة الخورسقفوس اندراوس طرازي الذي قرأ العلوم في دير الشرفة ورقاه السيد اغناطيوس انطون الاول الى الرتبة الكهنوتية في ٨ كانون الثاني ١٨٥٤ . وهو باكورة الكهنة الذين وضع عليهم اليد هذا البطريك المغبوط . ثم انفذه الى القطر المصري بمثابة نائب بطريركي فجمع شمل الملة واستحصل الامر باستعرافها رسمياً لدى الحكومة المصرية في عهد الحديو سعيد باشا . وكان الخورجي اندراوس من اكبر الساعين في تشييد كنيسة مار الياس الحّي مع دار لسكنى كاهن الرعية في محلة درب الجنيّة بالقاهرة .

٣ : دير مار افرام الملقان في ماردين

ولآل طرازي اياد بيضاء على دير مار افرام المونس في الناحية الغربية بماردين . ومن حسناتهم الكثيرة اليه انهم تحفوه عام ١٨٩٨ بصورة كبيرة مرسومة بالزيت تمثّل مار افرام الملقان جالساً الى باب منسكه تحيط به جفّة فنواء . وتُشاهد فوقه صورة مريم العذراء حاملة على ذراعيها ابنها السيد المسيح عزّ شأنه . وتعدّ هذه الصورة الرائعة من ابداع ما رسمته ريشة مصوّر في هذا الزمان . وازاف الفيكنت فيليب الى هذه المبرة انه

استصنع صورة كبيرة مفتخرة تمثل رئيس ذلك الدير الخورفسقوس افرام
احمد دقنه المشهور بتقواه وفضيلته .

وواصل الفيكنت فيليب حسناته الى دير مار افرام في احوال مختلفة
بحيث ان رئيسه ورهبانه اعربوا له في فرص شتى ورسائل عديدة عن عواطف
معرفه الجميل . وحسبنا ان نثبت هنا رساله وجهها اليه ذلك الرئيس الجليل
بتاريخ ٣٠ ايلول ١٩١١ قال :

«... على انكم لم تكتفوا بمساعدة الطائفة جمعاء بعباداتكم
وتبرعاتكم الوافرة بل رحمتم تخلصون لها الذكر الجميل بتأليفكم وتصانيفكم .
وايم الحق اننا لا نسمح الله اذا حاولنا انكار معروفكم وسماحتكم
وسخاوتكم نهضت آثاركم التي في بيعنا ومعابدنا وغرفنا فعتقنا ووبختنا .
وعليه فترونا نرد ذكركم الجميل خاصة عندما نرى اسم اسرتكم النبيلة
مرقوماً في صورة ايونا مار افرام التي جدتم بها على ديرنا . دعوا غيرها من
الاثار التي تذكر فتشكر . على ان النفيس نفيس ايونا حل . والكريم كريم
كيفما كان .

«والآن نعلمكم ايها الفيكنت العزيز الفاضل اننا انشأنا يانصيباً
خيراً لديرنا ووزعنا اوراقه على الابرشيات . وارسلنا باسم حضرة الخوري
يوسف اسطنبولي القوي ورقة ليوزعها في بيروت وتابعها . فنفرع الى
حضرتكم ملتسعين من غيرتكم ان تُعينوه وتسعفوه فان لكم اليد
الطولى في ذلك . وقد شكونا عثنا الى طبيب وانزلنا حاجتنا بكريم له
الذكر الطيب المخلد في قلبنا وقلب جميع الرهبان»

٤ : الكنيسة والنيابة البطيركية في اورشليم

وفي السنة ١٩٠٠ عزم السيد اغناطيوس افرام الثاني ان يثني في القدس
الشريف معهداً للمامة . فكلف الفيكنت سليم دي طرازي ان يتوجه الى
تلك المدينة لانتقاء ارض صالحة يؤسس فيها معبداً ومركزاً للنيابة

البطريكية . فسافر الفيكنت الى القدس وصرف الجهود الطيبة في مشترى بقعة الارض الواقعة تجاه دير « سيّدة فرنسة » الالباء الصعوديين . ثم عاد الى بيروت فوضع خريطة لتلك الارض وخريطة ثانية للبناء بواسطة يوسف افندي افتموس عميد المهندسين في لبنان . وعلاوة على ما تبرّعت به اسرة طرازي على النزل المذكور فان سليلهم الفيكنت فيليب اسنى اليه ايضاً بمائة ليرة ذهبية . وكان هو واخوته من اكبر المعاونين لغبطة السيّد اغناطيوس افرام الثاني في انشاء يانصيب يُرصد ريعه لهذا المشروع الطائفي . وقد حدّد ثمن كل ورقة من ذلك اليانصيب بخمسة فرنكات ذهبية . هكذا صار تشييد اول مركز للسريان الكاثوليك في اورشليم وانتهى بناؤه عام ١٩٠٣

هـ : كنيسة الخرطوم

لما افتتحت الجيوش المصرية الانكليزية بلاد السودان اخذت حكومة تلك البلاد تنشيط رؤساء الاديان الى تشييد المعابد فيها حباً لترقيتها وعمرانها اذ كانت الى ذلك العهد تتخبط في دياجير الجهل . وظهرت الحكومة حين ذاك استعدادها لمنح كل مئة ارضاً بلا ثمن كي تشيّد فيها معبداً لاتباعها . وقد شرطت لاجل تأييد حق التملك ان يُباشر البناء قبل مرور ثلاث سنوات على تاريخ تلك المنحة . وقرّرت انه اذا مرّت المهلة قبل مباشرة البناء فللحكومة الحق في استرجاع ما منحتّه من تلك الارض .

انتبه آل طرازي لهذا الامر الخطير وفاوضوا لساعتهم بطريك الملة المغبوط ميتين لغبطة الفوائد العظيمة التي تنجم عن تأسيس هذا المركز الجديد . فكلفهم غبطته ان يمهّدوا الطرق ويذلوا الجهود للاستفادة من تلك الفرصة . فاخذوا يراجعون من يعتقدون بكفاءتهم تحقيقاً لامنّة السيّد البطريك وتعزيزاً لشأن الملة . وما مرّ القليل من الزمان حتى تمهدت السبل وأجريت المعاملات الرسمية وأعطى السريان بقعة ارض فسيحة واقعة بجانب

شارع غردون في الخوظوم العاصمة . وسُجِلَتْ تلك البقعة باسم الملة السريانية الكاثوليكية وفقاً للشروط المبينة آنفاً . غير ان المهلة الممنوحة انقضت قبل المباشرة بالبناء . فذهبت المساعي كلها ادراج الرياح . وهكذا خسر السريان حقوقهم في تلك الارض التي تساوي اليوم الوفاً من الجنهات . وبالتالي فانهم حرموا مركزاً دينياً واجتماعياً في بلاد يسكنها عدد غير قليل من بني جنسهم وما برحت تُتقدّم يوماً فيوماً في معارج الحضارة . ولم تزل بعض الوثائق المتعلقة بهذه القضية محفوظة الى يومنا هذا لدى آل طرازي .

٥ : الرهبانية الافرامية للعذارى

تجأت شهامة آل طرازي عندما اعترم البطريرك اغناطيوس افرام الثاني عام ١٩٠١ على انشاء رهبانية للعذارى تنضوي تحت لوائها فتيات الملة اللواتي هجرن الدنيا لممارسة الاعمال الصالحة . وكان يعول في تحقيق هذه الفكرة على رجلين تفرّدا بالاخلاص والحمية وهما : السيد اقليميس ميخائيل نجاش مطران دمشق والفيكننت فيليب دي طرازي . فانهما أبديا من الجهود المشكورة في تعزيز هذا المشروع لدى تكوينه ما لا يعلمه الا الله تعالى . ودلالة على ذلك ننقل للقراء فقرة من رسالة انفذها المطران المشار اليه الى الفيكننت فيليب بتاريخ ١ شباط ١٩٠١ قال :

« ... الحق يقال انه لو وُجد في طائفتنا شبان غيورون على شرف الامة واعزاز جانبها نظيركم ونظير افراد عائلتكم العزيزة لكانت قد بلغت هذه الطائفة أوج المعالي ... اننا نرى خيراً عظيماً في هذا العمل المبرور الذي ترقص له افئدتنا فرحاً ... ولقد استحسننا جداً جداً جداً هذا العمل عبادتكم وسأبذلها غبطة مولانا البطريرك^(١) . ان المرشحات كثير عددهن وأملي وطيد ان اجد قريباً ان شاء الله امرأة حكيمة تحسن سياستهن .

(١) كان الخبر الانطاكي في ذاك الحين متغيباً عن كرسيه في بيروت يتعمد ابرشية الموصل في جولة بطريركية .



الفیکنٹ سلیم دی طرّازی

۱۸۶۲ — ۱۹۰۵

المحلّ للمذكورات اذا كان في البدن حقيراً فلا بأس : المعيشة والكسوة اذا كانتا بسيطتين أنسب من ان تكونا فاخرتين . فلنترض بالقليل فيمن علينا المولى بالكثير . العمل رباني فالله يدبره كما يشاء . ان الشروع به يحقق قيامه وبقائه . . . »

ثم كتب المطران عينه الى الفيكنت فيليب ايضاً بتاريخ ١٨ آذار ١٩٠١ في هذا الصدد يقول :

« . . . نودّ ان الرهبنة النسائية تقوم باقرب آثر . نرى الصعوبات عديدة اما ذلك فلا يخيفنا . املنا وطيد ان سنحت لنا اشغالنا ان نتشرف الى بيروت وبالاتفاق مع جنابكم نجري ما تستصوبونه . المخاطرة متصلة بين صاحب القبطة وبيننا في هذا الشأن . استنسب غبطته حفظه الله ان يكون المحلّ في جوار الشرفة . . . »

وبعد انقضاء سنتين على افتتاح الرهبانية في بيت مجاور لدير الشرفة رأى السيد البطريرك ان يكفل نجاحها بتشيد دير يكون حرّاً لها في مستقبل الزمان . فابتنى عام ١٩٠٣ ديراً فوق قمة حريصا بالقرب من كرسيه في الشرفة وجّهزه بكل اللوازم الروحية والمادية . ثم ضمّ اليه ست عذارى مشهودنّ لهنّ بالفضيلة وحسن السيرة . وفوض رئاسة الدير الى احدهنّ لما عهده فيها من الحكمة والحنكة . وتعهّد آل طرازي ان يقوموا سنة فسنة بنفقات راهبة من تلك الراهبات احرازاً للثواب وتخفيفاً عن عائق البطريركية .

غير ان المولى سبحانه شاء باحكامه التي لا تُدرَك ان لا يطول عمر هذا المشروع الذي كان يؤمل منه خير عظيم . لان مصاعب شتى حالت دون ثباته ففضي عليه وهو في مهد الحياة . اما الراهبات فقد انتقلن بتفويض خاص من الرؤساء الى رهبانية الوردية المقدسة التابعة لبطريركية اورشليم اللاتينية .

٦ : كنيسة مار افرام في باريس

كانت الدولة الفرنسية قد تبرعت على بعض الملل الشرقية الكاثوليكية في باريس بكنائس يؤدون فيها فروضهم الدينية وطقوسهم البيعة . فنال كل من الموارنة والملكيين والارمن كنيسة مستقلة يتصرفون بها وتكون لهم مرجعاً في شؤونهم الروحية . امّا السريان فلم يظفروا بما ظفر به الملكيون والموارنة والارمن الا منذ عهد قريب . ويعود الفضل في ذلك الى الجبر الانطاكي الحميد الآثار مار اغناطيوس افرام الثاني الذي كانت له منزلة رفيعة لدى الدولة الفرنسية . فانه بعد ما وضعت الحرب العظمى اوزارها أخذ يفاوض في هذه القضية ارباب الحلّ والعقد فوافقوا بكل ارتياح على تحقيق أمنيتهم وتلبية رغبته . ثم اوعزوا اليه ان يختار كنيسة في عاصمتهم مطلقة من كل قيد ليخصصوها بالملة السريانية .

وحينذاك فوض السيد البطريك الى المنسنيور جرجس خياط وكيله في باريس ان يتدبر هذه المسئلة مراعيّاً فيها خير الملة . فاخذ الوكيل يبحث بكلّ اجتهاد واهتمام عن كنيسة يتفق عليها الشرط المذكور . وكانت النتيجة انه عثر على كنيسة قديمة واقعة في شارع الكرم (Rue des Carmes) قريب من البنيون يربعاها كاهن باسم الامة الارلندية . وهي من الابنية الاثرية المشمولة بعناية الدولة الفرنسية وحمايتها .

وكان الوكيل البطريكي المشار اليه يتحاشى عن حكمة التظاهر بالسعي في هذا السبيل لئلا يشيع الامر قبل تحقيقه فتوول مساعيه الى الحيسة والفشل . واتفق ان الفيكنت فيليب دي طرازي سافر في ربيع السنة ١٩٢٥ الى باريس لاشغال خاصة . فاخذ المنسنيور خياط يختلف اليه ذات المرات ويكاشفه في امر الكنيسة المذكورة . ثم كلفه ان يذهب اليها ويتعهدا عن كتب ويُبدي رأيه فيها .

فما كان من الفيكنت الا ان سارع الى شارع الكرم وتفقد تلك

الكنيسة كسائح يتوق الى مشاهدة الآثار القديمة . وبعد ما تعهدها مرات شتى ووقف على احوالها وتاريخ بنائها اعتنى باخذ رسمها مع رسوم جميع الاماكن المجاورة لها . وارسل تلك الرسوم الى السيد البطريك مشفوعة بتقرير موجز ينطوي على ما شاهده بعينه واطلع عليه في هذا الصدد . فكتب اليه السيد البطريك يثني على غيرته وفؤاضة اليه رسمياً ان يشترك مع وكيله المنسنيور خياط الفاضل في تعاطي هذه القضية . وجرت المفاوضة في ذلك بينهما وبين مسيو كانه رئيس دائرة المذاهب والاديان في وزارة خارجية فرنسا .

على ان الفيكنت دي طرازي نهض بهذه الخدمة الجليلة خير نهوض امثالاً لرغبة السيد البطريك . وظلّ يتردد مع الوكيل البطريكي المرة بعد المرة على مسيو كانه حتى فرغ ثلاثتهم من وضع الشروط التمهيدية لتحويل تلك الكنيسة وتخصيصها بالملّة السريانية . ثم رفع الفيكنت تقريراً ثانياً الى السيد البطريك عن نتيجة المهمة التي كلفه بها رسمياً . وسأل غبطته ماحاً عليه ان يحضر الى باريس ليوقع الميثاق النهائي مع الدولة الفرنسية بشأن تحويل السريان حق التصرف بالكنيسة المومأ اليها .

وما عثم ان سافر السيد البطريك الى باريس وحلّ ضيفاً في نزل الرهبان تحت رقم ٢٢٨ في شارع « Rue du Bac » . وبعد وصوله أجرى المعاملات القانونية بينه وبين الوزارة وتسلم الكنيسة واطلق عليها اسم مار افرام السرياني ملفان البيعة الجامعة . ولم تقتصر الدولة الفرنسية على ارجيحها هذه بل شأت ان تبرهن عن وافر اجلالها لشيوخوخة هذا الخبر الانطاكي ومقامه السامي . فارصدت مبلغاً كافياً لاصلاح الكنيسة وتجديد رونقها . ثم اوعزت الى مجلس بلدية باريس بتوسيع الطريق المؤدي اليها وتنظيم الابنية المجاورة لها حتى اصبحت تلك البقعة قرّة للناظرين . هكذا اتاح الله تعالى مركزاً للسريان ثابتاً في عاصمة الفرنسيين يؤدون فيه فروض العبادة باللغة السريانية التي شرفها السيد المسيح ورسله الاطهار .

٧ : كنيسة المصيطبة في بيروت

ظلت كنيسة مار جرجس المركز الوحيد للمائة السريانية في بيروت حتى اخذ عدد ابنائها يزداد سنة فسنة ولاسيا بعد الحرب العظمى (١٩١٤-١٩١٨) . وسكن فريق منهم في محلات المصيطبة والمزرعة حيث دعت الضرورة الى بناء كنيسة مجاورة لهم . فنهض الفيكنت فيليب يهم بشؤونهم الروحية كما سبق فاهتم بشؤونهم المادية . ثم كتب عريضة عام ١٩٢٦ الى الخبر الاعظم البابا بيوس الحادي عشر يوضح فيها الاحتياج الى كنيسة جديدة في بيروت قريبة من مساكن اولئك السريان . وسلم تلك العريضة الى نيافة القاصد الرسولي السيد فرديانو جيانيني راغباً اليه ان يرفعها رسمياً الى الكرسي الرسولي . فاجاب الخبر الاعظم الى ملتصق الفيكنت ولم يلبث ان تبرع بمبلغ من المال اوفده الى السيد البطريك مار اغناطيوس افرام الثاني . فاشترى البطريك من فوره بقعة ارض في المصيطبة وباشر البناء فيها عام ١٩٢٧ بهتته المشهورة . ولكن المنية عاجلته قبل انجازها فاكلها خليفته في الكرسي الانطاكي مار اغناطيوس جبرائيل الاول ودشنها في ١٨ ايار ١٩٣٠

٨ : كنائس شتى

وجباً للاختصار نكتفي بذكر ما سبق ضاربين الصفع عما تبرع به آل طرازي على كنائس آطنه ودير الشرفه وديار بكر وزحلة وصدد وبيت لحم وغيرها . ويتمتع اليوم آل طرازي بقداس مؤبد يقرب في كل سنة على مذبح كنيسة مار يوسف في بيت لحم . ذلك بموجب صك رسمي مؤرخ في ٨ نيسان ١٩٢٧ ومدون في سجل الكنيسة المذكورة .

٩ : التواريخ الشعرية للكنائس السريانية

ونختتم هذا الفصل بذكر الاشعار التاريخية التي نظمها الفيكنت فيليب

دي طرازي لبعض الكنائس السريانية ندونها حسب تسلسل تواريخها وهي :
 أولاً : تاريخ كنيسة مار جرجس في بيروت وكان قد ارتفع بانيان
 جذرانها سنة ١٨٧٩ وهي السنة التالية لتأسيسها قال :

أنشأ إمام الفضل جرجسُ بيعةً لليمن باسم شفيعه قد كُرسَتْ
 ضمت خراف المؤمنين لأنها حقاً على إيمان راعيها رست
 بُنيت بجود ذوي الحمية والتقى ومن الساء بجأة القدس اكتست
 أكرم بعام قد هتفت مؤرخاً فيه على خوف الإله تأسست

١٨٧٩

ثانياً : اشعار تاريخية لضريح المطران اثناسيوس رافائيل جرخي في
 كنيسة بغداد . وقد نقشها ناظمها على قطعة من المرمر وارسلها الى كنيسة
 بغداد الكاتدرائية فوضعت فوق ضريح راعيها المثلث الرحمة . وكان نظم
 هذه الابيات باقتراح السيد اثناسيوس اغناطيوس نوري الذي كتب في ذلك
 الى صديقه الفيكنت بتاريخ ٢٣ آب ١٨٩٤ من بغداد . فاجاب الى اقتراحه
 وهذا نص الابيات المشار اليها :

قبرٌ لرافائيل جرخي حبرنا في بيعة الزوراء بات مكرماً
 قبرٌ حوى رجل الفضيلة والتقى وعليه قد سكب المهيمن أنعماً
 قامت لديه في الصباح وفي المساء ذكرى فقيد بالمحامد قد سماً
 هذا هو الراعي الذي من بعده يبكي القطيع عليه دمعاً بل دماً
 صعدت الى مجد الاعالي نفسه من ربه تبغي الجزاء الاعظماً
 لما اصطفاها الله قلت مؤرخاً للقائها خفت ملائكة السما

١٨٩٠

ثالثاً : ابيات تاريخية نظمها في بناء كنيسة حماة سنة ١٩١٠ باقتراح
 كاهنها وهذا نصها :

للخالق السريان نالوا معطفاً فبنوا له هذا البناء الارفعاً
 هو خير مأثرة لراس رعائنا افرام من حاز الثناء مع الدعاء

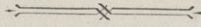
بجاءه مسعاهُ يدوم مؤرخاً وكنيسة الرحمن لن تتزعزعا

١٩١٠

رابعاً : اقترح الدكتور ابراهيم مدور على الفيكنت فيليب ان ينشئ تاريخاً شعرياً يُنقش على باب المصلّى الذي ازمع هذا الدكتور ان يمينه في المقبرة السريانية فوق ضريح أسرته . وذلك على اثر وفاة شقيقه المرحوم عبدالله الذي قُتل بتاريخ ٧ ايار ١٩٢٦ في بيروت . فاجاب الفيكنت الى رغبته وانشأ هذه الايات :

عباد الله شيد لكم مصلّى غدا للبر والتقوى دعامة
بناه بنو المدور فاستحقوا بشرع الدين والدنيا الكرامة
لهم في صفحة الاحسان ذكر وفي الملكوت أجر والسلامة
ثوى أمواتهم أرخ وناموا هنا يترصدون ضحى القيامة

١٩٢٦



الفصل الثالث

آل طرازي والابرشيات السريانية في نكباتها

أصيب بعض الابرشيات السريانية بنكبات شديدة دونها التاريخ في آونة مختلفة . فخصصنا هذا الفصل بسرد أخبارها وبما ابداه آل طرازي في خلالها من الشهامة والعطف على المنكوبين . وفي ما يلي نورد لها واحدة فواحدة مراعين في اثباتها تسلسلها التاريخي وهي :

١ : زلزال حلب عام ١٨٢٢

جرى هذا الزلزال الهائل في ١٣ آب ١٨٢٢ فهلعت له القلوب اذ تقوَّض بسلبه جانب عظيم من أبنية المدينة وبات جمهور غفير من سكانها دون ماوى . وكانت خسارة آل طرازي في الارواح والاموال اثناء النكبة

المذكورة تفوق الوصف . لان منازلهم وأغلب عقاراتهم تهدمت ومات منهم تحت الردم سوسنة ارملة المقدسي نصرالله طرازي مع حفيديها . وكان ابنها البكر المقدسي يوسف طرازي (١٧٨٥-١٨٤٥) متصفاً بالتقوى يستسلم في جميع شؤونه لاحكام العزة الصمدانية فلما رأى هذا المشهد الفاجع اعتصم بالصبر وأخذ يردد مع ايوب الصديق : « الرب اعطى والرب اخذ فليكن اسم الرب مباركاً » (٢١:١)

وتفادياً من زيادة الحسائر في الارواح نقل المقدسي يوسف أهله الاحياء الى بستان في ضواحي حلب . لان الزلازل كانت تتكرر في الايام التالية تكررًا أشدّ هولاً من المرة الاولى . واستمرت الحال على هذا المنوال شهوياً بحيث ان سكان حلب قضوا بقية فصل الصيف والحريف وشطراً من الشتاء إما تحت الخيام او في بيوت خشبية .

وكان المقدسي يوسف يتردد الى المدينة يوماً فيوماً لاشغاله الخصوصية ويشاهد عدداً صالحاً من اقربائه واصدقائه وأبناء ملته في حال يرثى لها . فحسرت الشفقة فؤاده ودفعته عوامل الرحمة على تخفيف بلايا المنكوبين في تلك الايام العصيبة غير مكترث لما حلّ به من النوائب . ومن ثمّ استدعى كاهناً سريانياً من كهنة حلب موصوفاً بالغيرة يُقال له القس جبرائيل بهنا . وكلفه ان يبحث سراً عن تضرروا في تلك النكبة العظيمة اكثر من غيرهم . فلبى الكاهن النشيط طلب سائله وأطلعته على عدّة من الأسرى السريانية التي تبدلت حالها من اليسر الى العسر . فاختار المقدسي يوسف من كان منها أحوج الى المساعدة وابتنى لها بيوتاً خشبية وواصلها بعنايته وحسناته عملاً بوصية السيد المسيح : « اما انت فاذا صنعت صدقة فلا تعلم شالك ما تصنع يمينك (متى ٦: ٣) » . تؤيد ذلك كتابة مسطورة على احدى دفتي انجيل عربي مخطوط يملكه بنو طرازي الى هذا العهد .

٢ : ثورة حلب عام ١٨٥٠

لما حدثت ثورة حلب^١ عام ١٨٥٠ ذهب المقدسي انطون طرّازي (١٧٨٩-١٨٥٥) من بيروت الى الشهباء مسقط رأسه ليقتقد ذويه وابناء وطنه فاجزل لهم العطايا الوافرة وفرّج كربتهم بنصائح الجبّة . وبعد عودته الى بيروت استمرّ يواصلهم بمساعداته التي استحقّ عليها الثناء العاطر . يؤيد ذلك رسالة مؤرخة في ٩ شباط ١٨٥١ بعث اليه بها البطريك اغناطيوس بطرس السابع قال :

« من صميم القلب نشكركم الشكر الوافر ايها الابن العزيز على الغيرة التي بذلتموها لاجل مساعدتنا في مصائبنا الكثيرة . فانكم ما اكنتم بتعزيزتنا على ما لحق بشخصنا من الاهانة ثم بالكنيسة والقلّة من النهب والحريق بل اردتم ايضاً ان تجودوا بما الهكم الله تعالى من الاسعاف في حال ضيقنا وشدائدنا . فنحن لا ننسى معروفكم وعلى الدوام نتذكر الطافكم معنا ومع الطائفة . من ضمن مكاتوبكم استلمنا الحوالة التي ارسلتموها من امضاء الخواجات خوري وطاسو على الخواجا كبة في حلب . وبوجهها قبضنا من الخواجا كبة مبلغ خمسة آلاف وستائة غرش (ذهب) التي تبرّعتم بها . . . وعربوناً لرضانا وشكرنا فاننا نبارككم بركة ابراهيم واسحق ويعقوب داعين بتوفيقكم الروحي والزمني ومتضرّعين الى اله الرحمة ان يفيض عليكم ينبوع الخيرات السماوية والارضية »

٣ : فتنة دمشق عام ١٨٦٠

على اثر الفتنة الشهيرة التي جرت في دمشق^٢ عام ١٨٦٠ وافى بيروت

(١) طالع اخبار ثورة حلب في كتاب « السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية » من صفحة ١٠٦ الى صفحة ١٠٩ لمؤلفه الفيكنت فيليب دي طرّازي .

(٢) راجع ايضاً اخبار فتنة دمشق في كتاب « السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية » من صفحة ٢٨٧ الى صفحة ٢٨٩ بقلم الفيكنت فيليب المشار اليه .

عدد غير قليل من المنكوبين . وحلّ فريقٌ منهم في دار آل طرّازي على
الرحب والسعة ريثما عاد الامن الى نصابه في البلاد الشامية . ثم رجع
المنكوبون الى وطنهم وهم يلهجون بالاثنية المستطابة على أريحية آل طرّازي
وعطفهم . يتضح ذلك من الرسالة التي وجهها السيد غريغوريوس يعقوب
حلياني مطران دمشق على السريان الى آل طرّازي بتاريخ ٣ تشرين الثاني
١٨٦٠ واليك نصّها :

« ... في هذا الاسبوع رجع الى دمشق بعض اولادنا الروحانيين الذين
فرّوا الى بيروت عند وقوع الحوادث المشوومة . وبعد فراق ثلاثة اشهر
تعزّى قلبنا الابوي بشاهدتهم لامرين : اولاً لرجوعهم سالمين الى بيوتهم
واشغالهم . ثانياً لما قصوه علينا من الاخبار المفرحة عن احسانكم وكرم
ضيافتكم مدة وجودهم في منازلكم العامر . لا ندرى كيف نعبّر لكم
ايها الابناء الاحباء عن عواطف شكرنا على معاملتكم الطيبة لهؤلاء
المساكين الذين جبرتم خواطركم المنكسرة واستحييتهم لاجلهم التطويات
الانجيلية . بارك الله في أصلكم واسبغ عليكم وعلى كل من يلوذ بكم
النعم السابوية والخيرات الارضية . نسأله تعالى ان يطيل بقاءكم فخرًا لنا
وللطائفة السريانية المعتزة بكم في كل مكان ... »

٤ : مجاعة الموصل عام ١٨٨٠

نُكبت مدينة الموصل وجميع البلدان المجاورة لها عام ١٨٨٠ بمجاعة
شديدة كادت تؤدي بحياة السواد الاعظم من سكانها . فكتب راعي
ابريشيّها السريانية مار قراس بهنام بني^(١) رسالة برقية مؤرّخة في ١٧ آذار الى
الكنس نصرالله دي طرّازي وأعقبها برسالة بريدية في اليوم ذاته ليستنهض
همته لمّ يد المساعدة لابناء ابرشيّة الواسعة الاطراف . فشمّر الكنت الجليل
عن ساعد الجدّ وارسل اليه من فوره اربعمائة ريال مجيدي (ثمانين ليرة

(١) ارتقى الى السدة البطركية عام ١٨٩٣ باسم اغناطيوس جنّام الثاني .

ذهبيّة) تلغرافياً ليوزعها على الفقراء المحتاجين من المسيحيين والمسلمين .
فورده الجواب من السيّد المشار اليه بتاريخ ١١ نيسان ١٨٨٠ وهذا نصّه :

« . . . قدّمنا لبنوتكم المحبوبة قبل هذا مكتوباً يحوي طرفاً عن
احوال الموصل المبتلاة بسبب الغلاء الهائل الذي دهمنا ولاسيما ابناء طائفتنا
السريانيّة . كما اننا كنّا قد التمسنا تلغرافياً من تقواكم ورحمتكم المشهورة
اسعافاً لابناء طائفتكم وجنسكم المتضايقين بالجوع في ابرشيتنا . ولم تحب
آمالنا فيكم اذ انه بعد ذلك بايام ورد الينا من امضائكم الكريم
تلغراف به حرّلت لنا اربعمائة ريال مجيدي اجابةً لطلبنا . فاثنتنا عليكم
قدّام جميع من كان حاضراً لدينا في ديواننا . وشاع في المدينة خبر المدد
الذي مددتمونا به ولهجت افواه السريان الكاثوليك بجمدكم . وافتخرنا بان
في طائفتنا رجالاً ذوي جود وكرم مثلكم . . . »

ولم يكتفِ الكنت نصرالله دي طرازي بارسال المبلغ المذكور آنفاً
الى السيّد قرّس بهنام بني اسعافاً لمنكوبي المجاعة في ابرشيتّه . بل ارسل
مبلغاً آخر يفوقه كرمأ على يد صديقه الموصلي اصلاً ووطناً السيّد اقليميس
يوسف داود مطران دمشق على السريان . فورد من مطران دمشق المشار
اليه جواب بتاريخ ١٤ نيسان ١٨٨٠ يثني على اريحيّة الكنت وهذا نصّه :

« . . . اني اشكركم باسمي وباسم جميع ابناء وطني (الموصليين) على
الهمة التي تبدّلونها في اسعاف اولئك الجياع الذين يتمزّق القلب على الحال
التي هم فيها . وقد ذخرتم لكم بذلك ذخراً لا ينفد في الدنيا والآخرة .
وقد شجّرنا للعمل في هذه الايام لجمع حسنات اهل الخير . والظاهر ان
العاقبة تكون حميدةً بدعائكم . ولكن مهما فعل الدمشقيون فليس
علمهم شيئاً بالنسبة الى ما ابداه البيروتيّون من التكرم والسخاء ولاسيما
شخصكم الفريد . فجزاكم الله بعاوتهم همّتكم ورقة رحمتكم . . . »

٥ : ثورة عرابي باشا في مصر عام ١٨٨٢

لما حدثت ثورة عرابي باشا في مصر عام ١٨٨٢ فرّ كثير من سكان وادي النيل واقبلوا الى بيروت والى بعض الخاء لبنان . فاستقبل آل طرازي ابناء ملتهم السريانية وغيرهم وافسحوا للفقراء منهم بعض المنازل لايوائهم بجوار دارهم في محلة خندق العميق . ثم نصبوا الخيام لفريق آخر منهم في ساحة كنيسة مار جرجس السريانية القريبة من دارهم . اذ لم تكن هذه الكنيسة قد اكتمل بناؤها في ذلك العهد . ولما عادت السكينة الى القطر المصري بذل بنو طرازي كل مساعدة لاولئك المنكوبين ودفعوا نفقات السفر من جيهم لمن كان فقيراً منهم .

ولدى رجوع المنكوبين الى وطنهم اخذوا يتحدثون الى كاهن رعيّتهم الخوري يوحنا طواف عن مكارم آل طرازي وعوارفهم اثناء المدة التي اقاموها في بيروت . فكتب الخوري المشار اليه رسالة ثناء الى آل طرازي بتاريخ ١٧ تشرين الاول ١٨٨٢ وهذا نصها بالحرف الواحد :

« . . . نهار الاحد الفائت بعد القداس اجتمع في غرقي بعض ابناء طائفتنا الذين سافروا الى بيروت بداعي حوادث عرابي باشا . ولبسنا دعاكم رجعوا سالمين الى مصر مشمولين بانظاركم ومغمورين باحسانكم . وكان الجميع من رجال ونساء يتحدثون عن مكارم اخلاقكم وسخاء اياديكم وحنان قلبكم وحسن ضيافتكم . وكانت الدموع تسيل من عيونهم كلما ذكر اسم جنابكم بالخير او اسم قرينتكم السيدة مئة التي شملتهم بلطفها . وبينما كانوا في زيارتي كلفوني بان احرر هذه الاسطر التي تنوب عنهم وعني في تأدية الشكر لحضرتكم على معروفكم الذي لا ينسونه مدى الدهر لا زال شأنكم مرفوعاً وبيتكم عامراً لخير الانسانية وفخر الطائفة السريانية بمتة تعالى وكرمه » .

٦ : مذابح تركيا عام ١٨٩٥

في السنة ١٨٩٥ جرت مذابح شابت لها رؤوس الاطفال في ولاية آطنة وغيرها من الولايات التركية . وشملت ويلاتها اكثر النصارى القاطنين في تلك الاصقاع . فذهب جانب كبير منهم ضحية الجهل والاستبداد حتى اصبح القتلى يُعدّون بعشرات الآلاف . فازاء تلك الحوادث المشؤومة لم يتأخر بنو طرازي عن اغاثة اخوانهم في الانسانية . فارساوا الى نسيهم الخورفسقفوس فيلبس شغال المعتمد البطريركي للملة السريانية في آطنة مبلغاً من المال مع صناديق مشحونة بالملايس والعلاجات للمنكوبين من جميع الملل . وقد ارسل آل طرازي تلك الصناديق من بيروت على يد صديقهم المرحوم نصرالله غدراسي من تجار بيروت . فكتب الخورفسقفوس فيلبس رسائل ضافية تتضمن أخلص عواطف الامتنان للفيكانت فيليب دي طرازي شاكرًا له اريجيتته ومثنيًا على مكارمه السخية .

٧ : المجاعة في بيروت اثناء الحرب العظمى

(١٩١٤ - ١٩١٨)

أمست بيروت اثناء الحرب العظمى مسرحاً للفاقة والامراض التي فتكت بقسم صالح من المعسرین فيها وفي ضواحيها . لان ابواب الارتراق سُدَّتْ تجاههم بحراً وجيوش الجراد التهمت الاخضر واليابس في داخل البلاد مدة سنتين متواليتين . بناء عليه حدث عسر شديد لم تشاهد بيروت مثله في الايام الغابرة . فكانت الشوارع مكتظة بحشّ الموتى وبفقراء مطروحين على الحضيض يئنّون جوعاً ويتسابقون الى التهام كناسة البيوت وزبل البهائم سداً لجوعهم . فكان ذلك المشهد الكئيب يفتت الاكباد ويدعو الناس الى الشفقة والحنان .

بيد ان الله ابا المراحم منّ على بيروت في تلك النكبة الشديدة بقوم صالحين تجرّدوا لتخفيف ويلات البائسين ومساعدة الانسانية المتألّمة . وأخصّ

من وقفنا على تفانيهم في هذا المضمار أسرة طرازي التي اقبلت بالرغم من ضيق ذات يدها في ذاك العهد على اصطناع ما لم يصطنعه ارباب الثروات في هذه البلاد . فقد واصلت تقديم الملابس لفريق من العراة واطعمت الجياع يومياً على اختلاف أديانهم ومذاهبهم . وقد أوردنا نتقاً من تلك المبرآت في الفصل الخامس من القسم الاول تحت عنوان آل طرازي والجمعية الخيرية السريانية » وفي الفصل الاول من القسم الثالث تحت عنوان « آل طرازي ودير الشرفة » .

ومن الادلة الجلية على عناية هذه الاسرة بالفقراء اثناء الحرب المذكورة أن سليلهم الفيكنت فيايب باع في ٨ كانون الاول ١٩١٦ بموجب ولايته الشرعية جانباً من ارض الاشرفية الموقوفة من اسرته واسرة شقال في سبيل البر . ودفع ذلك الثمن برمته الى السيد اغناطيوس افرام الثاني بطريرك الملة لينفقه على الجياع والمكويين . اما السيدة اوجيني زوجته الكريمة فقد شاركت في اعماله ومساعدته وحسناته . وما بلغ عزمي بك والي بيروت خبر عطفها على البائسين حتى عينها مديرةً لاحد مآوي الاولاد الفقراء . وكانت الحكومة العثمانية تنفق عليهم من خزانتها . فنهضت السيدة اوجيني بتلك المهمة خير نهوض اكتساباً للاجر والثواب .

وقد سبقنا فنقلنا عن جريدة « المقتبس » الاسلامية في دمشق شهادة صريحة تنطق باريحية الفيكنت فيليب وعوارفه الجمة ولاسيا اثناء الحرب العظمى . فانها كتبت بتاريخ ١١ كانون الثاني ١٩١٨ انه حرصه الله « لم يدع ستاراً في بيته الا خاطط البسة المحتاجين وانه جعل ديدنه صباح مساء توزيع الخبز والطحين على المساكين » .

وقد طالما تردد العلماء وحمله الاقلام على اسرة طرازي في تلك الايام المشؤومة ووقفوا بانفسهم على مآتيها المبرورة . ولم يمالك بعضهم عن نظم القصائد المؤثرة في الشناء على عوارف هذه الاسرة تقتصر منها على ابيات من قصيدة ذات تسعين بيتاً نظمها الشيخ عبدالله البستاني قال :

لكن هي الأيام كم وقعت بين
 ومن البليّة أنهم حسبوا العلى
 خابوا ظنوناً فالعلى سكنت الى
 عرفت به حرّ الشائل فارعاً
 من منبت الفضل الحُصيب نما فما
 فسلاوا وصيفته المروّة عن حيا
 وسلاوا قضاةً غيرها إن لم تروا
 وسلاوا ديني الحرس وهو ابو الغنى
 فلكم غنى ان يرّ ببابه
 حسد الفقير غداة أبصر ثوبه
 تغريه خسة نفسه برقاده
 فلعلةً يحنو عليه فؤاده
 فالفضل خادن آل طرازي وما
 ورعى ذمام سليلهم فيليب من
 من زار في البأساء مغناه رأى
 عانت خياطتها عقيلته التي
 وحكت برأفتها رفيق حياتها
 فتراوحا صنع الجميل وروحا
 وفي تلك الغضون انتقلت الكونتنس مئة دي طرازي الى رحمة الله

تعالى في ١٥ كانون الاول ١٩١٧ عن شيخوخة جليّة بالغة السن الثمانين .
 فترأس البطريرك مار اغناطيوس افرام الثاني صلاة الجناز على نفسها ووفّاها
 حقها من التّابين . ثم ألع الى سجايها المحتازة والى ما أدته هي وأمرتها
 لشخصه وللأخبار الانطاكيين أسلافه من ادلة الاحترام وكرم الضيافة .
 وعدد مآثرها المشكورة في سبيل كنيسة بيروت ولاسيما عنايتها بالفقراء
 والايّتام اثناء الحرب الطاحنة . وقد رثاها ايضاً فريق من الشعراء الذين



الكونتس منة زوجة الكنت نصرالله دي طرازي

١٨٣٨ — ١٩١٧

خبروا مبرأتها عن كُثْب ولسوا حسنتها . من ذلك ابيات اقتطفناها من قصيدة ذات خمسين بيتاً نظمها العلامة الكبير الشيخ عبد الله البستاني قال :

بيروت فيها مكثرون أصابهم
فبكت كما يبكي الفقير على التي
هي مئة للبائسين ونجعة
أخلق بن رأفت بهم ان يزوجوا
تلك التي تركت تباريح الأسي
كانت تريد جلالهم بجلالها
وبكت بها بيروت أرض حرّة
وأمداد منعها الصروح لانها
فلكم تعاورت اليتامى دارها
ولكم تكثف بعضهم جدرانها
ما انتابها الغرثان^١ يندب حاجة
كانت اليه تهب من سنة الكرى
ولفقدتها تأسى المروّة وهي لا
ان الثمانين التي من عمرها
كانت تميل الى الصلاة بغدوة
فدعا بها المولى الى أخداره
فهناك يغمرها برأفته التي
فلال طرازي العزاء بنفقتها

مالُ المقلّين الضئيل ذواتها ...
كانت تزيل بكاه قبل وفاتها
لرائدين ومنية لعفاتها
جزعاً دموع عيونهم برُفاتها
في آل طرازي وكل نُعاتها
وتصون مجدهم بفيض هباتها ...
قاوى صروف الدهر طول أناتها
عانت خياطة كسوة لعراتها ...
يتناولون الخبز من صدقاتها
واضاق وهي رحيمة رحباتها
الا رأيت قراه من حاجتها
لتقيته والطير في وكناتها
تنفك باكية على مرآتها
ولت اثار بالتمقى ساعاتها ...
طرباً مُميل لياها غاداتها ...
لما رآها اربحت وزناتها
يسخى بها أجراً على رأفاتها
ولتنعمن نفوسهم بنجاتها

٨ : المنكوبون في بيروت بعد الحرب العظمى

واصل آل طرازي عنايتهم بالمنكوبين بعد الحرب العظمى ايضاً .

ولنا على ذلك شواهد كثيرة نكتفي بإثبات واحدة منها للكتابة
الارثذكسية الشهيرة ماري ينّي التي رغبت الى الفيكنت فيليب ان يساعد
بعض الاسر الازاحة تحت اعباء الفقر فبادر الى تلبية رغبتها . فما كان منها
الا ان بعثت اليه تشكره بكتاب رقيق مؤرخ في ٢٣ كانون الاول ١٩١٨
نقتطف منه ما يلي :

« ... اذا كانت السماء تريد ان ترسل بركاتنا فعلى أمثالك تجوز
خيراتها . وحق ما لك في نفسي من الاعتبار انني مقدرة فيك مبدءاً سامياً
يرفعك في أعين قومك حتى يجعاني غريقة هذه المعاملة الطيبة وهذا الاخلاص
النادر . أكد يا حضرة الفيكنت ان كل نبضة في صدري تدعو بتوفيقك
وتهتئ اشعور فيك رقيق شريف . حبذا انسانية يكون امثالك قوادها !
وليت لك في ارضنا اخواناً في المبدأ فكم كنا نكون سعداء ؟ »

٩ : مهاجرو تركياً الى بيروت عام ١٩٢١ فما بعد

لا يجهل احد ما حلّ من الويلات بالاقوام الذين طردتهم تركياً من
اراضيها بعد الحرب العظمى . فلجأ الى بيروت فريق كبير منهم يُعدّ
بعشرات الآلاف . واستقبلهم ذوو المروءة والحمية بصدور رحبة . وامتاز
حين ذاك الفيكنت فيليب دي طرازي بغيرته الشديدة عليهم . ونهض
لاغاثتهم ومساعدتهم نهضة البطل وسعى في اقتناء اراضٍ وابتناء منازل
لسكنائهم . وجاد عليهم بيد سخية ومهد لهم سبل المعيشة . واسكن فريقاً
منهم في الاراضي الموقوفة منه للبرّ او التي اقتناها لهم بالاموال التي سعى
في جمعها من اصحاب الاحسان والفضل . وقد ألعنا الى ذلك في الفصل
الخامس من القسم الاول تحت عنوان « آل طرازي وجمعية المساعي الخيرية
السريانية وواقفها » في بيروت .

على ان اولئك المنكوبين تمكنوا من التوطن في عاصمة لبنان حيث
وجدوا الطمأنينة والراحة والامن وتمتعوا بسبل الارتقاء . وجعلوا يطلقون

أَلَسْتُمْ حَتَّى الْيَوْمِ بِالْأَدْعِيَةِ الْحَمِيمَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي إِطَالَةِ بَقَاءِ هَذَا الْمُحْسَنِ الْكَرِيمِ الَّذِي يَعْتَبِرُونَهُ أَبَاهُمْ وَمُنْقِذَهُمْ وَوَلِيَّ نَعْمَتِهِمْ .

الفصل الرابع

آل طرازي وآثارهم القلمية في الملة السريانية

أَصْبَحَ أَشْهُرَ مِنْ نَارٍ عَلَى عِلْمِ مَا أَبْدَاهُ آلُ طَرَازِي مِنْ عَوَاطِفِ الْوَلَاءِ . لَا يَمُوتُ مَاتَهُمُ السَّرْيَانِيَّةُ وَمَا بَدَلُوهُ مِنَ الْعَوَارِفِ وَالْمُبَرَّاتِ فِي سَبِيلِ كُنَائِسِهَا وَمَعَاهِدِهَا وَجَمْعِيَّاتِهَا . وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَانْ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنْصَرَفُوا إِلَى الْإِنْشَاءِ . وَالتَّأْلِيفِ فَوْضَعُوا الْجَاهِثَ فِي مَوَاضِعَ مُخْتَلِفَةٍ عِلْمِيَّةٍ وَادْبِيَّةٍ وَتَارِيخِيَّةٍ . وَقَدْ أَطْلَعْنَا فِي مَا بَيْنَهَا عَلَى نَبْذٍ جَدِيدٍ بِالْوَصْفِ تَعَلَّقَ بِمَاتِهِمْ عَمُومًا وَبِرُؤْسَانِهَا خُصُوصًا . فَلَمْ نَرِ مَنْدُوحَةً عَنْ اثْبَاتِ أَسْمَاءِ أَوْلَائِكَ الْفَاضِلِ مَعَ نَتْفٍ مِنْ آثَارِهِمُ الْقَلَمِيَّةِ فَنَقُولُ :

أَوَّلًا : الْمُقَدَّسِيُّ نَصْرَالله طَرَازِي (١٧٥١-١٨٠٨)

بَرَعَ هَذَا الْعَلَّامَةُ الْفَاضِلُ وَالصِّيدِيُّ الشَّهِيرُ فِي مَعْرِفَةِ اللَّغَتَيْنِ الْعَرَبِيَّةِ وَالسَّرْيَانِيَّةِ . وَقَدْ أَلَفَ كِتَابًا فِي الطَّبِّ سَمَّاهُ « الْأَدْوِيَّةُ الشَّافِيَّةُ لِمُعَالِجَةِ الْمَرَضِيِّ وَإِحْرَازِ الْعَافِيَةِ » أُعْجِبَ بِهِ الدُّكْتُورُ كَرْنِيلْيُوسُ فَانَ دِيكَ وَاقْتَنَاهُ لِمَكْتَبَتِهِ . وَنَظَّمَ الْمُقَدَّسِيُّ نَصْرَالله الشَّعْرَ أَيْضًا فِي اللُّغَةِ السَّرْيَانِيَّةِ الَّتِي دَرَسَ أُصُولَهَا وَأَتَقَنَ آدَابَهَا عَلَى ابْنِ خَالَةِ أَبِيهِ مَارِ اغْنَاطِيُوسُ مِيخَائِيلُ الثَّلَاثَ (جُرُودَةُ) الْبَطْرِيَرِكِ الْإِنْطَاكِيِّ . ثُمَّ عَامَهَا بِدَوْرِهِ فَرِيقًا صَالِحًا مِنْ أَبْنَاءِ مِلَّتِهِ فِي حَلَبَ فَاسْتَفَادُوا وَافَادُوا . وَكَانَ فِي أَوْقَاتِ الْفَرَاغِ يَتَرَنَّمُ بِأَنَاشِيدِهَا الرَّخِيمَةِ وَيَطَالِعُ كُتُبَ عِلْمَائِهَا الْإِعْلَامِ وَيَنْسَخُ تَأْلِيفَهُمْ بِخَطِّ يَدِهِ . وَقَدْ شَهِدَ بِفَضْلِهِ وَذِكَاثِهِ سَمِيَّةٌ وَمُعَاصِرُهُ وَابْنُ وَطْنِهِ نَصْرَاللهُ بْنُ فَتْحِ اللَّهِ بْنِ بَشَارَةِ طَرَابُلُسِيِّ الْحَلَبِيِّ فَامْتَدَحَهُ عَامَ ١٧٩٩ بِقَصِيدَةٍ نُورِدَ مِنْهَا هَذِهِ الْآيَاتُ :

جاد الزمان على بني طرازَة
نسباً لاجداد كرام. ينتمي
تسمو به فخراً لوافر فضله
هو أُوحد الشهباء بل مقدامها
خوفُ الاله شعاره^١ ولذا غدا
شهمٌ نديٌ يدُ نقيُّ سريرة
أعلى منار الطبِّ في أبحاثه
لا غرو أن مدحته أسنة الوري
نهدي اليه مع الدعاء ثناءنا
بالتطس نصر الله سيّد قومه
من آل والده وأسرة أمه
وسداد حكمته وثاقب فهمه
يجزىل تقواه وشدة حزمه
أجلى مثالٍ للجميع بحلمه
علمٌ بجودة نثره وبنظمه
وشفى العليل كما ترى من سقمه
وتقاعست شعراؤنا عن ذمه
وننافس الدنيا براسخ علمه

ثانياً : المقدسي يوسف طرازي (١٧٨٥-١٨٤٥)

كان من أدياء عصره كما اوردنا في صدر الصفحة ٥٢ من هذا الكتاب .
وقد دون بيده على هرامش انجيل مخطوط وعلى دفتيه وقائع مختلفة
جرت في عهده بمدينة حلب . وهي تتلخص في ما يأتي : ١ : مقتطفات منوعة
بالملة السريانية وأيتها . ٢ : اسماء افراد أسرة طرازي مع تاريخي ولادتهم
ووفاتهم مشفوعة ببعض أخبارهم . ٣ : خلاصة حوادث زلزال حلب عام
١٨٢٢ وما نجم عنه من الاضرار خصوصاً لبني طرازي في الارواح والاموال .

ثالثاً : المقدسي انطون طرازي (١٧٨٩-١٨٥٥)

سبقنا فذكرنا اسم المقدسي انطون طرازي مرات شتى ولا سيما في الفصل
الثاني من القسم الاول في بحثنا عن « آل طرازي وتكوين الملة السريانية في
بيروت » . لانه كان عماد هذه الابرشية التي تنطق بفضله وتردد الثناء على
عبقريته أسمرته ما كرت الاعوام .

(١) لاحظ أن آل طرازي اتحدوا « مخافة الله » شعاراً لهم منذ القرن الثامن عشر
مستندين في ذلك الى الآية الواردة في سفر يشوع بن سيراخ (١ : ٢٢) وهي : تاج الحكمة
مخافة الرب . راجع ما كتبناه في هذا الصدد في الفصل السادس من القسم الاول صفحة ٢٩

فقد أتيج لهذا الرجل العالي الهمة ان يقوم برحلة الى اوربا على متن سفينة شراعية استغرقت اكثر من ثلاث سنين (١٨٣٩-١٨٣٢) بجراً وبراً . لان المراكب البخارية كانت في تلك الحقبة في اول عهدها . وقد دون خلال تلك الرحلة مذكراته ووقائعه في كراس خاص . وهو فيما نعلم خامس رحالة " من سكان الشرق الادنى كتب حوادث سياحته في سفر خاص

(١) اول رحالة شرقي خلف لنا اخبار سياحته مكتوبة هو فيما نعلم الارخبيا فن بولس ابن البطريك الانطاكي الارثوذكسي مكاربوس ابن الزعيم . فانه رافق اياه البطريك من السنة ١٦٥٢ الى (السنة ١٦٥٩ في رحلته المشهورة الى القسطنطينية وبلاد الفلاخ والبغدان وروسيا . وقد ترجمت اخبار هذه الرحلة الى اللغة الروسية بقلم جرجي بك مرقص والى اللسان الانكليزي بقلم المستر بلفور . وقد اطلعنا في مجلة «النعمة» التي كانت تصدر بلسان البطريركية الانطاكية الارثوذكسية في دمشق (سنة ٢٥ صفحة ١١٩) على مقالة نشرها البجائه المدقق عيسى المعلوف عن البطريك مكاربوس ورحلته المذكورة . وثاني رحالة شرقي كان المطران اسحق الشدراوي († ١٦٦٥) الماروني . فانه اثبت في نبذة وجيزة اخبار رحلته (١٦٦٠ - ١٦٦٣) من لبنان الى فرنسا . وكانت بقيته ان يحصل من لويس الرابع عشر (١٦٤٣-١٧١٥) ملك فرنسا على براءة برتبة قنصاية لهذه الدولة في بيروت للشيخ ابي نوفل الخازن (مجلة المشرق ٢: ٩٢٩) . وثالث رحالة شرقي اتصلت بنا اخبار رحلته مكتوبة كان الخوري الياس ابن القسيس حنا الموصلي الكلداني من عيلة بيت عموده . فانه ساح في اكثر البلاد الاميركية (١٦٦٨ - ١٦٨٣) ودون تلك الاخبار في كتاب محفوظه نسخته الاصلية في خزائن مطرانية السريان الكاثوليك في الشهباء . ثم نشرها الاب انطون رباط اليسوعي عام ١٩٠٥ في السنة الثامنة لمجلة المشرق . ورابع رحالة هو ابن وطننا صاحب المآثر الغراء السيد اثناسيوس سفر العطار اسقف ماردين السرياني (طالع ترجمته في كتاب « السلاسل التاريخية في اساقفة الارشيات السريانية » (صفحة ٢٢-٢٨) عندما كان قسيساً . فانه خلف اخبار رحلته (١٦٨٦-١٦٨٢) برفقة السيد فرنسيس بيكيت سفير مملكة فرنسا لدى شاه ايران . وقد سرد فيها حوادث تلك السياحة ذات النوادر الغربية والوقائع المهمة معدداً ما شاهده في مدينة ديار بكر وبلاد ارمينيا ومملكة فارس من العادات الوطنية والحفلات الشائقة التي جرت للسفير المشار اليه . ووصفها بأسلوب يتوق الى الوقوف عليه اهل البحث وروّام التاريخ . ثم كتبها بخط يده بجروف سريانية واهداها الى المكتبة الواتكانية برومية وهي موسومة بالرقم ٢٣٢ ومشملة على ٢٠٨ صفحات بقطع صغير . وقد نقلناها بحرفها الواحد عام ١٩٣٠ وباشرنا نشرها هذه السنة في مجلة المشرق تعميماً لقوائدها .

وضعتها كل ما شاهده من حسن ومفيد ونادر وغريب .
ويشير مؤلف هذا الكرّاس الى خدمه شتى أدّاها اثناء رحلته للملّة
السريانية عموماً ولاجبارها خصوصاً . لانه كان متضلّعاً من اللسان السرياني
الذي درسه على والده المقدسي نصرالله طرازي وعلى أستاذه الايكونومس^{١)}
رافائيل طنبرجي اللذين كانا من صفوة الكتاب في عصرهما . وقد ألعنا الى
عناية المقدسي انطون بتعزيز الآداب الآرامية في الفصل الاول من القسم
الرابع تحت عنوان « الاحبار الرومانيون وآل طرازي » . ولما توفي انطون
طرازي في ٣١ كانون الاول ١٨٥٥ نظم الشاعر العلامة الحوري ارسانيوس
الفاخوري هذه الابيات التاريخية لئنقش على ضريحه قال :

أهل البصيرة في العصور جميعها شادوا القبور مواعظاً لبني الوري
طوبى لمن حازوا التقى فعيونهم قد أبصرت وجه الآله بلا مرا
ذي حجرة انطون طرازي ثوى فيها وشهماً كان مرفوع الذرى
فالروح عند الله لكن جسمه أمسى يورخ راقداً تحت الثرى

١٨٥٥

رابعاً : المعلم جرجس طرازي (١٨١٤—١٨٤٧)

هو ابن المقدسي يوسف ابن المقدسي نصرالله طرازي كان أول تلميذ

(١) لم نعث في آثار السريان السالفين على لقب ايكونومس الشائع استعماله في
الكنيسة اليونانية الا مرتين : احدهما في الفنيث المحفوظ في خزائن دار المطرانية
السريانية بجلب حيث تقرأ الحاشية التالية « رسم روح القدس الايكونومس . . . لكنيسة
والدة الله مريم بجلب سنة ١٨٢١ يونانية » اي سنة ١٥١٠ مسيحية (راجع كتاب عناية
الرحمان في هداية السريان للمطران ديونوسيوس افرام نقاشة صفحة ٢٢) . وثانيتهما في
عهد مار اغناطيوس ميخائيل الثالث (١٧٨٢—١٨٠٠) بطريرك السريان الانطاكي . فان
هذا الخبر الجليل أنعم باللقب المذكور على نائبه في جلب الايكونومس رافائيل طنبرجي
(+ ١٨١٣) جزاء لفضائله السامية ومكافأة له على مساعيه المشكورة وعلمه الراجح
(طالع ترجمة هذا الايكونومس في كتاب « السلاسل التاريخية في اساقفة الابريشيات
السريانية » (صفحة ٢٨٨—٢٨٩) .

سوري دخل مدرسة « قصر العيني » الطبية بعد تأسيسها عام ١٨٢٨ في القاهرة . لكنّ علّة قلبية طرأت على صحته صدته عن المشاركة على الدراسة فعاد الى حلب بعد ما اقام في مصر سبعة شهور . ثم اتخذه السيد البطريوك مار اغناطيوس بطرس السابع (١٨٢٠ - ١٨٥١) كاتباً لاسراره فكان يعتمد على ثقافته وآرائه في تحرير الرسائل وانشاء التقارير الموجهة الى الخبر الاعظم والى الباب العالي والى سائر المقامات الرسمية .

ومن مآثر المعلم جرجس انه أنشأ في حلب مكتباً لتثقيف الاحداث وكان عددهم ينوف على المائة والثلاثين اغلبهم من ابناء الأسر الوجيبة . وبين الادياب . والاعيان الذين درسوا عليه نذكر : شقيقه الخوري اندراوس والخوري يوحنا طواف السرياني والشاعر فرنسيس مراش وانطون ضاهر والمركيز ميخائيل ابن المركيز فتح الله جرّوة وغيرهم . وألف كتاباً في علم المنطق^(١) لافادة تلامذته .

وبياناً لمثالة المعلم جرجس في الادب العربي نورد له ارجوزة بليغة ضمنها بعض قواعد طيبة وفوائد صحيّة . واليك مطلعها :

حمدُ المهيمنِ العظيمِ الرحمةُ فرضُ على طلابِ علمِ الحكمةِ
والشكرُ للملكِ الرفيعِ الشأنِ عزيزُ مصر^(٢) الوافرِ الاحسانِ
نال الوري في عهده الأمانا وللمعالي شيد الاركانا
وجوده أضحي بلا جدال في كل صقع مضرب الامثال
في كنفه احزرت علم الطب فنلت اوطاري وهذا حسي
اليكم أرفُ يا ذوي الفطن أرجوزة تجلو عن الجسم المحن

(١) لهذا الكتاب نسخة كانت تخص الكاتب الشهير عبدالله مرّاش الحلبي المتوفى عام ١٩٠٠ في مرسيليا . وقد ورثها عن اخيه فرنسيس مرّاش تلميذ الاستاذ جرجس طرازي . ولما كان القسم الاوفر من مكتبة عبدالله مرّاش قد دخل في حوزة دار الكتب الاهلية في باريس ساغ لنا ان نرجع ان هذا المخطوط ايضاً انتقل الى تلك الدار الكتابية .
(٢) هو محمد علي باشا الكبير مصلح الديار المصرية في القرن التاسع عشر وجد الاسرة المالكة فيها .

أكل داء و صفت دواء وللمدوي رفعت لواء
دونت في أطوائها ناصحاً وكل ما فيها أتاكم صالحاً
نظمها في ليلة ويوم لعل فيها خدمة لقومي
واذ تجلى نفعها المأمول بجوله سبحانه أقول :

خامساً : الخورفسقفوس اندراوس طرازي (١٨٢٦ - ١٨٥٩)

أنشأ كتاب مواعظ عنوانه « تذكرة اللبيب الى الواعظ والخطيب » .
يحتوي على مواعظ جديرة بالاعتبار القاها في القاهرة والاسكندرية . وخلف
بعض كتب مخطوطة نسخها بيده او استكتبها خدمة للعلم والملة . وقرض
الشعر احياناً فنظم قصائد لا تخلو من الفائدة . وقد قرأنا له بيتين نفيسين
امتدح بهما المرحوم فرج الله موصلي كبير أعيان الملة السريانية بالقاهرة واحد
المحسنين الى بيعة مار الياس الحلي في المدينة المذكورة وهما :

لو ادخرت نضاراً انت باذله كنت الملقب في دنياك بالذهبي^(١)

الاجر أكسب من مال تجمعه والبر في مذهبي خير من الذهب

ومن آثار الخورفسقفوس اندراوس طرازي نبذة تاريخية أثبت فيها أصل
بني طرازي واخبارهم ووقائعهم . وضمنها تراجم رجالهم السالفين كما
تلقاها عن افواه الشيوخ أو عما وقف عليه بذاته في وثائق أسرته . وادرفها
بشجرة نسبية جمعت اسماء افرادهم بالتسلسل مع أعمارهم منذ اجدادهم الاولين
الى عهده . وسمى تلك النبذة « السلسلة الابريزية في تاريخ السلالة
الطرازية » وافتتحها بهذين البيتين :

اليك سفيراً حوى تاريخ عائلة عن أصلها دلت الآثار في السلف
سليل يوسف^(٢) أنشأها وقدمها هدية منه في الاحقاب للخلف

(١) ذي الذهب اي أغنى الناس .

(٢) اثار الناظم الى اسم ابيه المقدسي يوسف طرازي (١٧٨٥ - ١٨٦٥) الذي
اوردنا ذكره مرات شتى في هذا الكتاب ولا سيما في الفصل الاول من القسم الثاني وفي
الفصل الثالث من القسم الثالث وفي الفصل الذي نحن بصدده .



الخورفسقفوس اندراوس طرازي

١٨٥٩ — ١٨٢٦

ولما اعتزم الفيكت فيليب دي طرازي ان ينشئ شجرة نسبية لاسرته^١ استند الى هذه الشجرة التي رسمها قبل ثمانين عاماً نسبته الخورفسقفوس اندراوس . وقد اتخذ تلك الشجرة القديمة اساساً لعمله فاضاف اليها جميع الاغصان التي تفرعت منها منذ وفاة الخورفسقفوس المشار اليه حتى زماننا الحاضر .

سادساً : الكنت نصرالله دي طرازي (١٨٢٢—١٨٩٥)

كان مع اشتغاله بالتجارة لا يُحجم عن مناصرة العلم ومعاوضة الادباء . وبرهاناً على ذلك انه كان من اعضاء « الجمعية العلمية السورية » ومن اوفرهم كرمًا عليها . وقد تأسست هذه الجمعية بتاريخ ١٥ كانون الثاني ١٨٦٨ في بيروت برئاسة الامير محمد ارسلان . وكانت له اليد البيضاء على مجلة « النحلة » البيروتية لمنشئها القس لويس صابونجي^٢ . وهي تعدّ اول صحيفة دورية لكاتب سرياني على وجه البسيطة .

ونشر الكنت نصرالله على نفقته في مطبعة حجرية رواية « شاول ودادود » التي وضعها القس لويس صابونجي المشار اليه عام ١٨٦٩ . وتبرع

(١) تُعد أسرة طرازي من اقدم الاسر الشرقية كما يتضح من الوثائق المحفوظة لديها وقد نشرنا بعضها في هذا الكتاب . وهي آثورية المحدث ترحت من الموصل الى حلب قبل منتصف القرن السادس عشر . يؤيد ذلك حجة شرعية موقّعة باسم مُهر بن مصطفى قاضي حلب ومؤرخه في ٦ محرم ١٠٤١ هجرية اعني في ٤ آب ١٦٣١ ميلادية . وقد اطلعنا على شجرة نسبها التي تتصل ببطرس جدّها الاعلى (١٥٩٧—١٦٧٨) الذي منه تتحدّر سلالاته المنتشرة الان في لبنان ومصر واليونان وفرنسا وشمال افريقيا واميركا وغيرها من البلدان . وبلغ عدد فروع الشجرة الطرازية عشرة اجيال سلسلة الواحد تلو الاخر منذ الجد المشار اليه حتى كتابة هذه السطور . ولما كان لهذه الاسرة المباركة آثار مشكورة واعمال مبرورة رأينا ان نجتمع اخبارها في كتاب مستقل دعوانه « الحلل الطرازية في الاسرة الطرازية » . وسنشره بحوله تعالى في وقت قريب اقراراً بالفضل وخدمةً للتاريخ .

(٢) راجع اخبار هذه المجلة في الفصل الثامن والقسم الاول من هذا الكتاب . وطالع ايضاً الجزء الثاني من « تاريخ الصحافة العربية » صفحة ٤٧—٥١ .

ايضاً في السنة ١٨٨٣ على الخورفسقفوس افرام ابيض بقيمة الورق لطبع الجزء الاول من كتابه « دليل الفردوس » وهو اول كتاب مواعظ نشرته المطابع الكاهن سرياني . ويتضمن خطباً وقضايا ذات شأن لم يتعرض الخطباء الشرقيون لمثلها قبل الآن . وقد حذا فيها مؤلفها حذو الواعظين الغربيين في القرنين التاسع عشر والعشرين .

سادساً : الكنت انطون دي طرازي (١٨٥٧ — ١٩٠٠)

قرأ اللغة العربية على الشيخ ناصيف اليازجي فأحكم أصولها وخلف نبذة عنائها « فنّ البديع » ونظم الشعر يافعاً . وقد وقفنا له على بعض المنظومات في تقرير مآثر رؤساء ملته وغيرهم نذكر منها قصيدته الشائقة في وداع البطريك اغناطيوس جرجس الخامس لما غادر غبظته بيروت الى حلب عام ١٨٨٦ جاء في مطلعها :

وداعك أحزنَ الالباب طراً ومن مُقلّ العيون الدمع أجرى
وُبعدك بعده أسفٌ شديدٌ وهجرُك للرعيّة بات مُراً

وعثرنا للكنت انطون ايضاً على بعض الخطب أهمها خطبته التي رجب فيها بالسيد العلامة اقليميس يوسف داود مطران دمشق لدن مروره ببيروت عام ١٨٧٩ بعد سياحته الاسقفية وهو متوجه الى دمشق كرسي رعايته .

وللكنت انطون الفضل في الاشراف على مؤلفات شتى انشأها بعض علماء السريان وفوضوا اليه ان ينشرها في مطابع بيروت اخصها : ١ - كتاب « الفلسفة » الذي وضعه المركيز جورج دي صعب السرياني في منشستر وقد طبعه الكنت انطون عام ١٨٨٣ في مطبعة القديس جاورجيوس الارثوذكسية . ٢ - كتاب « عقود الجمان في شرح قانون الايمان » في ثلاثة مجلدات . وقد ألفه المطران ثيوفيلس انطون قندلفت في حلب وكلف الكنت ان يشرف على طبعه عام ١٨٨٣ في المطبعة الادبية . ٣ - كتاب « القصارى » لمؤلفه الشهير السيد اقليميس يوسف داود مطران دمشق . وقف الكنت انطون

على طبعه في المطبعة الادبية عام ١٨٨٧ بعد ما استحصل الرخصة الرسمية
لنشره من مجلس المعارف . واليك نص الرسالة التي وجهها اليه بهذا الصدد
مؤلف « القصارى » من دمشق في ٢٦ نيسان ١٨٨٧ قال :

« اما بعد ابليغ التحيات الحبية والشوق والدعاء فقد احتجت اليوم الى
صداقتك الثمينة الغالية . وذلك ان في نيّتي ان اشر بالطبع في بيروت
كراسة صغيرة يُبحث فيها عن مسائل تاريخية . فالتمس من فضلك وحبك
ومروتك ان تتكلف وتلاقى خليل افندي الخوري ترجمان الولاية ومدير
المطبوعات وتسأله : هل يمكن ان تُنال الاجازة من حضرته اطبع هذه
الكراسة من دون ان يُعرض الميِّض على لجنة المعارف في دمشق؟ اذ قد
شاع عنها انها وقفت عن العمل . هذه هي المصلحة التي علّقها بهمة حضرتك
ونحوتك وصداقتك التي اقتخر بها على الدوام . وبالامل الوطيد انها تُقضى
عاجلاً على احسن وجه اختم بالسلام وغزير البركات الالهية عليك وعلى ذوبك
الموقرين اجمعين . . . »

ثامناً : الفيكنت سليم دي طرازي (١٨٦٢-١٩٠٥)

امتاز هذا الفيكنت الجليل بالغيرة على بيت الله تعالى والسخاء في
سبيل الاعمال الخيرية . ومما يُذكر له بالثناء انه لما سافر الى رومة عام ١٨٩٥
ونال شرف المشول لدى البابا لاون الثالث عشر عرض عليه احتياجات
البطيريكية الانطاكية السريانية . فاصغى الخبر الاعظم بكل اهتمام الى
كلام زائره وأثنى على غيخته الفائقة . ثم فوّض اليه ان يضع تقريراً مسهباً
ودقيقاً عن احوال البطيريكية المشار اليها ويعرض على قداسته رأيه الخاص
لاجل تعزيزها . فاكب الفيكنت سليم اياماً على وضع هذا التقرير المستوفى .
ثم رفعه في مقابلة ثانية الى مقام الخبر الاعظم الذي قرأه وتمعن في محتوياته .
وفي النهار ذاته جمع البابا لديه شيوخ الكرادلة وفاوضهم في شؤون
البطيريكية السريانية . فقر رأيهم بالاجماع على ارسال مبلغ من المال لتعزيزها

لها وسدًا لحاجاتها . وعلى اثر الاجتماع المذكور استدعى الاب الاقدس اليه الفيكنت دي طرازي وسأله المبلغ المقرّر كي يبعث به الى بطريك المّسة مار اغناطيوس بهنام الثاني (١٨٩٣-١٨٩٧) .

وفي السنة ١٨٩٦ نشر الفيكنت سليم على نفقته نبذةً عنوانها « الحقّ الوضّاح في الجواب على المصباح » لوضعها المطران ثوفيلس انطون قندلفت . وقد توخى فيها المؤلف تنفيذ اقتراء جريدة « المصباح » البيروتية على كتابه « الرأى الامين في حلّ بعض المشاكل الزوجية عند الشرقيّين » .

وفي السنة ١٩٠٠ حجّ النيكنت سليم الى الاماكن المقدّسة للتبرّك بقبر الخلاص . فانتهاز فرصة زيارته ليكتب تقريراً مفصلاً عن احوال السريان الكاثوليك واليعاقبة في اهمّ مدن فلسطين كالقدس وبيت لحم ويافا وحيفا وغيرها . ثم اردف هذا التقرير ببيان رفعه الى السيّد البطريك اغناطيوس افرام الثاني (١٨٩٨-١٩٢٩) عن الاماكن التي رآها موافقةً في مدينة القدس ليختار احدها ويُشيد فيه كنيسة وداراً للنيابة البطريركية . وقد أبدى رأيه في تفضيل بقعة الارض الواقعة تجاه دير « سيّدة فرنسة » . فاعتمد السيّد البطريك على تقرير الفيكنت هذا واستحسن رأيه واشترى بقعة الارض التي وقع اختياره عليها .

تاسعاً : الفيكنت فيليب دي طرازي

قضى الفيكنت فيليب معظم حياته في خدمة العلم والادب حتى صار ممّن يشار اليه بالبنان . وقد عرف له هذه المزية رؤساء الحكومات ورجالات المعاهد العلمية في الوطن وسائر البلدان . فزيّنوا صدره بستة عشر وساماً وعيّنوه عضواً في عشرة مجامع علمية وجمعيات ادبية ومؤتمرات اثرية . ذلك اقراراً بفضلته ومكافأةً لمساهمته .

وقد فاق هذا الفيكنت جميع من نوهنا بذكرهم من حملة الاقلام وانصار العلم في الاسرة الطرازية . ولا يسعنا ان نسرّد هنا جميع التصانيف

الشهيرة التي افاد بها رّوام العلوم في بلادنا الشرقية . بيد اننا لا نرى بدءاً من ذكر ما ألفه عن الملة السريانية واحبارها ومعاهدها وآثارها :

١ : « كتاب القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة » ضمنه الفيكنت ترجمة السيّد اقليميس يوسف داود متروبوليت دمشق الذي استأثرت به رحمة الله في ٤ آب ١٨٩٠ . واثبت فيه جميع المراثي التي كتبها علماء الشرق والغرب بعشرين لغة في تأييد ذلك الخبر الشهير . وبياناً لمنزلة هذا الكتاب النادر المثل وتأثيره في اذهان مطالعيه نورد نص رسالة المطران رّيولا افرام رحمانى الذي ارتقى الى السدة الانطاكية عام ١٨٩٨ باسم اغناطيوس افرام الثاني . وقد كتبها بخط يده في ٢٥ حزيران ١٨٩١ وانفذها من بغداد الى مؤلف الكتاب الموماً اليه قال :

« . . . لا اقدر ان اصف لك ما شعر به فؤادي من الرقة والحنان وما ذرفت عيناى من الدموع عندما افتتحت كتاب « القلادة النفيسة » وتيمنت بطلعة السيّد اقليميس المندوب على ممر الايام . ثم اخذتُ أُجِيل النظر في ترجمته وفي المراثي التي عنيت باستحصاها وجمعها . فلله درك !

« لست ارى باي كلام يمكنني ان أثني على العمل المحمود الذي اتيت به . فلقد اجدت وابدعت من كل وجه فاذا تأملت الفكرة التي أعلمتها حتى ألهمت هذا التأليف فاني لاعجب من كرامة نفسك ونجابتها . واني لاجد في عملك من هذا القليل ابلغ تحريض وتنشيط لنا على مراعاة الذمام والوفاء بالمعروف . واذا اعتبرت الغاية التي قصدتها من تخليد ذكر فقيدنا على ممر الاحقاب ورفع اسمه ونشره في جميع الامصار فاني لادهش من سمو عقلك واصوب مقاصدك . واذا نظرت الى فوائد هذا الكتاب في الاقليس خاصة ولاسيا من ابناء طائفتنا فاجد ان فيه أبلغ موعظة للقيام بواجبات الدعوة الكهنوتية والاكباب على العلم والعمل مقرونين بحسن السيرة .

« فعند قراءة الكتاب ينبغي ان يقول كل من الاقليسيتين : لمثل هذا فليعمل العاملون . وان قايسنا ما كابדתه من التعب والاعتناء بجمع الكتاب

وطبعه قلنا : يا لعوا همتك وسعة جهلك ! وان علمنا ما انفقته على ذلك من الدينار حمدنا سخاءك . وان سمعنا ما عمدت اليه وهو ان تُنفق ما يردك من بيع النسخ فيا لحسن نياتك ! وان استرفينا قراءة الكتاب سواء كان ما وضعته بنصك او ما صححته او ما جمَلته وحلّيته فيا لفصاحة نطقك وسلاسة عباراتك !

« وقد خطر ببالي امرٌ لا اكتمه عنك . وهو انه يليق ان نعمل تمثالين من المرمر يحفرهما اساتذة رومانيون لينصب احدهما في بيعة دمشق والآخر في بيعة الموصل بعد استئذان الرؤساء المحامين . فاقولك ؟ . . . » وكتب الدكتور لويس صابنجي في ٢١ حزيران ١٨٩١ من الاستانة الى مؤلف « القلادة النفيسة » ايضاً يثني عليه بقوله :

« تناولت كتاب القلادة النفيسة وطالعته بعين الانتقاد فوجدته مجموعاً من درر غراء نُظمت بعنايتك في قلادة نفيسة طبق المراد . وكلما قرأت منه نثراً او نظماً هزّني سرورٌ عظيم ما شعرت بمثله من سنين واعوام . فقد جاء كل سطر من سطور هذه الترجمة اثرّاً يزري بهرم من اهرام مصر وغيرها من سبع عجائب الدنيا . لله درّه من اثر يقتخر به اهل الشرق طراً وتُسّر به الطائفة السريانية المنتشرة على وجه البسيطة كلها !

« اما انت ايها الابن الحبيب والخل اللبيب فقد ملأت عيني بهمتك العليا . ومساعيك الغراء . وأتيت بما لم تأتاه الاوائل وان كنت الاخير زماناً . نعم لقد اتيت من العظام امرأً وانجزت في الفخر عملاً على حداثة سنك ما سبقك اليه احدٌ من فحول الادباء في الاعصار الحالية والامم الدائرة . وذلك أننا منذ علق الشعراء والحُطباء الرثاء على قبور محاضير الرجال والابطال ما سمعنا حقاً ولا وقفنا على كتاب حوى مرثيى احد من العلماء او الملوك والقواد نظاماً ونثراً بعشرين لهجة .

« هذه قلادة نفيسة تطوّع لنظم درّها في سلك الزمان فحول رجال من كل مذهب ومعتقد ومن كل ملة وأمة ومن كل مقام ورتبة ومن كل



الفیکنٹ فیلیپ دی طرّازی

ارض وبلدة . فلو انبعث من قبره قديم الحكماء براوشاع الاثوري
 وطرزماجست المصري وزردوشث المجوسي الزندي وفيازا الحكيم الهندي
 والفيلسوف كنفوشي الصيني وصنقنياطون الفينيقي واناقريسز التتري وافلاطون
 اليوناني واسكندر المقدوني وكسرى الفارسي وقيصر الرومي ونابوليون
 الافرنسي وغيرهم من قواد الجيوش والحكماء والفلاسفة والمشتريين
 وسمعوا تقریظاً ورثاءً بعشرين لغة في مدح رجل من خدام العلم والانسانية
 لذابوا من جرأته حسداً .

« فلي ان افتخر بك يا ولدى وقرّة عيني كل الاقتحار . واهني نفسي
 على ما أولاها ربها قبل ارتحالها من دار الفناء الى دار البقاء . من ان ترى
 شاباً زكياً من بني جنسها وملته قد قام بهيمته العليا وعزيمته الكبرى بما قدم
 عنه كثير ممن ادعى المروءة والنخوة قبله . بارك الله فيك ايها الشاب النجير !
 واقرّ بك عيون والديك واهلك الكرام ! وجعلك قدوةً لاصحاب العزائم
 العظام ! فكنت قد توسمت الخير والنجابة في سياك منذ وسمت جبينك
 الاغرّ وصبغته بصبغة العباد المقدّس .

« فاهناً اذا بهذه الفعلة الحسنة التي ادركت بها من طيب الذكر وحسن
 الشناء ما يدومان مدى الزمان . واذخرت لك في خزائن الصحف والتواريخ
 أثراً يحاذي ما نصبته في قلوب محبي الفقيه في الحال والمقتدين بنموذجه
 الصالح في الاستقبال . وصار ذكرك واسمك مقرونين باسمه الكريم
 وذكره المجيد ما تعاقب الملوان وتلاّأ الفرقدان . ونلت بذلك فخراً في
 الناس وثوباً عند ربك ذي الجلال . وابتعت بالفضل سلعة شهرة ما
 استطعت ابتياعها ولو بمال قارون ما توالت القرون . . . »

٢ : كتاب « قطر الندى في ردّ الصدى » يشتمل على رسائل الشناء
 التي وردت الى الفيكنت فيليب في تقریظ كتابه « القلادة النفيسة »
 الالف الذكر .

٣ : كتاب « اصدق ما كان في تاريخ السريان » . أنشأه الفيكنت

فيليب وضمنه اخبار الملة السريانية الى هذا العهد . واهدى نسخته المكتوبة بخط يده الى مكتبة دير الشرفة مع نسخة اخرى منه بغير خطه .

٤ : كتاب « التحفة في تاريخ دير الشرفة » . سبق لنا وصف هذا الكتاب الفريد في الفصل الاول من القسم الثالث وعنوانه « آل طرازي ودير الشرفة » وما برح هذا الكتاب غير منشور بالطبع الى اليوم .

٥ : كتاب « السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية » نشره الفيكننت بالطبع عام ١٩١٠ وادرج فيه اخبار ابحار الملة السريانية منذ عهد انضمامهم الى البيعة الرومانية وزينه برسوم اولئك الاحبار . وعلق عليه حواشي ذات شأن قلما يعثر عليها الباحثون مفصلة بالدقة والضبط في كتاب آخر . وقد اصبح مؤلفه هذا مرجعاً لجميع الذين يرومون الوقوف على حوادث الملة واخبار بطاركتها واساقفتها .

٦ : « جدول عام لبطاركة السريان الكاثوليك » يشتمل على انسابهم وتواريخ ولادتهم ووفاتهم وسيامتهم الكهنوتية والاسقفية وجلوسهم البطريكي وتأييد الاحبار الرومانيين لهم وحصولهم على الفرمان الشاهاني وشعارهم الخاص مع ما لهم من المآثر العلمية والدينية والوطنية . وقد رتبته هيئة مبتكرة تروق الناظر وتبهج القارئ . ثم اهداه خطأ الى مكتبة دير الشرفة .

٧ : « شجرة تاريخية لسلاسل بطاركة انطاكية » من عهد الرسول بطرس الى الآن عند جميع الطوائف الكاثوليكية وغير الكاثوليكية .

٨ : « مجموع البراآت البابوية » الممنوحة لبطاركة السريان من عهد انضمامهم الى البيعة الرومانية . وهذه البراآت ضمها الفيكننت فيليب في مجلد واحد واهداه الى مكتبة دير الشرفة .

٩ : « مجموع الفرامين والبراآت السلطانية » الممنوحة من سلاطين آل عثمان لبطاركة السريان الكاثوليك منذ القرن السابع عشر الى القرن العشرين . وقد ضمها كلها الى مجلد واحد اهداه ايضاً الى مكتبة دير الشرفة .

١٠ : « الرأي الامين في حلّ بعض المشاكل الزيجيّة عند الشرقيين » .
نشر الفيكننت فيليب على نفقته هذا الكتاب الذي ألفه المطران ثيوفيلس
انطون قندلفت (١٨٩٨) في بيروت . ثم ترجمه بقلمه الى اللغة الفرنسية
واهدي النسخة المكتوبة بخط يده الى مكتبة دير الشرفة .

١١ : « وثائق زواجية » هي مجموعة مرافعات ومدافعات جلييلة الشأن
وضعها المطران ثيوفيلس انطون قندلفت في احدى الدعاوى الزوجيّة الشهيرة
في بلادنا الشرقية . جمعها الفيكننت فيليب وترجمها الى اللغة الفرنسيّة ثم
اهدي النسختين العربيّة والفرنسيّة في مجلدين الى مكتبة دير الشرفة .

١٢ : كتاب « قرة العين » هو ديوان كبير يحتوي على قصائد شتى
نظمها الفيكننت فيليب . ومن جملتها منظومات وتواريخ شعرية كثيرة العدد
منوطة بالملّة السريانيّة ورؤسائها وأعيانها ومعاهدها ومعابدها واضرحة موتاها .
١٣ : كتاب « صنّاجة الطّرب في رياض الخطب » . ضم اليه مؤلفه
الفيكننت فيليب كثيراً من الخطب التي القاها في احتفالات شتى تتعلق بالملّة
السريانيّة . وقد اشرفنا الى تلك الخطب في الفصل الثاني من القسم الثاني
الذي عنوانه « آل طرازي وتعظيمهم لاحبار ملّتهم » .

١٤ : نقل الفيكننت عن اللغة العربيّة الى اللغة الفرنسيّة المنشور
البطريكي الذي أصدره مار اغناطيوس بهنام الثاني عام ١٨٩٥ عن مقرّه يوم
ذاك في دار آل طرازي مشفوعاً بالرسالة البابويّة العامّة التي بدؤها :
« Orientalium Dignitas » .

١٥ : ترجم الفيكننت ايضاً الى اللغة الفرنسيّة اول منشور بطريكي
أذاعه مار اغناطيوس افروام الثاني على اثر ارتقائه الى السدة الانطاكية .
ثم طبعه في كراس خاص ووزعه على جميع الابريشيات السريانيّة .

١٦ : « العقد الثمين في رسائل الالباء الى البنين » سبق لنا وصف هذه
المجموعة الاثرية في مقدمة الكتاب . وهي مختارات من الرسائل الكثيرة
التي كتبها اية الشرق بخطوطهم ولاسيا بطاركة السريان ومطارنتهم . وهذه

الرسائل باجمعها قد وجهها اولئك الائمة من انحاء شتى الى آل طرازي في القرنين الاخيرين . فانتقى منها الفيكنت فيليب زهاء ثلاثة آلاف رسالة ثم رتبها في احد عشر مجلداً وأهداها الى مكتبة دير الشرفة .

١٧ : نقل عن العربية الى الفرنسية خطاباً للسيد ثيوفيلس انطون قندلفت عنوانه « تعاليم الكنائس السريانية في سر الاوخراسيتيا » وألقاه الفيكنت عينه بالنيابة عن مؤلفه في المجمع القرباني الاورشليمي عام ١٨٩٣ كما ألعنا اليه في الصفحة ٥٨ من هذا الكتاب .

١٨ : تقرير عنوانه « فوائد نقل كرسي البطريكية السريانية من ماردن الى يبروت » وقد اشرفنا اليه في الصفحة ٦٤ من هذا الكتاب .
١٩ : نبذة عنوانها « الزتبة العددية في اسماء بطارقة البيعة الانطاكية » كتبها الفيكنت بمثابة تقرير رفعه الى البطريكيين الانطاكيين مار اغناطيوس بهنام الثاني وخليفته مار اغناطيوس افرام الثاني . وقد اثبتنا تفصيل ذلك هنا في الصفحة ٧٠

٢٠ : نبذة عنوانها « بيان مرفوع الى محكمة الديوان العربي في عاليه » بلبنان . كتبها الفيكنت بتاريخ ٢٦ آذار ١٩١٥ دفاعاً عن نفسه وعن السيد البطريوك مار اغناطيوس افرام الثاني وعن بعض اعيان هذه البلاد تبرئة من مكيدة شيطانية لم تخطر على قلب بشر . وكان بطل تلك المكيدة اميراً لبنانياً نبذته أسرته الثبيلة لشذوذ اخلاقه وعدم استقامة مبادئه .

٢١ : تراجع بعض مشاهير الملة السريانية . دونها الفيكنت تخليداً لماثرهم وحثاً على اقتفار آثارهم .

٢٢ : شجرات نسبية لبعض الاسر السريانية . نظمها الفيكنت اجابة الى طلب تلك الاسر مستنداً في ذلك الى أوثق المصادر . وكثيراً ما اعتمدت المحاكم على تلك الشجرات النسبية في فصل الدعاوى او في اثبات ارث او غير ذلك .

٢٣ : ألف احد ائمة الملة السريانية في السنة ١٨٧٣ كتاباً جديلاً تاريخياً

لم ينسج على منواله احدٌ قبله من حيث كثرة التنقيب ودقة البحث . وافرغ كنانة جهده في استيفاء الموضوع حقّه مستنداً في ذلك الى اقدم الوثائق واثبت المصادر التي توفى الى العثور عليها في مكاتب الغرب والشرق . وكان العلامة صاحب هذا الكتاب صديقاً حميماً لآل طرّازي فاراد قبل وفاته رحمه الله تعالى ان يبدي لهم برهاناً جلياً على تلك الصداقة . فتنزّل لهم طوعاً عن مؤلفه هذا النفيس الذي عكف على وضعه اعواماً طويلة وملّكهم اياه مؤثراً ان يبقى لديهم ولدى ذريتهم ذكراً منه مؤبداً . ولما سلّمهم تلك الذخيرة اليتيمة قال لهم : « استودعكم ابني الوحيد ليكون ملكاً حلالاً لكم ولذريتكم المباركة » . وكان هذا الكتاب الفريد منسوجاً بنحط يد مؤلفه الجليل من فاتحته الى خاتمته . فأهداه الفيكنت بدوره الى مكتبة دير الشرفة في ١٥ آب ١٩٢٥ . ونسقناه نحن تحت الرقم ٢٩/ في خزائن مخطوطاتها الثمينة .

٢٤ : نشر الفيكنت في آونة مختلفة مقالات شتى على صفحات الجرائد والمجلات تتعلق بالملّة السريانية . من ذلك مقالتان نشرهما عام ١٩٢٧ في مجلة « الآثار الشرقية » صفحة ١٣٢ و ١٩٠ ردّاً على افتراء احدى مجلات بيروت التي تعرّضت لتخطئة السيّد البطريرك مار اغناطيوس افرام الثاني في مسألة علمية فأخطأت المرمى . واتفق ان السيد البطريرك المشار اليه كان متغيباً حين ذاك في اوربة انتجاعاً للصحة . فلم يتألمك الفيكنت ان جرد قلمه وأتى بالحجج الدامغة . مبنياً مزاعم تلك المجلة مدافعاً عن الحق ومناضلاً عن كرامة بطريركه المعبوط . ولما عاد هذا الخبر الانطاكي من رحلته شكر للفيكنت همته وعنى لو يكون بين السريان ابنائه من يضارعه في شهامته .

٢٥ : اجاب الفيكنت الى رغبة بعض اعيان الملّة واكليروسها في نظم القصائد وتجهيز المقالات لفائدتهم الخصوصية . وقد نشروا تلك الكتابات شعراً ونثراً باسمهم . ثم نزع ايضاً بقلمه بعض كتب وضعها غير واحد من المؤلفين السريان في هذا العصر .

٢٦ : اعتنى هذا الفيكنت المهام بجمع اهم الاسفار التي نشرها المؤلفون السريان في مختلف البلدان وفي عدة لغات واهداها باجمعها الى مكتبة دير الشرفة العامر . وقد صنع ذلك علماً منه بان السريان قاطبة يعتبرون مكتبة ذلك المعهد الشهير مرجعهم الاعلى في الابحاث العلمية .

٢٧ : اقتنى الفيكنت دي طرازي جميع ما عثر عليه من المخطوطات السريانية او ممّا له علاقة بالامة الارامية . ووقف ذلك كله لمكتبة دير الشرفة ليستفيد من مطالعته اهل البحث وروّام الآثار القديمة .

٢٨ : يرجع الفضل الى هذا البجاعة النشط في تكوين مجموعة كاملة من الجرائد والمجلات السريانية والكرشونية التي صدرت في لبنان وسوريا وفلسطين وما بين النهرين واسية الصغرى والعراق وكردستان والمبار واميركة الشمالية . وهي مجموعة ثمينة بل نادرة صرف الفيكنت جهوده في ضمّ شتاتها واهداها الى مكتبة دير الشرفة حرصاً عليها من الضياع . ونلتهمز الفرصة لنضمّ الى ما سبق سائر مؤلفات الفيكنت فيليب وآثاره القلمية . وقد نشر قسماً منها بالطبع ووقف القسم الآخر لمكتبة دير الشرفة وهي :

٢٩ : تاريخ الحديوية المصرية في عهد السلالة المحمدية العلوية .

٣٠ : تاريخ نابوليون الاول .

٣١ : ديوان نفحة الطيب .

٣٢ : ترويح الانفس في بلاد الاندلس .

٣٣ : كتاب « الجواهر الصافي في ابداع القصائد المشتركة القوافي » جمع فيه الفيكنت أشهر القصائد ذات القوافي المشتركة كالحال والعين والعجوز والغرب والعلم والشرف وغيرها . وعلق على تلك القوافي شرحاً وافياً .

٣٤ : « ارشاد الكتاب الى فنّ تنظيم المكاتب » يتضمن قواعد فنية واساليب حديثة لتنسيق المكاتب في الشرق على منوال دور الكتب في الغرب . وهذا الكتاب مبتكر في بابهِ . استند الفيكنت في وضعه الى

العلم والاختبار مدة ست عشرة سنة متوالية . فسدَّ بذلك ثلثة كبيرة في اللغة العربية لم يَأْبَهُ لها غيره قبل الآن . ولسرعة انجاز هذا الكتاب الخطير الذي يتطلَّب الدقة والبحث الطويل استعان المؤلف في انشائه وترجمته ببعض معاونيه في دار الكتب الكبرى ببيروت .

٣٥ : نبذة عنوائها « تأسيس دار الكتب الكبرى » في بيروت نشرها الفيكتنت دي طرازي عام ١٩٢٣

٣٦ : خلاصة اعمال شركة القديس منصور دي بول في بيروت منذ نشأتها في السنة ١٨٦٠ حتى السنة ١٩٠٦

٣٧ : سلسلة تاريخية لرؤساء شركة القديس منصور ونواب رئاستها وجميع متوظفيها في بيروت منذ عام ١٨٦٠ الى الزمان الحاضر .

٣٨ : « الآثار الذهبية لشركة القديس منصور الخيرية » . يحتوي هذا الكتاب على اهم الصكوك الرسمية للشركة المذكورة وعلى اكثر الخطب والتقارير التي تليت في جلساتها العامة وحفلاتها الكبرى .

٣٩ : « فهرس عامة للجرائد والمجلات العربية في الخافقين » منذ تكوين الصحافة حتى الآن .

٤٠ : « فهرس عامة للجرائد والمجلات الشرقية في الخافقين » لكل من اللغات السريانية والعبرانية والحبشية والارمنية والفارسية والتركية والكردية والتتية واليونانية والاردوية الخ .

٤١ : « نبذة مختصرة في الصحف العربية المصورة » .

٤٢ : « مجموع تقارير علمية واثريّة » وجهها الفيكتنت الى المجامع العلمية والجمعيات الادبية في اوربة والشرق .

٤٣ : نبذة أدمجت بتاريخ « لبنان » الذي طبعته الحكومة اللبنانية على نققتها اثناء الحرب العظمى .

٤٤ : كتاب « تاريخ الصحافة العربية » يحتوي على اخبار كل جريدة ومجلة عربية ظهرت في الخافقين مع رسوم اصحابها ومحرريها وتراجم

مشاهيرهم . يقع هذا الكتاب في اثني عشر مجلداً ظهر منها بالطبع الى حين كتابة هذه السطور اربعة مجلدات . وقد أثنى عليه العلماء شعراً ونثراً وأحلوه محل الاعتبار لانه اصبح مرجعاً في موضوعه للباحثين والصحافيين . ومن الشعراء الخمسين الذين قرظوه نذكر ابياتاً للشيخ العلامة ابراهيم الخوراني اختتمها بتاريخ قال :

يا مَنْ اذا صَلَّتْ الاقلام في يده صامَ المهتدُ خوفاً وانحنى وسجد
انشأت في الشرق تاريخ الصحافة لم تُسبق اليه ولا باراك فيه أحد
سفر به يا ابنَ نصرالله قد نُصرت صحائفُ كسرت كسراً بغير عدو
أحرزت يا نجل طرازي الشريف به مدحاً وذكراً غدا عطراً لكل بلد
فأنت من رام من مسعاه حين بدا بستان تاريخه غضّ الجنى ووجد

١٩١٣

عاشراً : سائر أدباء آل طرازي

اثبتنا حتى الآن اسماء فريق من آل طرازي ممن خلفوا في الملة السريانية آثاراً قلمية . وقد اشتهر بينهم رجالٌ غيرُ من نوهنا بذكرهم خدموا الصحافة والأدب قولاً وعملاً . أخصهم يوسف طرازي (١٨٤٧ — ١٨٧٢) ابن المقدسي انطون عميد ابرشية بيروت السريانية . فانه دبج جريدتي «الجنة» و «الجنة» البيروتيتين للمعلم بطرس البستاني بمقالات عديدة بعث بها من مدينة بورسعيد حيث كان امين سر فردينند دي ليسبس فاتح ترعة السويس . وما عدا ذلك فانه على قصر حياته خالف كثيراً من المنظومات الرائعة المعربة عن نبوغه وطول باعه . نورد منها تاريخاً شعرياً نقشه فوق باب منزله امتلاكه عام ١٨٦٩ على شاطئ ترعة السويس^(١) . قال :

من فضل ربي شدت بيتاً قام في غير السويس به أسر وأسرتي

(١) لما سافر البطريرك الانطاكي مار اغناطيوس فيلبس الاول مع ستة من مطارنته وبعض الكهنة لحضور المجمع الوايكني رست الباخرة بتاريخ ٨ آب عام ١٨٦٩ في ثغر بورسعيد . فاحتفى يوسف طرازي بقدومهم وقضوا في منزله يوماً كاملاً على الرحب والسعة .



يوسف ابن المقدسي انطون طرازي

١٨٧٢ — ١٨٤٧

فَيْدُ الطَّبِيعَةِ نَمَتِ أَرْجَاءُ بَرًّا بَزْهَرٍ فِيهِ أَطْيَبُ نَكْهَةٍ
فَأَنْضَمَّ فِيهِ الْخَافِقَانِ وَمَتَلَي هُوَ مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ فِي ذِي الْبُقْعَةِ
بِالشَّرْقِ صَارَ الْعَرَبُ مُتَّصِلًا هُنَا فَتَلَاَحَمَا وَتَصَافَحَا كَالْإِخْوَةِ
وَبِكُلِّ حَقٍّ صَرَتْ أَهْتَفُ قَائِلًا وَمُؤَرَّخًا لِي تَمَّ حَفَرُ التَّرْعَةِ

١٨٦٩

وانتقل يوسف طرّازي الى دار البقاء بتاريخ ١٠ شباط ١٨٧٢ في بيروت مأسوفاً على آدابه وشبابه . فنظم صديقه العلامة وعارف فضله امين شمّيل^(١) تاريخاً لضريحه قال :

ذَا مَرَسُ يَوْسُفَ طَرَّازِي عَلَيْهِ هَمِي دَمَعٌ سَخِينٌ مِنَ الْأَحْدَاقِ قَدْ نَفَدَا
قَدْ مَاتَ فِي الْخَمْسِ وَالْعَشْرِينَ تَهْصَرُهُ غَصْنًا رِيَّاحُ الرَّدَى تُحْيِي بِهِ الْكَمْدَا
قَضَى الْحَيَاةَ بِتَقْوَى اللَّهِ ثُمَّ مَضَى إِلَى النِّعَمِ لِيَحْظِيَ بِالْهِنَا أَبَدَا
مِلَاثُكَ الْعَرْشِ قَدْ نَادَتْ مُؤَرَّخَةً نَرَاهُ فِي حَضْنِ إِبْرَاهِيمَ قَدْ رَقَدَا

١٨٧٢

ومن أدياء هذه الأسرة يوسف (١٨٥٧-١٩٠٥) بن نعمة الله طرّازي الذي اشتغل كاتباً حاسباً في ادارة جريدة «الاهرام» في اوائل عهد نشأتها بالاسكندرية . فانه درس اللغة العربية على سليم بك تقلا مؤسس تلك الجريدة عندما كان كبير اساتذة المدرسة البطريركية في بيروت . ولما انجز يوسف دروسه عام ١٨٧٣ أنشد في الحفلة السنوية قصيدة عامرة الابیات من نظمه وداعاً لتلك المدرسة التي غدّته البان الفضيلة والعلم . ونظراً لمتانة قصيدته معنى ومبنى نوردُ منها أبيات المطلع وهي :

سَلَامٌ عَلَى صَرَحٍ بِهِ الْعِلْمُ زَاهَرُ وَقَوْمٍ لَهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَآثُرُ
سَلَامٌ عَلَى رَهْطِ الْأَحْبَةِ كُلِّهَا تَبْلُجُ صَبْحٌ أَوْ تَغْوَلُ شَاعِرُ
سَاحِفُ ذِكْرِی الْبَطْرِيكِيَّةِ الَّتِي بِمَا عَلَّمْتِي قَدْ غَدَوْتُ أَفَاخِرُ

(١) طالع ترجمة امين شمّيل في الجزء الثاني من كتاب «تراجم مشاهير الشرق» لمؤلفه جرجي زيدان صفحة ٢٠٦-٢٠٩ .

رعى الله عهداً في حماها قضيتُهُ ولا ينكرُ المعروفَ إلاّ المكارهُ
 اودعَ فيها الفضلَ والنبْلَ والنهى وقلبي لها في السرِّ والجهرِ شاكرُ
 فلا برحت للشرقِ مشكاةً حكمةً تعزّزُ شأنَ العلمِ ثمّ تناصرُ
 ولما نشبت الحرب بين ايطاليا والحبشة (١٨٩٤ - ١٨٩٦) كلفت
 القيادة العليا للجيش الايطالية يوسف طرازي ان يرافقها الى بلاد الاريتره .
 وعهدت اليه حين ذلك بمنصب مهمّ في قلم الترجمة لتضلعه من لغات شتى
 شرقية وغربية .

ومنهم فتح الله طرازي (١٨٣٥ - ١٨٩٢) الذي عاش اربعاً وعشرين سنة
 في انكلترا . فانه انشأ مقالات شتى مفيدة ونشرها على صفحات جريدة
 «مرآة الاحوال» لرزق الله حسون ومجلة «النحلة» للدكتور لويس صابونجي
 في لندن . وكانت مقالاته في «مرآة الاحوال» المطبوعة على الحجر مكتوبة
 بخط يده . ولم يكتفِ فتح الله بذلك بل تبرّع بسخاء على هذين الصحافيين
 كليهما تعريزاً لفن الصحافة الشرقية في بداءة عهده . وعلى رغم اشتغاله
 بالتجارة فقد جرت له مساجلات لطيفة مع العالمين اللبنانيين الكنت رشيد
 الدحداح (١٨١٣ - ١٨٨٩) نزيل باريس وامين شميل (١٨٢٨ - ١٨٩٧)
 نزيل ليقربول . وقضى فتح الله طرازي ايامه الاخيرة في مرسيليا حتى ادركته
 المنون في ١٤ اذار ١٨٩٢ وقد وقفنا على تاريخ شعري لوفاته هذا نصه :

باليمن فتح الله فارق أهله
 أملًا بفتح في ربوع الجنة
 من هذه الدنيا مضى متدرّأ
 بسلاح تقوى الله لا بأسنة
 أسفت له مرسيليا لما قضى
 وبكته أسرته بدمع الكأبة
 واذا بكاه زهر موطنه ففي
 تاريخه يبكيه زهر الغربه

١٨٩٢

ومثلما خدم بعض آل طرازي الآداب السريانية والعربية انصرف غيرهم
 الى الكتابة والتأليف في اللغة الفرنسية . واخصهم السيدة ماري زوجة



يوسف بن نعمة الله طرازي

١٩٠٥ — ١٨٥٧

فتح الله طرازي المشار اليه . فأنها وضعت كتباً كثيرة لم تنشر منها سوى ثلاثة وهي : الاول «تبتل الكهنة» والثاني «سياحة في جبل آثوس» والثالث رواية عنوانها «في السيارة» . وتطرقت المؤلفة في كتابها الثالث الى الحديث عما اطلعت عليه من احوال الشرق وعادات الشرقيين . وحلت وفاة هذه الكاتبة في مرسيليا عام ١٩٢٨ بالغة الرابعة والثمانين من سنها .

وما قلناه عن ماري زوجة فتح الله طرازي يصدق عن ماتلد ابنته ايضاً . فقد اكبت على الدرس والكتابة منذ نعومة اظفارها واشتهرت بما خلفته من الآثار القلمية التي نشرت في بعض المجلات الفرنسية . وقد هصر غصن حياتها الرطيب في شرح شبابها .

ومن احفاد فتح الله طرازي نذكر المحامي البارع جرجس بن ادمون في مرسيليا . فإنه قضى مدة من خدمته العسكرية بالجيش الفرنسي (١٩٢٥ — ١٩٢٦) في سوريا ولبنان . واثناء ذلك عيّن استاذاً للغة الفرنسية في مدرسة دير الشرفة إجابة لرغبة بطريك السريان مار اغناطيوس افرام الثاني رحمه الله تعالى .



القسم الرابع

آيات معرفة الجبل لآل طرازي

الفصل الاول

الاحبار الرومانيون وآل طرازي

كانت الأسرة الطرازية فيما سلف كأغلب الأسر السريانية في مدينة حلب منتحمة الى ملة السريان اليعاقبة الزاعمين بطبيعة واحدة في السيد المسيح . وكان ابناء تلك الاسرة كابناء زملائهم وجهاء حلب يزاولون في المدرسة المليمة مبادئ اللغتين السريانية والعربية . ويغذون انفسهم بقراءة الكتاب المقدس بدءاً من المزامير الداودية طابقاً لاسلوب التعليم الجاري في ذلك العصر . وكانوا يتمرنون على الطقوس البيعية ويتلقنون عن اساتذتهم نتقاً من تواريخ اجدادهم وآداب علمائهم .

فلما جاهر السيد ديونوسيوس ميخائيل جرويه مطران حلب عام ١٧٧٤ بالايان الكاثوليكي المقدس لبني آل طرازي دعوة هذا الحبر الجليل وانضموا الى آرائه وعقيدته . واضحى جذهم بطرس طرازي الثاني (١٦٨٧-١٧٧٦) من اخص تلاميذه الصادقين وابنائهم البررة الامناء . فاطرح هو وآل بيته المذهب المنوفستي واصبحوا من اقوى المدافعين عن حوزة الايمان الكاثوليكي باقوالهم واعمالهم وامثلتهم الصالحة . وشاطروا رئيسهم الروحي المشار اليه نوابه الشقي . وضحوا بالغالي والنفيس في تعزيز مقامه ولاسيا بعد ارتقائه في

دير الزعفران عام ١٧٨٢ الى الكرامة البطريكية على جميع السريان دون استثناء .

بلغت مسمعي إمام احبار بيعة الله مار بيوس السادس (١٧٧٥—١٧٩٩) اخبار غيرة آل طرازي وتفانيهم في تعزيز مقام بطريركهم المغبوط وتشبهم باهداب الكرسي الرسولي . فانعم على عميدهم الياس طرازي (١٧١٥—١٧٩٢) بوسام «المهاز الذهبي» طبقاً لبلدة تاريخها ٢٨ آب ١٧٨٥ لم تزل محفوظة الى الآن . وقد اثبتنا ذلك في الفصل الاول من القسم الثاني تحت عنوان «آل طرازي وضيافتهم لاحبار الملة السريانية» صفحة ٤٦ .

وورد في قيود آل طرازي ان جدهم انطون (١٧٨٩—١٨٥٥) ارتحل الى عاصمة الكثلركة عام ١٨٢٩ انتجاعاً للصحة . وحظي بعد وصوله اليها بمقابلة الخبر الاعظم بيوس الثامن (١٨٢٩—١٨٣٠) الذي ادرك ما يعانيه هذا الزائر الغريب الديار من ضعف القوى فأمر طبيبه الخاص بمعالجته . فقام هذا الطبيب باوامر مولاه حتى فاز العليل بعد مدة وجيزة بالشفاء التام . ولما تشرف انطون بين يدي إمام الاحبار ليغرب لقداسته عن عواطف شكره البنوي ويستأذنه في السفر أوعز اليه ان يتربص في رومية ريثما يستجمع قواه . ثم فوَّض اليه أن يعلم اللغة السريانية في مدرسة نشر الايمان المقدس لانه كان من البارعين بها . وكلفه ايضاً ان يدرس بعض المخطوطات السريانية في المكتبة الواتيكانية ويترجم بعضها . فنهض انطون بتلك الخدمة الادبية واستحق ان تثبت تلك المكتبة اسمه في احدث سجلاتها بين اسماء رجال الفضل الذين ادوا لها الخدم المشكورة . وبعد هذا عاد انطون طرازي الى وطنه يحمل تحفاً قدسية نفيسة تكرم بها عليه الخبر الروماني الموما اليه .

وفي السنة ١٨٥٦ عاد البطريك اغناطيوس انطون الاول (١٨٥٣—١٨٦٤) من رومة الى بيروت . وحلَّ هو واساقفته في دار آل طرازي عملاً بتقاليد سلفائه الاحبار الانطاكيين . فأهدى اليهم صورة زيتية تمثل دخول

السيد المسيح الى الهيكل واحتضان سبعان الشيخ له . وقد بارك البابا بيوس التاسع (١٨٤٦-١٨٧٨) بيمينه تلك الهدية التي خصصها البطريرك بالاسرة الطرازية . وما برحت تلك الصورة الجميلة مصنوعة عندهم كائن ذخيرة الى هذا العهد .

ولما انفرد عقد المجمع الواتكاني المسكوني عام ١٨٧٠ أتحف الخبر الاعظم بيوس التاسع بطاركة المشرق بهدايا وتذكارات نفيسة . ومن جملة هدايا نوط ذهبي نقش على احدى صفحاته رسمه الكريم وعلى الصفحة الاخرى رسم المجمع الواتكاني . ولما قفل البطريرك اغناطيوس فيلبس الاول (١٨٦٦-١٨٧٤) راجعاً من رومة وحلّ هو وحاشيته في دار آل طرازي أهدى الى عميدهم الكنت نصرالله هذا النوط التذكاري الذهبي . فكان ذلك برهاناً ساطعاً على شديد اعتبار البطريرك لهذه الاسرة النبيلة التي تتمتع بارفع منزل لدى بطاركة الملة السريانية .

واصل آل طرازي صنائعهم في سبيل تعزيز ملتهم وتجلّت تلك الصنائع خصوصاً حين المباشرة ببناء كنيسة بيروت السريانية . وبلغت القاصي والداني اخبار عوارفهم فاراد الخبر الروماني البابا لاون الثالث عشر (١٨٧٨-١٩٠٣) ان يُبيدي لكبيرهم نصرالله عاطفة الرضا والاستحسان . فنحّه وسام « القديس سلفسترس » طبقاً لبراءة مؤرخة في ٢٠ شباط ١٨٨٠ ميلادية . وهو اول سرياني احرز هذا الوسام من سخط الكرسي الرسولي .

واضاف هذا الاب الاقدس الى تلك المنحة منحة اسمى واعظم اراد ان يكمل بها شيخوخة نصرالله طرازي عميد اسرته وملته . فانعم عليه برتبة « كنت روماني » تتسلسل في اعقابهِ الذكور كابراً عن كابر . ذلك اجابة الى رغبة البطريرك الانطاكي مار اغناطيوس بهنام الثاني (١٨٩٣-١٨٩٧) الذي تسلم براءة هذه الرتبة الشريفة وانفدّها الى الكنت الجديد مشفرة برسالة منه هذا نصها :

« نهدي اليكم دعواتنا الحيرية ونستمطر عليكم النعم الربانية

لتمتعكم نفساً وجسماً . اما بعد فان ما انطوت عليه سريرتكم ايها الابن العزيز الكامل من مكارم الصفات والمآثر الروحية والزمنية والتفاضل في افعال التقوى والخدمات الحسنة في سبيل الخير الطائفي التي على خطتها نبغ ابناؤكم المباركون لم يزل محرّكاً فينا عوامل حبٍ خاص ابوي لكم تتضاعف بدرجات تفاضلكم في هذه المحاسن . وكان ذلك سبب عزاء وسرور ومباهاة بكم . ومن ثم فقد ترتب علينا من باب العدل ان نكيل لكم بمكيال مبرآتكم هذه تقديرًا لمزلتها وتعزيرًا لجانها وترايدًا لاسباب مباهاتنا ومسرتنا بكم .

« وعليه فبطيب نفس نوافيكم اليوم بالجماعة النفيسة الجليلة النادرة من رأس كنيسةنا المقدسة الخبر الروماني الاعظم البابا لاون الثالث عشر المالك سعيداً . وهي براءته برفع منزلتكم الى مقام الكنت الروماني السامي جاعلاً حق هذا النعت الشريف متسلسلاً منكم للابناء الابكار ظهراً بعد ظهر . وذلك دلالة من قداسته على رضوانه الابوي عنكم وعن انجالكم المحبوبين المباركين وارتياحه الى حسن خدمكم وتقواكم . فنعمنا ما استحققتكم ايها الابن التقي الفاضل ! فليكن ذلك لكم هنيئاً مريئاً ! وليهنا ابناؤكم المباركون وسائر افراد عائلتكم بهذا المجد الذي لاقى محله ! والله نسأل ان يد في عمركم لتستعملوا هذه علامة الشرف بعلاء شأن وفخر . وان يوثيكم سائر ابواب العز والتوفيق والهناء . هذا ونهدي اليكم والى افراد عائلتكم المصونة المباركة تكراراً البركة والسلام بالرب في الختام »
« أُعطي في رومية في ١٦ تشرين الثاني سنة ١٨٩٤ وهي الثانية لبطريكيتهنا

الحقير

(مكان الختم)

اغناطيوس بهنام بني

بطريك السريان الانطاكي

واليك نص البراءة البابوية المشار اليها كما ورد في الاصل اللاتيني

بالحرف الواحد وهو :

Leo P. P. XIII

Dilecte fili Nasrallah, salutem et apostolicam benedictionem.

Eximia virtutum ornamenta, quibus una cum filiis tuis egregia apud omnes opinione flores et a Patriarcha Antiocheno Syrorum amplissimis verbis commendaris, religionis praesertim pietatisque laus atque immutatum erga Romanam cathedram Nos quodammodo impellunt, ut peculiare benevolentiae tibi documentum deferamus, quod non te solum, sed tuos etiam posteros nobilitate claros efficiat. Quare omnes ac singulos quibus hae litterae Nostrae facient, peculiari benevolentia complectentes, et a quibusvis excommunicationis et interdicti, aliisque ecclesiasticis sententiis, censuris et poenis si quas forte incurrerint huius tantum rei gracia absolventes et absolutos fore censentes, te, dilecte fili, tuosque posteros in primogenitorum linea masculina tantum, dummodo sint e legitimis nuptiis progeniti, a catholica religione nunquam desciverint, atque in debito sanctae huic Apostolicae Sedi obsequio perseverent, hisce litteris auctoritate Nostra Comites facimus, constituimus, renutiamus. Tibi ideo, dilecte fili, tuisque posteris praefatis concedimus, ut in publicis privatisque tabulis, diplomatibus et apostolicis etiam litteris quibuscumque hoc honoris titulo dici ac nuncupari licite possitis et valeatis, utque utamini, fruamini singulis quibusque honoribus, privilegiis, praerogativis, indultis, quibus alii huiusmodi titulo insignes utuntur, fruntur, vel uti, frui possunt ac poterunt. Decernentes praesentes litteras firmas, validas et efficaces existere ac fore, suosque plenarios et integros effectus sortiri atque obtinere, illisque ad quos spectat et in futurum spectabit in omnibus et per omnia plenissime suffragari, sicque in praemissis per quoscumque indices delegatos et ordinarios indicare ac definiri debere, ac irritum et inane si secus super his a quoquam quavis auctoritate scienter vel ignoranter contigerit attentari. Non obstantibus in contrarium facientibus quibuscumque.

Datum Romae apud S. Petrum sub annulo piscatoris, die XVI Novembris MDCCCXCI Pontificatus Nostri anno decimoseptimo.

C. Card. de Ruggiero

وفي ما يلي نثبت تعريب هذه البراءة الرسولية عن الاصل اللاتيني :

البابا لاون الثالث عشر

« الى حضرة الابن الحبيب نصر الله طرازي

« السلام والبركة الرسولية

« ان حلى الفضائل السامية التي تزينت بها انت وانجالك مع حسن السمعة عند الجميع والثناء الطيب الذي اطراك به بطريك السريان الانطاكي . ولاسيا ما اتصفت به من صدق الدين والتقوى واداء الاحترام الثابت للسدة الرسولية الرومانية . فذلك كله يحملنا على ان نخوّلك برهاناً على انعطافنا الخاص .

« بناءً عليه نرفع مرتبتك ومرتبة اعقابك الى مقام الاشراف والنبلاء . ولما كنّا زوم ان يشمل انعطافنا هذا كل من نوجه اليهم رسالتنا اجمالاً وافراداً . فبعد حل الجميع من كل حرم وقطع ومن سائر الاحكام والتأديبات والعقابات الكنسية التي لعلكم تكونون قد سقطتم فيها ومع اليقين بانكم ستتحلون منها لاجراء النعمة الحاضرة نقلدك ايها الابن العزيز برسومنا هذا وبقوة سلطاننا رتبة كنت . فنقيمك ونعلنك بها مع ابكار أسرتك المذكور يتوارثونها عنك بطريق التسلسل كبراً عن كابر . بشرط ان يولدوا من زواج شرعي ويعتصموا بعري الديانة الكاثوليكية ويشابروا على اداء الاكرام لهذا الكرسي الرسولي المقدس .

« وعليه نسمح لك ايها الابن العزيز ولاعقابك المشار اليهم ان تتخذوا هذا اللقب بحيث يمكنكم ان تستعملوه شرعياً وتتمتعوا بكل اصناف الشرف والامتيازات والانعامات التي يستعملها ويتمتع بها حائزو هذه الرتبة الشريفة او عساهم يجوزونها فيما بعد . فتستطيعون وسوف تستطيعون استعمالها مع التمتع بها في الكتابات العامة والخاصة والمدنية وفي مراسلاتكم الى الكرسي الرسولي . ثم اننا نقضي بان منطوق هذه البراءة ثابت وشرعي وفعال في الحال والمستقبل . وانه نافذ مجزئياته وكلياته وشامل بامتيازاته المذكورة كلها من أنيط او سيناط بهم الامر كافة .

هكذا يُحتم ان يجري ذلك ويعمل به جميع القضاة سواء كانوا نوّاباً او رؤساء ذوي سلطة ثابتة بحيث ان كل من يخالف الاحكام المذكورة آنفاً يُعدّ عمله باطلاً وملغى . ونبطل كل ما هو مخالف لاوامرنا هذه .
 « أعطي في رومة بالقرب من القديس بطرس تحت ختم الصياد في ١٦ تشرين الثاني سنة اربع وتسعين وثمانائة بعد الالف وهي السنة السابعة عشرة لحريتنا »

(مكان الختم)

(المسجل الكردينال دي روجيرو)

ما كاد ينقضي العام الاول على توجيه هذه الرتبة الشريفة الى الشيخ الجليل الكنت نصرالله حتى أصيب بداء عضال أقعده عن العمل وألزمه الفراش . فبلغ الخبر مقام الخبر الاعظم الذي أوغز الى وزير دولته الكردينال رمبولا في ٢٢ تشرين الثاني ١٨٩٥ ان يبعث الى ابنه الوفي المشار اليه بالرسالة البرقية الآتية :

« لما علم الاب الاقدس باشتداد مرضك غلب عليه الغم . وهو يمنحك من صميم الفؤاد بركته الرسولية طالباً لك العون السماوي »
 فكان لهذا الانعطاف السامي شأن خطير لا لدى الاسرة الطرازية فحسب بل لدى الملة السريانية جمعاء . فكتب البطريرك الانطاكي مار اغناطيوس بهنام الثاني الى آل طرازي بتاريخ ٢٠ كانون الاول من السنة المذكورة يقول :

« . . . فهذا الامتياز الفائق المقدار قد افعم قلبنا سروراً وتسليّة بما يفوق الوصف . فاننا لا نعهد ان احداً نال هذا الشرف المتسامي سوى الملوك والامراء العظام . في بلاد اوربة وغالباً عند طلبهم ذلك بغاية الشوق . فكفى ذلك لكم عزاء ومجداً وشرفاً . ولنا تباهاً وسروراً . وللطائفة جمعاء فخرًا . . . »

على ان برقية الخبر الاعظم هذه ما وصلت الى الكنت نصر الله حتى
رفع الى سدة الرسولية في ٢٦ تشرين الثاني ١٨٩٥ عريضة امتنان وشكر
باللغة الفرنسية هذا تعريبها :

« ايها الاب الاقدس

« ان أقدم فرض يُجتم عليّ اداؤه في عريضتي هذه هو ان ارفع الى
سدتك الابوية عواطف عرفان الجميل للبركة الرسولية التي شأت قداسك
ان تمنحني اياها على يد نياقة الكردينال رمبولا اثناء المرض العضال الذي
أعاني آلامه .

« فهذه البركة التي اعتدتها برهاناً نادر المثال على عطف قداسك السامي
قد غدت لي عوناً قوياً في اوجاعي بل تعزيةً كبيرة في شيخوختي . فإزاء
هذا الاحسان الجليل لا استطيع نظراً لسقم جسمي الا ان ارفع عيني
الضيلتين وابسط يدي الواهنتين نحو ذاك الذي تستمد منه كل قوة ملتصاً
منه سبجانه صيانة رأس الكنيسة الكاثوليكية سيدنا البابا لاون الثالث
عشر المالك سعيداً .

« اسأل الله متوسلاً ان يسمع ادعيتي وعين عليّ بالصحة الكافية لتمكن
من السفر الى رومة تيمناً بمشاهدة أسير الواتيكان المعظم . هكذا يتيسر
لي ان اجدد لقداسك عهد الولاء والاخلاص والانتماء كما اثبتتها لاسلافك
والذي المرحوم انطون طرازي وجد والدي الياس طرازي .

« وبينما اتوقع بذهاب الصبر تحقيق هذه الامنية السعيدة التي اتوق اليها
من صميم الفؤاد تجاسر ان اقدم جزية احترامني البنوي طالباً ان تتنازل
قداسك لقبولها مني كفلسي الارملة . ثم اني لدى مغيب شمس عمري
استمد صلوات قداسك لي ولاولادي واحفادي الذين لبثوا بنعمة الله
متمسكين بعري الامانة لكرسيك الرسولي . وسيظلون معتصمين بمخافة
الرب عملاً بالآية الكريمة التي اتخذها آباي واجدادي شعاراً لهم . وقد ايدتها
قداسك شعاراً ابدياً لاسرتي وهي : تاج الحكمة مخافة الرب .

« وفيما انا منحدر تحت عبّ الشيخوخة اجثو بكل احترام امام قداستك
مع الكونتس قرينتي وجميع اعضاء اسرتي سائلاً لنا قاطبةً ولافراد ذريتي
عطفك الابوي وبركتك الرسولية »

أطوع عبيد قداستك

نصرالله دي طرازي

الكننت الروماني

وقد شفع الكننت نصرالله عريضته هذه بتقدمة مالية وتحف شرقية .
وكلف الخورفسقفوس يوسف هبرا الوكيل البطريركي السرياني لدى
الكرسي الرسولي ان يقدمها لاعتاب قداسته . فقام الوكيل البطريركي
بهذه المهمة في مقابلة خاصة جرت له في ١٠ كانون الاول ١٨٩٥ قبل الظهور .
وهو نفس اليوم الذي لفظ فيه الكننت نصرالله روحه بيد خالقها . تعمده
الله بالرحمة والرضوان .

وفي اليوم التالي لتلك المقابلة نُمي الى الخبر الاعظم نعي ' الكننت دي
طرازي فلم يتألك ان اظهر الاسف الشديد على فقده . ثم بلغ الخورفسقفوس
يوسف هبرا بواسطة المونسنيور انجلي كاتم سره انه فوض الى الكردينال
رمبولا تقديم التعازي الى اسرة الراحل الجليل .

ونرى ان نثبت هنا للكننت نصرالله دي طرازي برهاناً آخر على تعلقه
بالكرسي الرسولي . ذلك انه لدى الاحتفال عام ١٨٨٧ باليوبيل الكهنوتي
الخمسيني للببا لاون الثالث عشر اشترك بسخاء في الهدية النفيسة التي رفعها
البطريرك السرياني مار اغناطيوس جرجس الخامس الى صاحب اليوبيل . وكانت
تلك الهدية بطرشيلاً منسوجاً بالذهب ومرصعاً باللؤلؤ لا نههد ان يداً
شرقية نسجت على طرازه في سالف الزمان . وقد أعجب به الخبر الاعظم
غاية الاعجاب حتى انه توشح به صباح عيد يوبيله وهو داخل باحتفال باهر
الى كاتدرائية مار بطرس .

وقد هذا حذو الكننت نصرالله انجاله في تبيان عواطف اخلاصهم



الكونتس ماري زوجة الكنت انطون دي طرازي

١٨٧٣ — ١٩٢٥

للكرسي الرسولي وتشبهم بالاحترام لرأس البيعة الجامعة . فتشرف كبيرهم الكنت انطون وقرينته الكونتس ماري بزيارة البابا لاون الثالث عشر عام ١٨٩٣ في مقابلة خاصة لاجل تهنئته ببلوغه السنة الخمسين من اسقفيته . فسمعيا خصيصاً للقيام بهذا الواجب وأدباً لقداسته فريضة الاجلال مشفوعة بجزيتهما البنوية . وكان الكنت انطون قد سبق وحج عاصمة الكثلركة عام ١٨٨٩ ونال ايضاً شرف المشول لدى الحبر الاعظم المشار اليه .

ونجح الفيكنت سليم نهج شقيقه الكنت انطون فحظي بالمشول لدى قداسة البابا دفعتين متواليتين عام ١٨٩٥ ونال من مكارمه وسام «القدس غريغوريوس الكبير» من رتبة كومندور . ثم دفع اليه البابا مبلغاً وافراً من المال باسم البطريكية السريانية يُنفق على مشاريعها الخيرية كما سلف القول في الفصل الثاني من القسم الثالث . وحاز سنة ١٩٠٠ وسام «التذكار المئوي للقرن العشرين»

اما الفيكنت فيليب فقد اقتفى ايضاً آثار آبائه وشقيقه في ابداء ولائه للسدة الرومانية . فتشرف هو وقرينته السيدة اوجيني في ٥ نيسان ١٩٠٠ بمقابلة البابا لاون الثالث عشر . وكان ذلك يوم الثلاثاء من اسبوع الآلام اذ ينصرف الحبر الاعظم في اثنائه الى الصلاة وتُقفل ابواب قصر الواتيكان في وجوه الزائرين . الا ان البابا شاء ان يظهر للفيكنت وقرينته عطفه السامي الابوي فامر ان يُستثنى الزائران من قانون اسبوع الآلام . وقد استغرقت الزيارة خمساً وثلاثين دقيقة تحدث الاب الاقدس اليهما في خلالها عن شؤون كثيرة تتعلق ببلاد الشرق كأنه ساكن فيها ومضطلع باحوالها . وفي نهاية المقابلة اهدى الحبر الاعظم الى الفيكنت فيليب وسام «القدس سلفسترس» من رتبة كومندور بعد ما سبق واهدى اليه عام ١٨٩٤ وسام «القدس غريغوريوس الكبير» . ونال كذلك وسام «القبر المقدس» ووسام «محمي القديس بطرس» ووسام «التذكار المئوي للقرن العشرين» .

هكذا ظل آل طرازي منذ القرن الثامن عشر الى هذا اليوم على وصال متين وولا. بنوي وثيق مع الاحبار العظام خلفاء شمعون كيفا في رومة عليه السلام.

الفصل الثاني

تكریم ائمة السريان وكتبهم لآل طرازي

لا نعرف أسرة سريانية كالاسرة الطرازية أجمعت أفواه ائمة السريان واقلام كتّابهم وقرائح شعرائهم قديماً وحديثاً على إطرائها وتعداد مناقبها . لسنا نقول ذلك من باب المبالغة بل من باب الحق والانصاف . لان ما اثبتناه عنها الى الآن من الاقوال الحالدة والحجج الدامغة لا يُعتبر في نظر عارفها سوى برزخ من عدو . ومن ثم رأينا ان ندرج في هذا الفصل من كتابنا لُماً من الوثائق العديدة التي كتبها الرؤساء والمفكرون السريان الى اسرة طرازي في احوال شتى وآونة مختلفة . وهي اجلى برهان على شدة اعتبارهم لها واقرارهم بعوارفها . ولا غرو فان لتلك الكتابات قيمة معنوية ثمينة لا ينسخها كرور الاعوام . ومن اوثق البراهين على صحة قولنا تلك النعوت الفريدة التي استشهدنا بها في الصفحة ٤٩ من هذا الكتاب . فانها واعمرى كافية لاطهار ما احزته هذه العثرة المباركة من رفعة المقام لدى ائمة السريان ومفكريهم . وفي ما يلي نثبت ما توخيناه من تلك الحقائق مسلسلًا بحسب تاريخه على حد قول القائل « لكل قديم حرمة » :

كتب البطريك اغناطيوس ميخائيل الرابع من دير مار افرام الرغم بتاريخ ٢٩ تموز ١٨٠٨ رسالة الى انطون طرازي يعزیه بوفاة والده المقدسي نصرالله نقتطف منها ما يلي :

«... وهذا السهم الذي اصابكم نالنا منه القسم الاوفر . لاننا

اكثر من الجميع قد اخترنا فضائل المرحوم وغيرته على الديانة واهتمامه
بصالح الطائفة... وكان قدوة حسنة بسيرته ومبراته واعماله...» .

وكتب البطريرك اغناطيوس سمعان الثاني من دير الشرفة بتاريخ ١٠
تشرين الاول ١٨١٧ الى انطون طرازي المشار اليه ما يلي :

«... لا نقدر يا ولدنا العزيز ان نكافئكم على اتعابكم وفضلكم
ومحبتكم . وعلى الخصوص لانه ليس لنا احدٌ غيركم نعتمد عليه لاجل قضاء
مصالح الطائفة...» .

وكتب البطريرك اغناطيوس بطرس السابع بتاريخ ٩ شباط ١٨٥١ من
حلب الى انطون طرازي الموما اليه يشكر له احسانه ويختم رسالته
بهذه العبارة :

«... نسأل الله ان يعوض عليكم جميعاً اضعاف ذلك في الدنيا
ويجعلكم بعد العمر الطويل من ابناء الملكوت . ويفرحكم بانجالكم
المحروسين لتروا اولاد اولادهم ويكونوا مثل اغصان الزيتون حول
ماندبتكم . وعربوناً لرضانا ببارككم ببركة ابراهيم واسحق ويعقوب داعين
بتوفيقكم الروحي والزمني ومتضرعين الى إله الرحمة ان يفيض عليكم
ينبوع الخيرات السماوية والارضية» .

وكتب البطريرك اغناطيوس انطون الاول من دير الشرفة الى انطون
طرازي واولاده في ١١ شباط ١٨٥٤ قال :

«... لاننا في كل وقت نتذكر لطفكم وانسكم واکرامكم
واتعابكم امامنا مع عائلتكم كلها اثناء المدة التي اقناها عندهم . وكلما
ير ذلك بفكرنا ببارككم من صميم القلب ونطلب من الرب الاله ان
يكافئكم عنا بخيراته وبركاته ونعمه الروحية والزمنية . ويجعل داركم
معمورة ومغمورة بالخيرات الى الابد...» .

وكتب السيد غريغوريوس يعقوب حلياني مطران دمشق في ٥ كانون الثاني ١٨٥٦ الى آل طرازي يعزيهم بوفاة عميدهم المرحوم المقدسي انطون الذي انتقل الى جوار ربه في ٣١ كانون الاول ١٨٥٥ قال :

« . . . امس تاريخه بلغنا خبر انتقال المرحوم والدكم الى رحمته تعالى .
فحقاً لا تقدر نصف لكم عظم الحزن الذي شملنا من هذا الخبر المؤلم .
فكان يجب ان نحضر بذاتنا لتعزيتكم . ولكن من كون العذر في هذه
الايام مقبولاً^١ اقتضى تحرير هذه الاسطر لحضرتكم طالبين من الرب الاله
ان يعزيكم بمراحمة الالهية . وينصحكم نعمة الصبر على فقد هذه الجوهرة
والذخيرة التي كانت مشهورة لدى الجميع بافعال صالحة وعبادات تقوية
وساؤك حسن مع الجميع . . . » .

وكتب البطريك اغناطيوس فيلبس الاول من دير الشرفة في ٢٦ كانون الثاني ١٨٦٧ الى الكنت نصرالله طرازي قال :

« . . . علمنا بانكم مسرورون وآخذون قام راحتكم التي تهمننا للغاية
لكونكم في اعظم طبقة من الاعزاز عندنا . ونعتبر خاطرکم اشد الاعتبار
ونود خيركم وراحتكم ونجاحكم من صميم الفؤاد . وهذا بما لا شبه
فيه ان ضميركم النقي يشهد لكم بهذه الحقيقة الراهنة الثبوت . ولكن
الذي عزى قلبنا هو تصورنا ما انتم منطوروں عليه من الاخلاق الحميدة
وتجملكم بحسن التقوى والفضل والغيرة المقدسة والرغبة الحارة في خير
الطائفة العام . . . » .

وكتب البطريك اغناطيوس جرجس الخامس من بيروت بتاريخ ٩ ايلول ١٨٨٦ الى الكنت نصرالله طرازي في عاليه يودعه قبل رجوعه الى كرسية

(١) كانت الطريق بين دمشق وبيروت تسدها الثلوج اثناء فصل الشتاء . وكانت
وعرة المسالك ايضاً لا يمر بها الا المشاة او المسافرين ركوباً على ظهر البهائم . لان طريق
المربات ما انشئت الا عام ١٨٥٩ كما ان السكة الحديدية لم تحدث الا عام ١٨٩٦ .

في حلب . قال :

«... كننا نشوق قلبياً الى مشاهدتكم اثناء الوداع لنبشكم تشكراتنا الابوية عما لقينا من حسن مودتكم والطافكم ومن كرم انفس كل افراد عائلتكم المصونة... وقد تكبدنا صعوبة عدم مشاهدتكم عند الوداع لاجل توفير صحتكم الغالية التي تهمننا للغاية... ونختتم بشكر معروفكم وحميتكم» .

وكتب العلامة الشهير السيد اقليميس يوسف داود مطران دمشق في صك وصيته الاخيرة المؤرخة في ١٢ كانون الاول ١٨٨٩ قال :

«اني ارى من الواجب عليّ في صك وصيتي الاخيرة هذه ان ابوح بما هو مكتوم في صدري منذ سنين وعبرت عنه للناس مرات شتى عند حضور الفرصة وهو : اني مأسور بامتنان عظيم للرجل الاعز الجليل الفخيم نصرالله طرازي ومغمور بفضله بنوع يفوق كل الوصف . وافر باني عاجز عن وفائه ومجازاته على ما صنعه معي من انواع المعروف الجليل في حياتي ولو اوصيت له بكل ما املكه . فارى ان احسن وجه لمكافأته ومكافأة سلالته المباركة المشتركة معه في الفضل عليّ هو اعترافي بهذا لهم في هذه الفرصة الجليلة من حياتي واقراي الاحتفالي بفضلهم الفائق عليّ . وهو خير من كل وصية يمكنني ان اوصي لهم بها من كل ما املكه...» .

وكتب البطريك اغناطيوس افرام الثاني من حلب بتاريخ ٤ نيسان ١٨٩٠ عندما كان مطراناً رسالة الى نصرالله طرازي يقول فيها :

«... ولا اقدر ان اصف لكم الكرب الذي اورثني فراقكم . وها اني على ممر الساعات اذكر اوصافكم الفريدة والنعيم الذي كنت فيه مدة حلولي في داركم العامرة . فحَقّاً ان لساني قاصر عن اداء الشكر الذي يجب عليّ لكم من وجوه شتى . فان ما خوّلتوني اياه اولاً وآخراً من الكرم والفضل واللطف والنعمة لا حد له . فليس لي الا ان ادعو الى

الله من اقصى الفؤاد ان ... يبيقيكم سنداً وفخراً تشباهى به الطائفة
السريانية في جميع البلدان .

وكتب الخبر المشار اليه الى الفيسكنت فيليب من بغداد بتاريخ ١٢
شباط ١٨٩١ يعلن قائلاً :

«... اني اقر جهاراً بانكم انتم يا آل طرازي الافاضل قد غمرتموني
باحسانكم . وليس لي من اتباهى به على وجه الارض غيركم . ابقاكم
الله دهرًا مديدًا فخراً لي...» .

وكتب اليه ايضاً البطريوك عينه بتاريخ ٣ تموز ١٨٩٢ ما نصه :

«... ولا ريب عندي ان طائفتنا البيروتية على صغرها تحوز قصبات
السبق على سائر اخواتها في سورية وما بين النهرين . وذلك لعلو هممة
عائلتكم وشدة حميتها وسخائها . فهنئاً لكم على ذلك...» .

وكتب اليه ايضاً بتاريخ ٢٥ تشرين الاول ١٨٩٣ من الموصل ما نصه :

«... اقول ذلك كله مع الاعلان على رؤوس الملا بانكم انتم
موضوع عزي وفخري وملجائي . وكل ما ينخصكم فهو يخصني... فارغب
ان تقرأوا... سلامي وبركتي على حضرة والدكم فهو درة طائفتنا...» .

وكتب اليه ايضاً من الموصل بتاريخ ١٩ تشرين الاول ١٨٩٤ يقول :

«... اني اعلم علم اليقين بانك انت في جملة آل دارك من أخلص
الناس لي مودةً . واعظمهم عليّ فضلاً . واشدهم على الطائفة غيرةً . واكثرهم
شوقاً الى ان يروا طائفتنا تأخذ بالتقدم والنجاح...»

وكتب اليه في ٢٢ كانون الاول ١٨٩٤ من الموصل ما نصه :

«... لقد طربتُ فرحاً بوصول البريد الحامل بشرى الانعام الذي
خصك به الاب الاقدس اذ جعلك من فوارس مار غريغوريوس الكبير

ومنحك الوسام المختص باصحاب هذه الكتبية المقدسة . فهنيئاً لك ذلك !
وهنيئاً لعائلتك وهنيئاً لي انا ايضاً ! اذ انني اجعل نفسي من اخص اصدقاء
آل طرازي الكرام واصدقهم . وحسي ان اتباهى واتفاخر بكم واقول :
انكم الدرة الالامة في هامة طائفتنا .

وكتب هذا الخبر النبيل الى الكنت نصرالله دي طرازي بتاريخ ٢٢
كانون الاول ١٨٩٤ يهنئه بالرتبة الكنتية الشريفة قال :

«... فيا ما اطيب البشارة التي وافقنا مع البريد الاخير اذ اعلمتنا عن المقام السامي المنيف الذي رقاكم اليه قداسة لاون الثالث عشر المالك سعيداً . اذ منحكم بكل استحقاق رتبة الكنتية وحلّام بلقبها الوسيم . فاذا كانت هذه البشارة قد وقعت اجلّ موقع في قلوب جميع بني الامة الارامية وكلهم على وجه العموم يلهبون بديحكم ويطربون لعلو شأنكم ويعتقدون فيكم الاستحقاق والجدارة فاذا ينبغي لي ان اقول عما أثاره في هذا النبأ من الفرح والسرور ؟ ... اني اتباهى واتفخر بين الملأ بانني من اخص من ينتمي الى حماكم ويعتزّ بكم ويعرف ما فطركم المولى عليه من رقة الجنان وحمية النفس وكرامة الطبع ويشي على افضالكم السابغ . فهنيئاً ثم هنيئاً لكم ذا الشرف ! ولذلك ندعو من اقصى القلب ان يجعلكم المولى على الدوام تاجاً في راس امتنا . ويمد في عمركم . ويهنئنا بكم . ويحفظ عائلتكم النبيلة في اليمن والنجاح ... »

وكتب هذا الجبر العلامة عينه من حلب بتاريخ ١٠ آب ١٨٩٥ الى
الفيكت فليب دي طرازي قال:

«... ساءني خبر توعك مزاج والدمك الجليل الكنت دي طرازي .
فاتضرع الى الله ان يحفظ لنا حياته الثمينه اعواماً مديدة . وعندي انه
حسه المولى اعز رجل تقتخر به طائفنا وتتخذها اماماً ومثالاً . ويا ليتني
كنت لديكم لشاركتكم في بذل العناية لحفظ حياته الغالية !»

وكتب القس افرام نقّاشه^(١) من الموصل بتاريخ ١٧ كانون الاول ١٨٩٤
يهنئ الكنت نصرالله دي طرازي قال :

« . . . اما بعد فما استحسن الناس سبياً طائفتنا السريانية شيئاً من
امور السياسة الروحانية كما استحسنوا الانعام الذي خوّله الله لشخصك النبيل
على يد خليفته على الارض قداسة الجبر الاعظم لاون الثالث عشر اذ
سمّاك كنتاً رومانياً . مع ان هذا الشرف لا يعطى الا لامراء اوربا
الكبار . لعمرى ان هذا الانعام قد صادف من كان اهلاً له . والآن
أظهر ما كنت افكر في نفسي حين تشرفت بزيارتك وتردّدت الى دارك
العامرة . وشاهدت فيك كما في سائر ابناء عائلتك المحروسة الاطوار
اللطيفة . فكنت اقول اني راء فيك اكثر مما كنت اسمعه عنكم جميعاً .
وانك مفطور طبعاً بجلالة النسب وطهارة الاخلاق وكرم المعتقد وبكل ما
هو خليق بالاشراف . ولهذا فجلما طرأت سماعي هذه البشارة السعيدة
طربت نفسي فصرخت على الفور وقلت : لعمرى هكذا يُصنع برجل يريد
الملك اكرامه (استير ٦ : ١١) .

« . . . ولاجل هذا ارفع يدي الى الله عز وجل وابتهل اليه قائلاً :
اللهم احفظ كنتنا الشريف هذا واحرس انجاليه الكرام انطون الفيكنت
وسليم افندي وفيليب الكافليز . ولاسيا السيّدة منّة الحكيمة الهمامة
التقية مع بناتها السيدات الكريمات وسائر من يلوذ بعائلة دي طرازي
المحروسة . ربّنا زد الكنت نصراً وعزاً وفخراً وأوله هو وخاصته عافية
دائمة ونجاحاً وتقى آمين يا رب العالمين »

وكتب القس افرام نقّاشه من دير الشرفة رسالة بتاريخ ٢٣ كانون
الاول ١٨٩٩ الى عميد آل طرازي يهنئه بعيد الميلاد المجيد ومطلع القرن
العشرين نقطف منها ما يلي :

(١) ارتقي الى مطرانية حلب باسم ديونوسوس افرام نقّاشه في ٥ نيسان ١٩٠٣

« اما بعد فاذا كان ترنيم الملائكة : المجد لله في العلى وعلى الارض السلام والمسرة الصالحة بين البشر ، يدعو في هذه الايام الناس اجمع الى الالفة والمسرة ، فكيف لا انتعش انا فرحاً وأقرئكم السلام واقدم المعايدة لكم خصوصاً يا آل طرازي الكرام ؟ والعالم كله يعرف انكم فخر طائفتنا السريانية والمجدون في رفع شأنها وتقدمها ونجاحها . ولهذا فاني من محل انفرادي في شرفة كسروان رفعت اكفي الى العلى ودعوت لكم ان تردادوا عافية وفضلاً وتوفيقاً . . . فاهنئكم بهذا العيد وبعيد رأس السنة وبالقرن الجديد . . . واسأل الرب ان يحفظكم . . . بالتوفيق والاقبال والهناء مع العمر الطويل . . . »

وعلى اثر وفاة الكنت نصرالله دي طرازي عام ١٨٩٥ توافدت على أسرته رسائل التهنئة من بني السريان وغيرهم من سائر الملل . تقتصر منها على العبارات التالية التي كتبها من حلب الخورفسقفوس جرجس شلحت عضو المجمع العلمي العربي بتاريخ ١٧ كانون الاول ١٨٩٥ وهي :

« . . . يا حَبْدًا لو كان موقعي هنا موقف خطيب لكنْتُ . . . اشرح ما شمل القلوب من الاشجان حين اذ صكَّ الاسماع . . . خبر وفاة عميد ذلك البيت الشريف الذي تعزَّ الملة السريانية بانه اعظم بيوتها العريقة في المجد والفضل . واعدد هذا الفقيد المفدى تأسراً على رؤوس الاشهاد طراز محاسنه ذاكراً فعاله ومآثره التي تحاكي عدد النجوم كثرة . . . »

وكتب الخورفسقفوس جرجس عينه الى الفيكننت فيليب دي طرازي يعزّيه بوفاة شقيقه الفيكننت سليم . وشفع كتابه بثرية اختتمها بالايات الآتية :

يعزّ عليّ ان أبدي التعازي	وقلبي من أسي يحكي السعيرا
ولما كنتُ لا ألقي مناصاً	كتبْتُ بادمعي هذي السطورا
تعزّي من لنا فيه اعتياضٌ	وان كان الفقيد فتى خطيرا

ولا عجبٌ اذا عيني أُقِرَّتْ فان غاب الاميرُ ترى أُميراً

وكتب فقيد اللغة العربية القس توما ايوب من حلب بتاريخ ٦ ايار ١٨٩٧ الى عميد اسرة دي طرازي قال :

«... شكري لسيدي ما لقيتُ منه ومن أُسرتِه الكريمة من الحفاوة والايادي البيض لا استطيع الى توفيته سيلاً . وأراني ولو اسهبتُ فيه مقصراً قليلاً . كيف لا ونعمكم اللازمة الذكر ومننكم الواجبة الشكر على الطائفة السريانية وأجبارها وكهنتها مما يعجز الواصف عن عدّها فضلاً عن حدّها . على اني اقتصر على الدعاء الى الله ان يمتع بكم ويكلاًكم من غوائل الدهر ويبقيكم متفيئين ظلال الرفاه والفخر ما تحقق نصر وتآلق فجر .

« لقد اتاح لي الله ان ازور بيروت الزهراء واشاهد مرأى العين ما كنتُ اسمعه من الداني والقصي عن مآثر أسرة دي طرازي الفخمة . فكان ما رأيته أعظم وأجلّ مما سمعته . فقد رأيتُ تلك الخلال الكريمة حليّة الدهر وزينة العصر . رأيتُ العائلة المسيحية العائلة الجديرة ان تفخر بها الكنيسة لمبارها وكرم عنصرها . ثم قفّلتُ الى الوطن أتلو على رؤوس الاشهاد ما رآته عيني وسمعت به أذني من المفاخر الحسنة . ولا اجد تعزية اذا عرا خطبٌ او ادلهم مصابٌ الا في ذكرى ايام زجّيتها في بيروت قرير العين مجبور الخاطر بالتفاتكم اليّ انا العبد غير المستحق . هذه فريضة الشكر والثناء ارفعها الى حضرة الفيكنت الجليل ووالدته المحترمة وعقيلته المكرمة وسائر من انتمى الى الاسرة العريقة في النبل والفضل... »

ونظم العلامة الدكتور لويس صابونجي قصيدة طويلة بعث بها الى الكنت انطون دي طرازي (١٨٥٧-١٩٠٠) يهنئه بولادة نجله الكنت فكتور عام ١٨٩٤ واختتمها بقوله :

هُنِّتَ يا انطون اذ أبلغتني نبأ سُررتُ به سروراً زائداً



الکنت فکتور دي طرازي

هتنت بل أسعدت بالنجل الذي فيه اسمُ نصرالله^(١) يبقى خالداً
 نجلاً تفاءلنا بخير قدومه وقدومه بالخير جاءك واردا
 منّ الاله به عليك ونجمه سيكون في فلك النجاة راصداً
 سيكون فكتور النضير لاله بالحسن والاحسان غصناً مائداً
 سيكون ذُخراً للاحبة عندما يلفون منه في الشدائد ناجداً
 سيكون للفقراء غوثاً كلما ذكروا ندى جلوده ومحامداً
 سيكون لآباء فرعاً طاهراً سيكون للابناء أصلاً راشداً
 أبقاك ربي بالصفاء ممتعاً لترى وليدك في حياتك والداً
 ويرى ثمار بنيه في أحفاده فيسبح الرحمان فيهم حامداً

وكتب الدكتور القس لويس صابونجي ايضاً بتاريخ ٣٠ نيسان ١٩٢٨
 من مدينة لوس انجلوس الى الفيكنت فيليب يقرظ جهوده المستمرة ونجاحه
 الباهر في تأسيس دار الكتب الكبرى في بيروت قال :

« ... انتقلت صداقتي العريقة اليكم منذ كنتم طفلاً . لانني انا
 الذي اخذتكم على يدي وعمدتكم في كنيسة الرهبان الكبوشيين . . .
 بناء على ذلك يسوغ لي القول ان صداقتي الخالصة لحضرتكم مقرونة
 بهمتي الموهودة قد انتقلت الى جسمكم اللطيف وقت العماد . وكما جاء في
 الامثال « هم الرجال تنقل الجبال » هكذا حضرتكم بهمتكم الشماء ما
 نقلتم الجبال العالية بل نقلتم محصول العقول السامية من دماغ العلماء الجهابذة
 وجمعتموه في دار عمومية لكتب نفيسة . وهذا العمل المنيف سوف يخلّد
 ذكركم الحميد مع ذكر الملك الاثوري اشور - بني - بال الذي انشأ اول
 مكتبة عمومية في نينوى . وسيخلّد ذكركم ايضاً مع فراغة الديار المصرية

(١) لما ولد الكنت فكتور سُمّي في العماد « نصرالله » احياء لاسم جده
 الكنت نصرالله وجد جده المقدسي نصرالله . وقد تغلّب عليه اسم فكتور وهو ترجمة
 نصرالله في اللغة الفرنسية .

ومشاهير البطالسة ومن هذا حذوهم المدوح في انشاء مكاتب عمومية لتنوير العقول البشرية . لله دركم ! انا لا أحسدكم على هذا الشرف الرفيع بل أغبطكم عليه بقلب يطفح سروراً . لانكم اول سوري نبيل صرف فكره المنير الى هذا العمل الجليل^١ وسعى لاجراجه الى حيز الوجود بنجاح عظيم . . . »

وكتب الاب الهمام الحورفسقفوس جرجس ابرهمشا من القاهرة بتاريخ ١٦ كانون الثاني ١٩٣٢ الى صديق له في بيروت قال :
« . . . لقد طابت نفسي انشراحاً للافادة التي تفضلتم بها عن سعادة

(١) نشرت مجلة « رسالة السلام » البيروتية صفحة ٢٠٢-٢٠٩ في عددها الخامس من المجلد الحادي عشر بتاريخ ايار ١٩٣٩ مقالةً عنوانها « اشهر العصر الادبية عند الامم » . بحث فيها كاتبها عن عصر بريكز عند اليونان واوغسطس عند الرومان والمأمون عند العرب ولاون العاشر عند الايطاليين ولويس الرابع عشر عند الفرنسيين . فلما انتهى البحث به الى من يستحق ان يُترك اسمه لعصرنا في لبنان قال ما حرفه :
« فالسيد الذي يستحق ان نلقب عصرنا باسمه هو رجل له فضل كبير على الكتاب في اواخر القرن الماضي وايماناً هذه . . . ذلك الرجل الجدير بهذا الشرف هو الفيكتن فيليب دي طرازي . وهاكم حالاً الاسباب التي دفعتنا الى ان نلقب عصرنا بعصر طرازي . اولاً لما له من الافضال على الصحافة وعلى رجالها بكتابه « تاريخ الصحافة » . ثانياً لما له من الافضال على الشبيبة الراقية بتأسيسه المكتبة الوطنية العمومية . اننا لم ننظر الى اصله الطيب ولا الى اخلاقه الكريمة ولا الى علومه الغزيرة ولا الى كثرة الاوسمة التي وهبه اياها الملوك والاحبار والجمعيات العلمية الشرقية والغربية ، بل الى تأثيره في محيطه . وأي رجل أثر في محيطه ونفع مثله ؟

« ولا نبالغ ابداً اذا قلنا انه قد قام وحده بتأسيس المكتبة الوطنية العمومية . . . ولا يشمر بفائدة هذه المكتبة وتأثيرها في الشباب الا من كان شاباً او على الاقل من زارها ورأى الشباب المطالعين كتبها . فاول مرة دخلنا تلك القاعة راينا ما شاهدناه من الرسوم في صدرها وهي رسوم اعظم كتاب لبنان تكاد تكون ناطقة . . . فخطر على بالنا فكري وهو : لم يقم احد منا يوفي طرازي حقه ويشكر له اكرامه لكتابنا وجميله لشبابنا ؟ وعندئذ حانت منّا التفاتة الى الشيخ ناصيف اليازجي فشعرنا كأنه يقول لنا بحكمته المعروفة :

« لا يحمد القومُ الفتى الا متى مات فيعطى حقهُ تحت الثرى »

الفيكنت فيليب دي طرازي . لاني أدري الناس علماً بما لسعادته من الايادي الحسنة والمآثر الغراء في سبيل طائفتنا واعلاء شأنها والاشادة بذكرها في كل فرصة . ولو أردنا احصاء حسناته العديدة الى ملته وما أتته أسرته النبيلة في خدمتها لفاتنا العد . واني ممن يعتقدون ان من كان في أبرشيته مثل الفيكنت غيرة ومحبة واخلاصاً لوصل بها الى أوج العلاء . وقد تميت على الله لو يكون عندنا مثله في القطر المصري لينهض بنا الى مدارج الرقي اذا لغدونا في مقدمة الملل ! غير اننا نحن معاشر الامة الارامية لا نقدر قدر رجالنا العالمين البارزين ولا نغاشيهم حسب افكارهم الصائبة التي تعود عليها بالخير والفائدة . . . أئنسى فضل الفيكنت في خدمة دير الشرفة وتنظيم مكتبته ؟ أينكر جميله وجميل أسرته النبيلة على كنيسةنا في بيروت وجمعيّتنا الخيرية ؟ أئيجد ما أتاه من الاحسان في سبيل مهاجري السريان الذين قذفتهم الحرب العظمى الى بيروت ؟ فقد ضمّهم الى رعايته واعتنى باسكانهم وتشغيل رجالهم وتهذيب اولادهم ثم أنفق عليهم من ماله الخاص وما برح يتعهدهم ويساعدهم في قضاء حاجاتهم . . .

« . . . اني والحق يقال لو أوتيت سعة من المال لعملتُ تمثالاً له وجعلته في بقعة تليق به تخليداً لذكراه وتغنياً بديحه . ولكن هذا سيقرّر عاجلاً او آجلاً ان شاء الله اقراراً بجميله على العلم والطائفة . اطل الله بحياته الشمينة . . . »

وكتب الشيخ الجليل والشاعر البليغ فتح الله بك خياط السرياني الى آل طرازي رسائل كثيرة وقصائد عامرة . تجتري منها باثبات رسالة وجهها من الاستانة بتاريخ ٢١ كانون الاول ١٩٢٠ الى عميد أسرة طرازي في بيروت قال :

« بعد لثم الراحتين الكريمتين واداء فروض الدعاء الحميم اعرض : اسعدني الحظ بعد تخلف بشائر صحتكم الغالية عني مدة ان أحظى

برسالتكم الغراء المؤرخة في ٣ من هذا الشهر . وقد جثوتُ على ركبتيَّ
الضيلتين وحمدت الله على دوام سلامتكم وعلى استمرار تعطفاتكم
الاريجية واستقرارها نحوي وقلتُ على الفور :

أمولاي يا نعم المجير ومَن به مدي الدهر لم ابرح شكوراً أفأخُرُ
مقامك مقصودٌ وقدرك باذخٌ ومثلك مفقودٌ وفضلك زاخُرُ
« وقد وجب عليَّ اليوم ان اشكر لكم كلَّ الشكر دوام منكم
عليَّ . . . واختم عريضتي هذه بتخميس البيتين المسطورين اعلاه تحدُّثاً بما
طوَّقتموني به من قلائد المنى وفرائد النعم . فان صادف منظومي المنوّه به
في ساحتكم الفسيحة الارجاء . محطّ الامل والرجاء . وحاز الرضى والقبول .
فذايك عندي أجلُّ المأمول وأسنى المسؤول فاقول :

رعى الله قوماً قد غدا غوثٌ صحبه وفاضت على العافين أنوارُ سُجبه
فقلْ لمغيثِ الحُلّ في يوم كُربِه أمولاي يا نعم المجير ومَن به
مدي الدهر لم ابرح شكوراً أفأخُرُ
لك الله من ركنٍ به الودّ راسخٌ على أسّ صدق طود عليه شامخٌ
فلا بدع ان وفأك بالوصف صارخٌ مقامك مقصودٌ وقدرك باذخٌ
ومثلك مفقودٌ وفضلك زاخُرُ

ولما انشأ الفيكنت فيليب دار الكتب الكبرى في بيروت عام ١٩٢١
قرّظه فتح الله بك خطاباً أيضاً بهذين البيتين :

هنيئاً لدار الكتب من انت عزّها وبدر علاها الالهي مديرها
اذا باهت الآداب فيك بني الوري فانك يا فيليب حقاً أميرها

وكتب السيد داود دائخ السرياني قنشليار دولة ايطالية في الاسكندرية
رسالة بتاريخ ٤ آب ١٩٢٢ الى الفيكنت فيليب دي طرازي ورد فيها :

« . . . عرفتكَ منذ سنين فصارت بيننا صلةٌ ودّ وصداقة تزيهة عن
كل غاية شخصية . وكلّما زاد تعرفي بك ازداد اعتباري لك . واصبح هذا

الاعتبار حباً يجعلني ان أسرّ سروراً قلبياً كلما سمعتُ عن اعمالك الحسنة . وعن النتائج التي تكلّمها . ففي مدة الحرب كانت اعمالك الحسنة خفية تسترها يدُ الشمال . شاهدتك مرّات عديدة بجمّة فقير تغيشه فكنتُ اذ ذاك اتوارى عنك لثلاثي فاشغلك عن عملك . وأراك الآن بعد الحرب كما يراك كلُّ وطني قد خصصتُ ذاتك بيثّ العلوم والآداب في روح شبان هذا العصر . . . فاهنتك من صميم القلب ب مقام سامٍ أحرزته وبنجاح باهر أقرّ لك به اهل بيروت . اخذ الله بيدك وساعدك على اعمال أعظم ممّا عملته حتى الآن . . . »

وكتب الاستاذ الالمعي السيّد انطون فتح الله صباغ السرياني بتاريخ ٢٣ كانون الثاني ١٩٢٩ يودّع الفيكنت فيليب دي طرازي قبل سفره من بيروت الى حلب قال :

« مولاي العظيم الخالد

» ايه يا بيروت المدينة الجميلة وزهرة بلادي المحبوبة التي تضمّ في مدافنها عظام الآباء والاحباء . والتي طالما عرّجت على ذكرياتها في قصائدي الكبرى التي انشأتها في فلسفة الحياة والموت . اني قد رجعت اليك بعد جهادٍ دام عشرين حولاً طوّحت بي خلالها طوائف الغربتين : غربة الارض وغربة الاوطان . وعشتُ على أرضك الطيبة سبعة اشهر رشفتُ فيها كؤوس الغربة والمتربة واليأس والالم حتى حثّلتها . وها انا راحلٌ عنك غداً ولعأها رحلة الابد . فاذا وقفتُ لوداعك اليوم وارتدتُ ذكراك بعد اليوم فاني لن أجد فيك مَنْ أودّع وَمَنْ أذكر سوى كائنين : كلاهما عظيم وكلاهما من أرسخ ما يكون بنفسي . وما هما سوى الطبيعة والفيكنت فيليب دي طرازي . اني سأذكر هذا الاسم العظيم كلما ذكرت سورية والطائفة السريانية في تاريخهما القديم والحديث . بل اني سأذكر هذا الاسم الخالد ما ذكرت العظمة على الارض . ولا غرابة في ذلك بل المستنكر ان لا

يكون ذلك .

« أفلستَ انتَ الطائفة بكليتها ؟ وما هي الطائفة لولاك ؟ ليست الامم هي التي تكون الرجال ولكن الرجال هم الذين يكونون الامم . لذلك كان من البديهيّات ان الطائفة هي التي تتشرّف بالانتساب اليك . وليس مثلك من يتشرّف بالانتساب اليها . هذا اذا محّصنا حقائق الاشياء على ضوء المنطق المجرد . فانه اذا فرضنا ان انقرضت الطائفة لما خسرت الطوائف الكاثوليكية ولا المذاهب المسيحية شيئاً . لانها بانقراضها انما تندمج في اخواتها . ولكنتا اذا خسرنّا مثلك ، لا سمح الله ابداً ! فقد خسرنّا كل شي . ذلك لان اخلاقك ومبادئك واعمالك انما هي جوهر تعاليم الاله المتجسد كما هي التاج المرفوع على هامة الدهر سواء بسواء . . . »

ولسنا نرى شهادة قاطعة تنطق لآل طرازي بالفضل والايداي البيض أصرح من وثيقة دورتها شركة مار منصور الخيرية في بيروت وبعثت بها الى رئيسها الفيكنت فيليب على اثر استقالته . ولما كانت تلك الشركة تضم اليها اعضاء من جميع الملل ، وفي جملتها الملة السريانية ، ساغ لنا ان نثبت تلك الوثيقة تأييداً لادرجناه في هذا الكتاب من البينات الصاعدة والحقائق الساطعة وهذا نصها :

« جناب الفاضل الهام الفيكنت فيليب دي طرازي الافخم رئيس شركة مار منصور دي بول سابقاً .

« ايها الاخ المحترم

« ان استقالتكم من رئاسة شوري شركة القديس منصور دي بول في بيروت كان لها تأثير محزن ومؤثر للغاية في نفوس جميع اخوانكم ابناء هذه الشركة المحبوبة لاسيا اعضاء شوراها . فانهم يذكرون بالشكر والافتخار ما لكم في سبيلها من الايداي البيضاء . من يوم انضوائكم تحت لوائها وخصوصاً اثناء رئاستكم العامة عليها مدة ثماني سنين متوالية . نعم ايها الاخ المحترم لقد احييت رسوم مؤسسي الشركة وجمعتم آثار الاولين من

اعضاءها الذين اتوا في جاذتها ونهضتها كل اثر يُذكر فيشكر . ثم سعيتم في تجديد برنامجها السنوي وعينتم باوقافها ومدارسها وجمعياتها واحتفالاتها وسائر مصالحها الخيرية قائمين بكل استحقاق بالمهمة السامية التي تقلدها اسلافكم الرؤساء الافاضل الذين طابوا اثراً وذكراً وهم : يوسف بطرس الشريف نسباً وبطرس ديشان الملتب غيراً وبشاره خوري المتدفق كرمأ . فأحرزتم جميع هذه الصفات المعتبرة كما انكم توقفت الى استدرار البركات الروحية والامدادات الزمنية من لدن الاحبار الاعظمين ورؤساء الطوائف الكاثوليكية وسراة القوم . فضلاً عن التبرعات السخية والخدم الجليلة التي بذلتموها حباً للشركة التي تذكر لكم ايضاً ما امترتم به من علو الهمة وشهامة النفس ونبيل المقاصد وسائر المناقب الفريدة . وفي الحقيقة انكم جاهدتم في سبيل نجاحها جهاداً حسناً حتى انكم نلتهم ثناء الجميع وصارت الشركة في عهد رئاستكم تتفاخر وتباهي بين سائر الجمعيات الخيرية بانتظام احوالها وغو وادراتها واتساع دائرة اعمالها المبرورة .

وبناء عليه فجلس الشورى في جلسته المنعقدة في مساء اليوم الرابع من شهر تموز الغابر قد قرر كتابة هذا الرقيم معلناً شكره الحميم لجنايبكم ومعرباً عن اسفه الشديد لاستقالتكم من منصب الرئاسة . وبرهاناً على ما سبق ذكره رأينا ان نزين قاعة الاجتماعات برسمكم الكريم الذي سيبقى اثراً خالداً يذكرنا بمساعيكم المحمودة وغيرتكم الوقادة .

وفي الختام نتوسل الى الله سبحانه ان يوفق امورك ويوليكم مع اسرتكم العزيزة سواغب النعم وقرائن القسَم . وان يمد بجيايتكم الثمينة ويحمل التوفيق لكم اليقاً والسعد حليفاً والهناء ملازماً والزمان خادماً بين الله سبحانه وكرمه »

صدر عن مركز الشركة ببيروت في ٣ آب ١٩٠٦ (مكان الختم)

امين الصندوق	كاتب الوقائع	الرئيس
حبيب فرنسيس نادر	شكري غلاييني	انطون شحير

ويحلو لنا ان نختتم فصلنا هذا بستة ابيات شعرية ارتجل كلاً منها
 شاعر من مشاهير شعراء لبنان وسورية عند اجتماعهم في دار الفيكنت
 فيليب دي طرازي . وقد كتبوها بخطوطهم حول رسم ابنته الفتاة حنينة
 يوم كان عمرها لا يتجاوز العشر السنوات . وكان سادس اولئك الشعراء
 الاستاذ الياس بهنا الذي يتحدث من أسرة سريانية في راشيا الوادي . واليك
 تلك الابيات واسماء ناظميها :

كتب الشيخ العلامة ابراهيم الحوراني في أعلى رسم الفتاة حنينة^١
 دي طرازي هذا البيت :

حنينة صوّرها ربّها بديعةً كالقمر المسفر

وكتب الشيخ سعيد الشرتوني صاحب «اقرب الموارد» في اسفل الرسم :

قد كتب الحسنُ على وجهها يا أعين الناس قفي وانظري

وكتب الشيخ عبدالله البستاني صاحب معجم «البلستان» الى عين الرسم :

فوجهها قال لاحداقها آني فتانٌ فانتِ اسجري

وكتب السيد خير الدين الزركلي مؤلف «تراجم الأعلام» الى يسار الرسم :

قد اوحى الشعر لاربابه لما بدت كالمالك الاطهر

وكتب السيد حلیم دموس ناظم ديوان «المثالث والمثاني» :

عاشت لفيليب سليل العلي من ذكره كالارج الاطر

وكتب الاستاذ الفاضل المرحوم الياس بهنا :

بخلقها وخلقها انها فاقت حسان العصر والعصر

وأشدد الفيكنت فيليب والد الفتاة حنينة بيتاً سابعا جعله مسك الختام

لسلسلة تلك الابيات المستظرفة قال :

والدّها سجّل شكراً لمن قرّظها يفوح كالعنبر

(١) غلب على هذه السيدة اسم جانّ (Jeanne) وهو ترجمة فرنسية لاسمها الاصلي
 «حنينة» فوجب التنويه دفعاً للالتباس



السيدة جان ابنة الفيكنت فيليب دي طرازي
رسمها في السن العاشرة

القسم الخامس

الفصل الفردي

منظومات الفيكننت فيليب دي طرازي في الملة السريانية

كثيرة هي القصائد التي نظمها الفيكننت فيليب دي طرازي للملة السريانية في اوقات مختلفة . وقد المعنا الى شي . منها في بعض فصول هذا الكتاب ولاسيا في الفصل الثاني من القسم الثاني تحت عنوان « آل طرازي وتعظيمهم لاجبار مآتهم » . وهي اذا جمعت تألف منها ديوان طريف جدير بالاعتبار . ولما كان ما لا يُدرك كله لا يُترك جُلُه رأينا ان ننتقي من تلك القصائد مختارات أنشأها الناظم تكريماً للفضيلة والعلم في رؤساء ملته . ولا زى مندوحة عن التصريح باننا لا نعرف رجلاً سريانياً من فئة العالمين سبقه في هذه الحلة لا في عصرنا الحاضر ولا في العصور الغابرة . فزى اذاً من باب معرفة الجميل ان نبدي عاطفة الشكر لصنيعته ونثني اعطر الثناء على عبقريته داعين له بالعيش السعيد والعمر المديد . واليك تلك المختارات نشرها سلسلة وفقاً لتواريخ نظمها :

قال يهنى السيد ثيوفيلس انطون قندلفت بارتقائه الى الكرامة الاسقفية في كنيسة مار جرجس السريانية بيروت صباح ٢٠ حزيران ١٨٨٦ . وكان انشاد هذه القصيدة على المائدة في دار آل طرازي مقر البطريك الانطاكي واساقفته الاجلاء :

أعظمُ بشأنك فالهلى تسور^{١)} ولأنت في شرفاتها المستنظرُ
والك السيادة سُلمتْ فزماُها مُلقَى لديك وقد تباهى المنبرُ

(١) يقال تسور الحائط : صعد عليه

وبها الجلالة قد غدت لك تُسْفِرُ
 يوم ارتقائك والعباد تُكَبِّرُ
 سعدت بحجر فضله لا يُنْكِرُ
 ولها عنا الخطئ السعيد الأوفرُ
 كرسيا هذا الخطيب الأشهرُ
 حبرا له خيرُ الثناء يُجَبِّرُ
 وبذكره الفواح مسكُ أذفرُ
 تلقاه إذ هو صامتٌ أو مُنْذِرُ
 غراء والتاريخ عنها يُجْبِرُ
 هو في رعيته الامام الأكبرُ
 يرعى النفوس بحكمةٍ ويدبرُ
 لاحت حوالَ البدرِ اذ هو يظهرُ
 مجليل محضره يجلبُ المحضرُ
 عزٌ ونحن لفضلهم نتشكرُ
 وضياء مجد كل نورٍ يبهرُ
 صيتٌ لهم كُشِرَ القداسة ينشرُ
 في حالكِ العمرات انت النيرُ
 ويراوح وصفك لا سواها تسكرُ
 من عرش ربك ذي العلى لك تعمُرُ
 انت الخلق بشأنها والأجدرُ
 عني وُسُسُ شعباً مجذوك ينشرُ
 وعلى الزمان بفرط عزمك أظهرُ
 زمناً طويلاً بالرضا تستنصرُ
 وأعزَّ من بفعاله أستظورُ
 ارجو فاني باعنائك أظفرُ

فالتاج يلمع والكنيسة تنجلي
 والوعظ يسمو والمنابر قد زهت
 سقياً لبيروت التي في عصرنا
 برزت بمجالة بهجة فتمالت
 بل نافست كل المدائن اذ علا
 علم الفصاحة والحصافة من بدا
 فيبعد همته يقربُ مُبْعَدُ
 تلقى الدماثة والرصانة كلما
 زفت كنيستنا له في حفلة
 هي مئةٌ قد حازها من سيد
 البطيريك الطاهر الورع الذي
 حقت به الاحبار مثل كواكب
 من كل طائفة أرى مطراتها
 أكرم بسادات لنا بحضورهم
 تشريفهم زاد الرسامة رونقا
 قد سابق الشعراء في أوصافهم
 يا أيها المولى الجديد المنتقى
 ترهو القوافي في مديحك دائماً
 حلت عليك اليوم أقدسُ نعمة
 رقاك بطركنا الجليل لرتبة
 ناداك يا انطون دير بيعة
 عكاز شبي انت ثم ظهيره
 مازجتني بتمام صفو محبة
 كن لي اذا دهم الخطوب مظافراً
 واسهر على خير الرعية مثلما

باليمن أطلبُ ان تعيش معزراً
وَلَنَحْنُ نُخْلِصُكَ ههنا لك ننتقي
راجين ان توتى بكل رغبة
وترى بنيك كروضة مخضلة
وتقيم فينا راضياً مسترضياً
هذا رجاء الشعب نسأل ربنا
وعلى فلاحك كل عمري أسهر
دُرُ الثناء كدّر وعظك يُنثر
وترى الرعية بالوعائب تظفر
فيهم أُماليد الفضائل تُرهر
لله عنا صانعا ما يؤثر
تحقيقه ما راح خير يُشكر

وقال يهني السيد اغناطيوس جرجس الخامس البطريك الانطاكي بورود
الطغراء الهايونية المهداة اليه من الحضرة السلطانية. وقد أنشدت هذه القصيدة
يوم الاحتفال بتعليق الطغراء المشار اليها في الدار البطريكية بحلب في ٢٠
نيسان ١٨٨٧ كما ألعنا الى ذلك في الصفحة ٥٥ :

برزت تيمسُ بظهير وضاء
شمسُ تباهرُ بالسنى شمس الضحى
شمسُ تجلتُ من ملك زماننا
ملكُ على عرش الخلافة جالسُ
قد خص بطركنا بأشرف منحة
هو بطريك باسم جرجس خامسُ
سرت البشارُ في البرية عندما
وافت تبلغه رضى سلطاننا
علم له النصر المبين مؤيدُ
هذا طرازُ بالمفاخر مُعلمُ
خفقت بنود المجد حول لوائه
فاهناً بما احزرت يا خير الورى
اذ انت متجهُ التهاني والثناء
ولانت افضل من زدد ذكره

وبدت تتيه بعزة وسناء
وتفوتها بخطورة وعلاء
ذي القدر والتدبير والآلاء
ولواه معقود على الجوزاء
جاءت بصدق ولائه كجزاء
وعصارة الاطهار والصلحاء
بزغت لديه طلعة الطغراء
عنه وعن أبنائه الامناء
قد بات يلعب في ذرى الشهباء
لا بل شعار الدولة الغراء
ظفراً ولاحت فوق كل لواء
يا صفوة السادات والنوساء
وبلاغة في السن الشعراء
ومحط أمال الضئيل النائي

بل انت للسريان أعظم موئل
لا زلت تسمو بين احبار الهدى
وبقيت في كنف المهيمن رافلاً
برداء عزه دائم وهناء

وقال يرثي العلامة الكبير السيد اقليميس يوسف داود مطران دمشق
على السريان الذي انطفأ سراج حياته الوهاج في ٤ آب ١٨٩٠ :

الموت مغوار يشد^(١) على الوري
إن ينور مضمار الهلاك فأنه
ينضو^(٢) على اهل الصرائم صارماً^(٣)
قتراه حران^(٤) الجوانح هائماً
ليث له في كل يوم صولة
لا يوم الا فيه صرخة نادب
لو عاد للأرض الذين طوتهم
نسعى على اثر الألى سلفوا وما
في الأمس كانوا مثلنا وغدا سنض
فالموت حصاؤ النفوس ولم يكن
ما انفك ذا كدر يغير مداها
قد هد ركناً للكمال موثقاً
وبنا أهاب^(٥) الى رثاء محقق
ذاك الذي أبدى لنا من علمه
ذاك الذي شهد العداة بسبقه
ذاك الذي صرف الحياة بطاعة المولى ولم يعرف خنى^(٦) او منكر

(٢) الفرس القليل اللحم

(٣) الصرائم : العزائم . والصارم : السيف

(٤) اهاب بنا : دعانا

(١) شد على العدو : حمل عليه

(٣) يسل

(٥) شديد العطش

(٦) الخنى : الفحش في الكلام

ذاك الذي خدم العلوم مُقَدِّمًا
 الجبر اقليميس داود الذي
 الفيلسوف الثاقب الآراء من
 ما زال يدأب في المعارف وسعة
 فالدرس كان أليفه وحليته
 قد حل من عُقَد المشاكل جُلّها
 كشف الستائر عن مسائل جمة
 أحيا رسوماً للكنيسة اوشكت
 تُبْيِك عنها أمة السريان إذ
 والشرف اعترفت له بمجمله
 وله من الكتب المفيدة جملة
 ومن اللغات على اختلاف صنوفها
 واذا تحرّيت العلوم بأسرها
 حبر إذا انفقت عمري كله
 في أمة السريان خلد صنعه
 كانت شائله تؤيد أنه
 ولّى عن الدنيا ولكن ذكره
 أبكى المنابر والمحابر مثلما
 بكت الارامل واليتامى فقده
 وتنهدت وتلهفت وتأسفت

ومضى شهيداً للعلوم مؤخرًا
 برّاه أصبح كل وجهٍ غيرًا
 برّائه كل يكون مقصرًا
 حتى غدا فيها الشهاب الأنورًا
 واللطف فيه والتقى قد صورًا
 وبرأيه صبح الحقائق أسفرًا
 كانت محجبة الحقيقة أعصرًا
 لتقادم الايام ان لا تُذكرًا
 أحيا لها الأثر القديم وقرًا
 فيها لاحكام المجامع سطرًا^(١)
 شهدت له بالسبق في ما حرًا
 خمسًا وعشرًا مثل أهلها دري^(٢)
 ألقيت كل الصيد في جوف الفرا
 برّائه لم أقصر حقًا قرًا
 صيتاً لديه صيت قيصر قصرًا
 ما مس مرء بالاذاة وما افترى
 فيها يدوم مُكرّرًا ومقطّرًا
 أبكى المهاجر لهفة وتحسّرًا
 اذ كان غوثًا في البلاء وقد طرًا
 لما قضى وجى القضاء بما جرى

(١) اشارة الى المجمع الذي عُقد عام ١٨٨٨ في دير الشرفة وكان الفقيه قد وضع احكامه كلها

(٢) المراد بذلك انه كان يحسن الكتابة والتكلم بنحو خمس عشرة لغة وقد أثبت الناظم ذلك في كتابه « الفلادة النفيسة في ففيد العلم والكنيسة » المطبوع عام ١٨٩١ في عشرين لغة مختلفة

فلتبكّه العلماء أصحاب الحجي
فلتبكّه الحدياء^(١) مسقط رأسه
فلتبكّه الشهباء^(٢) حيث بها سها
فلتبكّه الزهراء بيروت التي
فلتبكّه الزوراء^(٣) مع ادائها
فلتبكّه الفيحاء^(٤) اذ فيها قضى
فلتبكّينه رومة العظمى وفا
اذ حاز فيه شهرة متمازة
فُجعت به الدنيا ولازمها أسى
سالت عليه مدامع لو جُمعت
ضجت لمصرعه السّام كآبة
ولخطبه اكتست الكنيسة حلة
ضاقت على رحب بقوم قد أتوا
وبطل مذبح قلب عيسى ربنا
وهناك بات مزار كل أخي نهى
ابداً يحج اليه أرباب الحجي
ويكون محفوفاً بكل كرامة
مني عليه ألف ألف تحية
وعليه من لدن المهيمن رحمة

اذ كان بينهم الشهاب الأزهر
فيموته فقدت عماداً أكبراً
لرئاسة الكهنوت مرفوع الذرى
من أنسه نالت نصيباً أوفراً
بل كل مصر كان فيه منذراً
انفاس عمر بالفضائل أزهر
تسكنها بسخين دمع أحمر
في عهد مجمعه^(٥) الذي شد العرى
بفؤاد كل محصل قد سَعَرَا
لتوهمتها الناس تُزخر أبحراً
بل كاد قلب الصخر ان يتفطراً
سوداء تندب راعياً ومدبراً
متلهفين من المدائن والقرى
أثووه خدرًا ضمّ ليشاً مُخْدِراً^(٦)
يُيكى عليه لفقده متحسراً
من كل ذي خطبٍ تهز المنبراً
ابداً ويبقى للمراحم مظهر
ممزوجة بالدمع ما قرّ سرى
ماراح يُذكر فاضل فوق الثرى

(٢) لقب مدينة حلب

(١) لقب مدينة الموصل

(٤) دمشق

(٣) بغداد

(٥) مثل التقيد الملل الشرقية في المجمع الفاتيكاني بمثابة لاهوتي وترجمان

(٦) الحدر : اجمة الاسد - ومخدراً من اخدر الاسد اي لزم الحدر

وقال يهنى السيد اغناطيوس بهنام الثاني بارتقائه الى السدة الانطاكية
 في ١٢ تشرين الاول ١٨٩٣ واختتم القصيدة بتاريخ شعري :

نادى البشير بصوت الفوز والجدل
 ها قد ظفرنا بما كنا نؤمل
 جاد الاله علينا من مراحمه
 ببطريك بدت أنوار طلعه
 بهنام ذيلك الخبر المغبط من
 هذا الذي سارت الركب ان ذاك
 طابت به بعد طول الحزن ملتنا
 مولى له في ديار الشرق منزلة
 حبر تميز اخلاقاً مطهرة
 لذلك اختاره اجبار امتنا
 وبالرضا انتخبوه راعياً وأباً
 قالوا له باتفاق الرأي قاطبة
 وسلموه العصا حتى يسوس بها
 وتوجه بتاج كل بهجتته
 رقوقه كرسي انطاكية خلفاً
 فتلك سلسلة في الدهر ما انقطعت
 فقام بالحزم يرعى المؤمنين على
 وعزز الحق والآداب معتصماً
 وشاد للعلم اركاناً موطدة
 نعم الإمام الذي في كل معضلة
 سامي الفضائل فكأنك المشاكل
 موفق السعي والاعمال متصف
 كريم أصل بعيد الشاؤ في فطن

الحمد لله نلنا غاية الأمل
 ونبغيه لدى الأصباح والأصيل
 ببطريك جليل طاهر الحلال
 تقول للقوم وافي السعد بالعجل
 بفضل صار مصباحاً على القل
 آثار نعمه في حل ومر تجل
 ففاخرت في البرايا سائر الملل
 عليا وذكر غدا أحلى من العسل
 بحزمه صار فينا مضرب المثل
 لمنصب ياله من منصب جلل
 فلم يكن ثم من خلف ولا جدل
 انت الإمام فسد وأنه ومر وفل
 رعية نهجت في أقوم السبل
 في نصرة الحق لا في جوهر وحلي
 لسادة مجدهم أربى على رحل
 وكان أولها من هامة الرسل
 نور الهداية يقظاناً بلا غفل
 بالله لا بشفار الهند والأسل
 وأجمل السعي في قول وفي عمل
 نراه بالحزم معصوماً من الزلل
 محمود الشامل ذو نهج بلا ميل
 بالنبل والحلم والارشاد والجول
 مؤيد حازم ناهيك من رجل

هو الطبيب لداء النفس إن مُنيت
هو النصير لمن حلَّ الشقاء به
في كنفه لشريد الدهر ملتجأ
جل الذي قد حباه من مكارمه
أيا نذير الهدى يا خير من شخصت
لسنا نهيك في ما حُزت مرتقياً
ملكست سدة حق نستغيث بها
رفعت شأننا لنا بين الأنام كما
نلنا الأمان بيوم صرت بطركنا
شرقاً وغرباً بنو آرام قد نشروا
باهوا بفضلك اهل العصر قاطبة
تسعى اليك القوافي كالقوافل إذ
اليكها بنت فكر بالوقار بدت
تمايلت مثل غصن البان زاهية
تضمنت فيك بعض الوصف فاكتسبت
أهدت اليك مديحاً يُستطاب كما
لا زال فضلك في ذا العصر منتشراً
يحفظ مولاك يا مولاي سداً ابداً
ختمت شعري مع مدح نوّرخه

بعلة راح يشفيها من العليل
وغوث كل فتى بالنائبات بُلي
ما أمه مجتهد يوماً ولم ينل
محامداً قصرت عن وصفها جُملي
آمالنا فيه مثل الأعين النُّجل
بل الهناء لكل الناس فيك ولي
لا بالصوارم عند الحادث الجلل
شملتنا باعتناء جلّ عن مثله
فيه لذاك حمدنا منّة الازلي
أعلام مدحك فوق السهل والجبل
بل فاخروا فيك كل الاعصر الأول
بك التهانى اشعب عنك لم يمل
في ثوب عز بهي منك مُنتحل
لكن زاهاً لدى عليك في خجل
مجداً يطاول مجد السبعة الطول
دُرّ الثنا نسقت في أجل الجمل
حتى تدوم كبدر فيه مكتمل
قريب عين بلا بؤس ولا وجل
حوى ثناك وهذا منتهى أُملي

١٨٩٣

وقال مؤرخاً جلوس البطريك المشار اليه على السدة الانطاكية عام

١٨٩٣ بهذه الابيات :

يا حبيذا الخبر الذي سيعود في
طابت نفوس الخلق حين جلوسه
ايامه مجد لانطاكية
واعترّ مقتخراً سرير الغبطة



السيدة جان ابنة الفيكننت فيليب دي طرازي
رسمها في الوقت الحاضر

فَاللهُ رَقَاهُ لِأَشْرَفِ ٠ نَصَبِ اذْ قَالَ سُوسُ شَعْبِي وَدَرِّ بَرِّ بَيْعَتِي
ولذا الصفا شمعونُ أَرْخَ قَائِلًا ناداهُ يَا بَهْنَامُ انتَ خَلِيقِي

١٨٩٣

وانشد يهنى السَّيِّدَ المومناً اليه بالوسام العثماني الاول عام ١٨٩٤ مؤرخاً :

وافاك يا حبر الكنيسة والهدى نوطُ افتخارٍ كالغزاة مُشرقُ
فالكون تاه وبات يزهو من سنى تاريخه غريبُهُ والمشرقُ

١٨٩٤

وقال يهنى السَّيِّدَ اغناطيوس افرام الثاني بطريرك السريان الانطاكي

ببلوغه السنة الخامسة والعشرين (١٨٨٧-١٩١٢) من عهد اسقفية :

قِفْ فِي الرَّبِّي بَيْنَ الْفِرَاتِ وَدَجَلَةٍ وَقُلِ السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا ذَا الْغُبَةِ
وانظم بمدح البطريرك المصطفى دُرّاً لَهَا الشَّهْبُ الدَّرَارِيُّ ذَلَّتْ
عَدَدٌ مُحَامَدُهُ وَرَدَّدُ فَضْلُهُ وَاذْكُرْ مَنَاقِبَهُ بِكُلِّ تَجَلَةٍ
اعني به خلفَ الحواريين^(١) مَنْ هُوَ خَيْرُ نَبْرَاسٍ بِدَاجِي الظُّلْمَةِ
افرام راعينا الذي يوبئُهُ شَمَلَ الْقُلُوبِ جَمِيعَهَا بِالْبَهْجَةِ
ثاني البطارك باسمه من عهدِ شِمْ هَوْنَ الصِّفَا فِي عَرْشِ انطاكِيةِ
لكنه بفعاله وصفاته هُوَ اَوَّلُ فِيهِمْ وَبُعْدَ الْهَمَةِ
حبرٌ سَمَا بِرِثَاسَةٍ وَقِدَاسَةٍ وَرِصَانَةٍ وَصَرِيعةٍ^(٢) وَعِزْمَةٍ
حبرٌ بِسِفَرِ الْمَجْدِ عُلِقَ ذِكْرُهُ فَطَوَى الْبَسِيطَةَ مُسْتَفِيزَ الشُّهْرَةِ
مَا شَابَهُ عَيْبٌ وَلَا دَخَلٌ^(٣) وَلَا نَقْصٌ يُسْ كَمَالِهِ فِي الشَّيْئَةِ
وغدا بعلم الدين مصباح الهدى يَهْدِي الضُّلُولَ اِلَى قَوِيْمِ الْخُطَةِ
ومن اللغات أنيلَ عشرًا نابغاً فِيهَا وَأَحْرَزَهَا بِأَوْسَعِ فِكْرَةٍ
وبها أفاد مصتفاً ومولفاً لَذَوِي الْبَصَائِرِ فَالْعُقُولِ تَرَوَتْ

(١) الحواريون هم رسل السيّد المسيح عزّ شأنه

(٢) خديعة ومكر

(٣) الغزاة

وبنى بهيمته الكنائس والمد
 فاذا استجير بدا كسهم نافذ
 من مصر حتى أرض بابل صيته
 وله بأرض الغرب ذكر عاطر
 جمع القلوب على الوثام فحبذا
 أقباع عيسى أحرزوا فخراً به
 فقد إماماً بالمعارف والحجى
 في كنفه الاحبار يلمع نورهم
 أرجو من الله الكريم يزيدهم
 ويطيّل مدتهم بوارف ظله
 يزهو به تاج الكرامة مثلاً
 جنبنا نهته بعيد باهر
 في الاسقية ربع قرن كامل
 سرت بني السريان بهجة عيده
 فترنحوا في الخافقين تميدهم
 وردت تهانثهم وجاء وفودهم
 ضاقت بهم بيروت لما أقبلوا
 عرضت هداياهم فكانت متحفاً
 والناس من كل الطوائف أظهروا
 أبقاه ذو الملكوت مغبوطاً الى
 بالغز متعه ومتعنا به
 لا زال في أفق الكنيسة كوكباً

رس ثم مطبعة بدير الشرفة
 واذا استشير مضى كسيف مصلت^(١)
 قد ذاع مشكوراً بكل مدينة
 وبندوة العلماء رياً سمعة
 عمل نفى عنها ذريء النفرة^(٢)
 منذ ارتقى للسدة الرسلية
 وعلى الرعاة سها بحكم الرتبة
 مثل الكواكب في سماء البيعة
 عدداً وإثماً بكل فضيلة
 ويصونه ويصونهم بالنعمة
 يزهو لديه صولجان السلطة
 والعيد مرجعه اكل الملة
 قد جاز منصرفاً خير رعية
 فتسابقوا شكراً لهذي المتة
 كأس المودة لا كؤوس الحمرة
 يقضون واجب طاعة ومحبة
 وغدا لنا اليوبييل روض مسرة
 لالزائرين وقرة للمثقلة
 فرحاً فزاد بهم جمال الحفلة
 يوبيله الذهبي تلکم منيتي
 دهرًا يجاه الغزة الصمدية
 يعى خراف المؤمنين بحكمة

(١) مجرد من غمده

(٢) ذريء اي مبدور . والنفرة الشقاق والخصام

وقال يهنئ السيد اغناطيوس افرام الثاني الموماً اليه بوسام « جوقة الشرف » المهدى اليه من الدولة الفرنسية . وقد التزم ان تكون القافية في جميع الابيات لفظة واحدة يختلف معنى كل منها عن معنى الاخرى . وقد اشرنا الى هذه القصيدة المستبدعة في الصفحة ٥٦ :

١) وسام فخر يسمى جوقة الشرف	سما اليك كمن يسمو الى الشرف
٢) فثله نلت سباقاً الى الشرف	فلم يزدك جلاً لا انت مطلعُه
٣) يُشرى بما لذوي يُسر من الشرف	قد زنت يا حبرُ حبراً لا يباع ولا
٤) بدت لنا ذات لونٍ ناصع الشرف	هو الوسامُ الذي في الجيدِ شارتهُ
٥) قدرٌ بصدرك ما ضاهاهُ من شرف	لا غرو ان باهر السيار فهو اخو
٦) من الرُها ونصيبين الى شرف	فقد اُصار بني آرام في جدلٍ
٧) معنا فروضُ الهنا للبطرك الشرف	وقد رأينا فرنسا اليومَ رافعةً
٨) حيّاك والدهرُ يعنو مرغم الشرف	فاوفدت من سراة القوم مؤتمناً
٩) تطير في الفلك السامي على شرف	لو كنت في نجد أمتها بمركبةٍ

١) وسام افتخار انشاء نابليون الاول في ١٩ ايار ١٨٠٢

٢) الشوط والقاية

٣) الخبر بالفتح السيد وبالكسر الوسام . والشرف : اليسر وخيار المال

٤) المفررة او نبت احمر تصبغ به الثياب

٥) القدر والقيمة

٦) اوردنا ذكر الرها ونصيبين لانهما المدينتان اللتان امتازتا منذ القرن الثاني

للميلاد بمدرستيها الشهيرتين . ففي مدرسة الرها نبغ فطاحل كتبة السريان كهريصان

ومار افرام وربولا واسحق الكبير واجيبيا وفيلكسين ويعقوب وغيرهم . وترينت

منابر التعليم في مدرسة نصيبين يعقوب اسقفها ونرساي واليشاع وابرهيم الرمان وبوسف

الاهوازي وقيورا الراوي ومار سهدونا الشهير وباباي الكبير الخ . . . ويراد هنا

بشرف موضع في دمشق على طريق حاج الشام يعرف بشرف البعل

٧) الشريف (٨) الانف

٩) جبل قرب جبل شريف وشريف اعلى جبال بلاد العرب

- او كنتَ في المغرب الاقصى اليك سعت
 انتَ الخطيب الذي أَعَيْتَ فصاحتُهُ
 بنيتَ للحق برجاً عزّاً جانبُهُ
 أدركتَ منزلةً في الفضل ساميةً
 حفظتَ آثار اجدادٍ لنا سلفوا
 بك العلوم زهت والنفس فيك زكت
 منار شرفتك القعساء اشرف من
 باتت ديارك عزّ الوافدين كما
 تُدني القصي من النعمى وتبذلها
 ان راعَ ذا الفقر اشفاءً على خطر
 او اوقع الدهر اهل العمر من شرف
 قد نالهم منك احسانٌ يصير به
 من منهم اثقلت بوئساء منكبه
- ١) على جياذ المعالي لا على الشرف
 ٢) خطيب قرطبة المشهور من شرف
 ٣) كمعقل قد دعاه الناس بالشرف
 ٤) فاقت مكانة ذي مجد وذي شرف
 ٥) تظل انباؤها كالشف في الشرف
 ٦) طهرًا كرىا نسيم في ربي شرف
 ٧) منارة الشرف الاعلى بل الشرف
 ٨) بنو تميم اقاموا العز في شرف
 ٩) لمن مجاحته يصبو الى الشرف
 ١٠) فانت احرز من يرجي لدى الشرف
 ١١) فانت منقدهم من آفة الشرف
 ١٢) من كان ذا ضعة منهم اخا شرف
 ١٣) زحزحت اثقال بوئساء عن الشرف

- (١) سنام البعير وهو حذبة في ظهره
 (٢) موضع كثير الزيتون والتين كرم التربة دائم الخضرة في اشبيلية بالاندلس
 اشتهر منه ابو اسحق الشرفي خطيب قرطبة وصاحب شرطتها . ومنه ياقوت بن عبد الله
 الشرفي الموصل الكاتب توفي سنة ٦١٨ للهجرة
 (٣) قلعة تدعى ايضاً شرف قلحاح لانها قائمة في جبل معروف بجبل قلحاح
 (٤) الاذن
 (٥) علو الحسب
 (٦) ماء لبني غنم في نجد
 (٧) الشرفة هو اعظم معهد علمي ينتمي الى البطريرك الممدوح مشيد على قمة في جبل
 لبنان تعرف بالشرفة . والشرف الاعلى جبل قرب زيد عليه حصن منيع يعرف بالشرف
 او حصن الشرف
 (٨) شرف او شرف الارطى منزل لتميم
 (٩) الاشفاء على خطر من خير
 (١٠) الاشفاء على خطر من شر
 (١١) الزبدة اي الشدة
 (١٢) المجد
 (١٣) المنكب

لآل كندة في امصارهم شرف^{١)} تشدو بذكرك انحاء العراق وفي
 لاذت بقدسك اجار^{٢)} مجلهم^{٣)} فالدين عندك مرفوع اللواء وقد
 نراك في هيكل الرحمان معتلياً فالمرء بالجد لا بالجد رفعة^{٤)}
 روي نظمي في عليك مبتكر^{٥)} قد كان من قبل شعري تافهاً قللاً
 احيالك ربك ذا معنى يريك به^{٦)} ففقتهم شرفاً لم يرو عن شرف^{٧)}
 قطر الشام لك الحسنى وفي شرف^{٨)} لانهم صفوة الاطهار والشرف^{٩)}
 اولاك خفضاً لعيش تالي الشرف^{١٠)} عرش الوقار وهذا منتهى الشرف^{١١)}
 ولو تسلسل من عسان او شرف^{١٢)} لذاك نافس آل النظم في الشرف^{١٣)}
 واليوم مدحك اعلاني على الشرف^{١٤)} بندا من النصر خفاقاً على الشرف^{١٥)}

وأشدد يوزخ جلوس البطريك المشار اليه على السدة الانطاكية عام ١٨٩٨ :
 على الكرسي تجلى بطريك^{١)} بفطنته تملك كل قلب
 سها بقداسة وجزيل علم^{٢)} وفرط حصافة وصفاء لب
 اذا اجبارنا نصبوه حبراً^{٣)} عليهم بالرضى وبجس حب
 فعم جلوسه الانحاء بشراً^{٤)} وسر الكل من عجم وغرب
 ستلهج باسم افرام البرايا^{٥)} مدى التاريخ من شرق وغرب

١٨٩٨

- ١) الشرف الاول والثالث كبد نجد وكان من منازل الملوك من بني اكل المرار من كندة . اما الشرف الثاني فعناه المجد
- ٢) محلة بمصر تسمى (جبل الرصد) نبغ منها المحدثون الشرفيون كعملي بن ابراهيم الضيرير الفقيه وسعيد بن سيد القرشي وعتيق بن احمد
- ٣) اي الاشراف جمع شريف
- ٤) هو قولك شريف الدين على حد قولك عز الدين الخ . . .
- ٥) العلو والرفعة
- ٦) اسم علم لبعض مشاهير الرجال
- ٧) لفظة الشرف
- ٨) لقب الشاعر المشهور ابراهيم بن محمد الشرقي الاندلسي المتوفى سنة ٣٩٦ للهجرة
- ٩) اعلى المنزل كالشرفة

وانشد يؤرخ عيد السيّد البطريك الموماً اليه عام ١٩٠٨ :
هُنْتُ يا راعي الرعاة بموسم
عيدٌ عليك يُعاد وهو مباركٌ
وفاك بالاجلال والاسعاد
سجعت به كلّ البابل سجرةً
أمتك فيه تهاني من أمةٍ
رقت ترعاها بكلّ رشاد
وجميع سُريان البرية أرخوا
أليوم عيدك غرة الأعياد

١٩٠٨

وأُشيد يؤرخ باسم الملة السريانية عودة غبطة السيّد الياس بطرس
الحويك البطريك الماروني الذي اوفدته الشعوب اللبنانية عام ١٩١٩ الى
باريس ليدافع عن استقلالها لدى مؤتمر السلام :

اهلاً بمن عاد من باريس منتصراً وكلُّ قلب بتقواه قد اتّعظاً
نلقاه ملتهاً وجداً على وطنٍ عليه أضرم شرُّ التُّرك شرّاً لَطَى^١
سعى حيثاً الى استقلالنا ولذا رعى الاله مساعيه كما لحظاً
هذا الامامُ عظيمٌ في فضائله إن صام او رتل الانجيل او وعظاً
يا حبذا بطريكاً أرخوه نرى في عصره مجد لبنان له حفظاً^٢

وكان الفيكنت فيايب قد دعا الى مادية في منزله الحبرين الانطاكيين
اغناطيوس افرام الثاني بطريك السريان الكاثوليك واغناطيوس الياس
الثالث بطريك السريان الارثوذكس . ونظم القصيدة التالية تكريماً لهما
واجلاً لمقامهما . قال :

قرت العينُ برأى البطاركين فأذيعوا الحمد فوق الخافقين
وارتعوا باليمن في ظلّهما فهما في أفقنا كالفرقدَيْن

(١) سمير

(٢) اشارة الى آية اشعيا النبي (٣٥: ٢) وهي : « مجد لبنان أعطي له » . وقد
اتخذها بطاركة السريان الموارنة شعاراً لهم .

وهما للقوم مشكاة التقي
 يا بني آرام هبوا وابذلوا
 ونحن أحفاد الألي قد عززوا
 نحن أحفاد الألي آثارهم
 نحن أحفاد الألي شادوا لنا
 درجوا من هذه الدنيا وشكرو
 كاد ينسى مجدهم في عصرنا
 فأتى من جدّد المجد بما
 ولتوحيد قلوب قد سعى
 أنشأ الله لابناء الهدى
 فرق الختاس دهرًا بيننا
 أنما الآن تصافحنا وذا السعد
 يا إخواننا عيب وشين
 حبّذا يوم به أجارنا
 فيكون الكل شعباً واحداً
 لا رعى الله زماناً أضرم
 غفر الله لمن قدماً جنى
 هوذا افرام في ايامنا
 ونرى بالحبر إلياس لنا
 حقّ الله أماني شعبه
 وبقلب خاشع ندعو بان
 ولنفع النفس خير السيدين
 كل غال لانضمام البيعتين
 كل علم راسخ في العالمين
 تدهش الفكر وتجلو المقلتين
 معلم الحق بارض الرافدين
 هم يبقى مدى الأزمان دين
 ونراه أثرًا من بعد عين
 قد بناه بنضار ولجين
 فتلاشى بعد هذا كل بين
 بيعة واحدة لا إثنين^{١)}
 وتمادى البعد بين الاخوين
 أنما الآن تصافحنا وذا السعد
 يا إخواننا عيب وشين
 حبّذا يوم به أجارنا
 فيكون الكل شعباً واحداً
 لا رعى الله زماناً أضرم
 غفر الله لمن قدماً جنى
 هوذا افرام في ايامنا
 ونرى بالحبر إلياس لنا
 حقّ الله أماني شعبه
 وبقلب خاشع ندعو بان
 ولنفع النفس خير السيدين
 كل غال لانضمام البيعتين
 كل علم راسخ في العالمين
 تدهش الفكر وتجلو المقلتين
 معلم الحق بارض الرافدين
 هم يبقى مدى الأزمان دين
 ونراه أثرًا من بعد عين
 قد بناه بنضار ولجين
 فتلاشى بعد هذا كل بين
 بيعة واحدة لا إثنين^{١)}
 وتمادى البعد بين الاخوين
 أنما الآن تصافحنا وذا السعد
 يا إخواننا عيب وشين
 حبّذا يوم به أجارنا
 فيكون الكل شعباً واحداً
 لا رعى الله زماناً أضرم
 غفر الله لمن قدماً جنى
 هوذا افرام في ايامنا
 ونرى بالحبر إلياس لنا
 حقّ الله أماني شعبه
 وبقلب خاشع ندعو بان

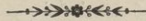
١) تلك هي الضالة التي ينشدها كل مفكر سرياني كالفيكت فيليب دي طرازي
 تائق شديد لتتوق الى اتحاد الملتين السريانيّتين معاً عملاً بالآية الانجيلية الكريمة «وتكون
 الرعية كلها واحدة والراعي واحداً» . وقد اثبتنا ذلك في كتابنا « الرئاسة البابوية
 في الكنيسة السريانية » الذي نشرناه عام اول .

الخاتمة

نقف عند هذا الحد في ما رأينا ان نثبته من الحقائق الراهنة التي اشرفنا اليها في مقدمة الكتاب . وكان بوسعنا ان نتبسط في الموضوع لزيادة الفائدة انما اجتزاناً بما قل ودل تفادياً من الاسهاب . وقد آيدنا ما كتبناه بوثائق صحيحة وحجج صريحة لا تدع مجالاً للارتياب كما يتضح ذلك لالي البصائر وأهل النقد . وهو يتفق مع الغرض المشكور الذي توحاه حضرة صديقنا الورع الجليل مؤلف « الذكرى الذهبية » أمدّه الله تعالى بالتوفيق والعمر الطويل .

واننا في الختام نوّدي مفترض الحمد والشكر للعرّة الصمدية التي قيّضت لنا ان نضيف هذه الحلقة الجديدة الى سلسلة الحلقات السابقة التي خدمنا بها ملتنا السريانية العزيزة . وناهيك انها تشتمل على وقائع خطيرة وفوائد جزيلة لا يعثر عليها القارئ الا في هذا المؤلف . وقد تحرّينا في اثباتها دقة البحث والصدق والصراحة كمألف عادتنا في ما وضعناه حتى الآن من الكتب ونشرناه من المقالات . فانتقدنا بلا محاباة ما وجب انتقاده وأثنينا بحقّ ونزاهة على ما وجب الثناء عليه . نسأله تعالى ان يهيئ لنا الوسائل للنهوض بمثل هذا العمل خدمة للتاريخ وتعزيزاً للحقيقة وتحليداً لمآثر مشاهير المآلة وفضلاتها . فهو سبحانه موثّلنا وعليه في كل امرٍ معولنا .

انتهى



فهرس

صفحة

٣

مقدمة

القسم الاول آل طرازي وابرشية بيروت السريانية

- ٦ الفصل الاول نظر انتقادي في اغلاط الذكرى الذهبية
 ١٥ الفصل الثاني آل طرازي وتكوين الملة السريانية في بيروت
 ٢٣ الفصل الثالث آل طرازي وبناء كنيسة بيروت وقلايتها
 ٢٧ الفصل الرابع آل طرازي وتزيين كنيسة بيروت الكاتدرائية
 الفصل الخامس آل طرازي وجمعية المساعي الخيرية السريانية
 ٢٩ ووقفها في بيروت
 ٣٦ الفصل السادس آل طرازي والمقبرة السريانية في بيروت
 ٤٠ الفصل السابع آل طرازي واقدم المدارس السريانية في بيروت
 الفصل الثامن آل طرازي ومجلة النحلة والمطبعة السريانية
 ٤٤ في بيروت

القسم الثاني آل طرازي واحبار الملة السريانية

- ٤٦ الفصل الاول آل طرازي وضيافتهم لاحبار ملتهم
 ٥٣ الفصل الثاني آل طرازي وتعظيمهم لاحبار ملتهم
 الفصل الثالث آل طرازي ونقل الكرسي البطريركي من ماردين
 ٦٠ الى بيروت

- ٦٩ الفصل الرابع آل طرازي وسلسلة بطاركة السريان الانطاكيين
٧٢ الفصل الخامس آل طرازي والبطريك مار اغناطيوس افرام الثاني

القسم الثالث آل طرازي والملة السريانية عموماً

- ٧٦ الفصل الاول آل طرازي ودير الشرفة
الفصل الثاني آل طرازي والكنائس والاديار السريانية

- ٨٨ ١ : الكنيسة الكاتدرائية في حلب
٨٩ ٢ : كنيسة مار انياس الحلي في القاهرة
٨٩ ٣ : دير مار افرام الملقان في ماردين
٩٠ ٤ : الكنيسة والنيابة البطريركية في اورشليم
٩١ ٥ : كنيسة الخرطوم
٩٢ ٦ : الرهبانية الافرامية للعدارى
٩٤ ٧ : كنيسة مار افرام في باريس
٩٦ ٨ : كنيسة المصيطبة في بيروت
٩٦ ٩ : كنائس شتى
٩٦ ١٠ : التواريخ الشعرية للكنائس السريانية

الفصل الثالث آل طرازي والابرشيات السريانية في نكباتها

- ٩٨ ١ : زلزال حلب عام ١٨٢٢
١٠٠ ٢ : ثورة حلب عام ١٨٥٠
١٠٠ ٣ : فتنة دمشق عام ١٨٦٠
١٠١ ٤ : مجاعة الموصل عام ١٨٨٠
١٠٣ ٥ : ثورة عرابي باشا في مصر عام ١٨٨٢
١٠٤ ٦ : مذابح تركيا عام ١٨٩٥
١٠٤ ٧ : المجاعة في بيروت اثناء الحرب العظمى (١٩١٤-١٩١٨)
١٠٧ ٨ : المنكوبين في بيروت بعد الحرب العظمى
١٠٨ ٩ : مهاجرو تركيا الى بيروت عام ١٩٢١ فما بعد

١٠٩	الفصل الرابع آل طرازي وآثارهم القلمية في الملة السريانية
١٠٩	١ : المقدسي نصرالله طرازي (١٧٥١-١٨٠٨)
١١٠	٢ : المقدسي يوسف طرازي (١٧٨٥-١٨٤٥)
١١٠	٣ : المقدسي انطون طرازي (١٧٨٩-١٨٥٥)
١١٢	٤ : المعلم جرجس طرازي (١٨١٤-١٨٤٧)
١١٤	٥ : الخور فسقفوس اندراوس طرازي (١٨٢٦-١٨٥٩)
١١٥	٦ : الكنت نصرالله دي طرازي (١٨٢٢-١٨٩٥)
١١٦	٧ : الكنت انطون دي طرازي (١٨٥٧-١٩٠٠)
١١٧	٨ : الفيكنت سليم دي طرازي (١٨٦٢-١٩٠٥)
١١٨	٩ : الفيكنت فيليب دي طرازي
١٢٨	١٠ : سائر ادباء آل طرازي

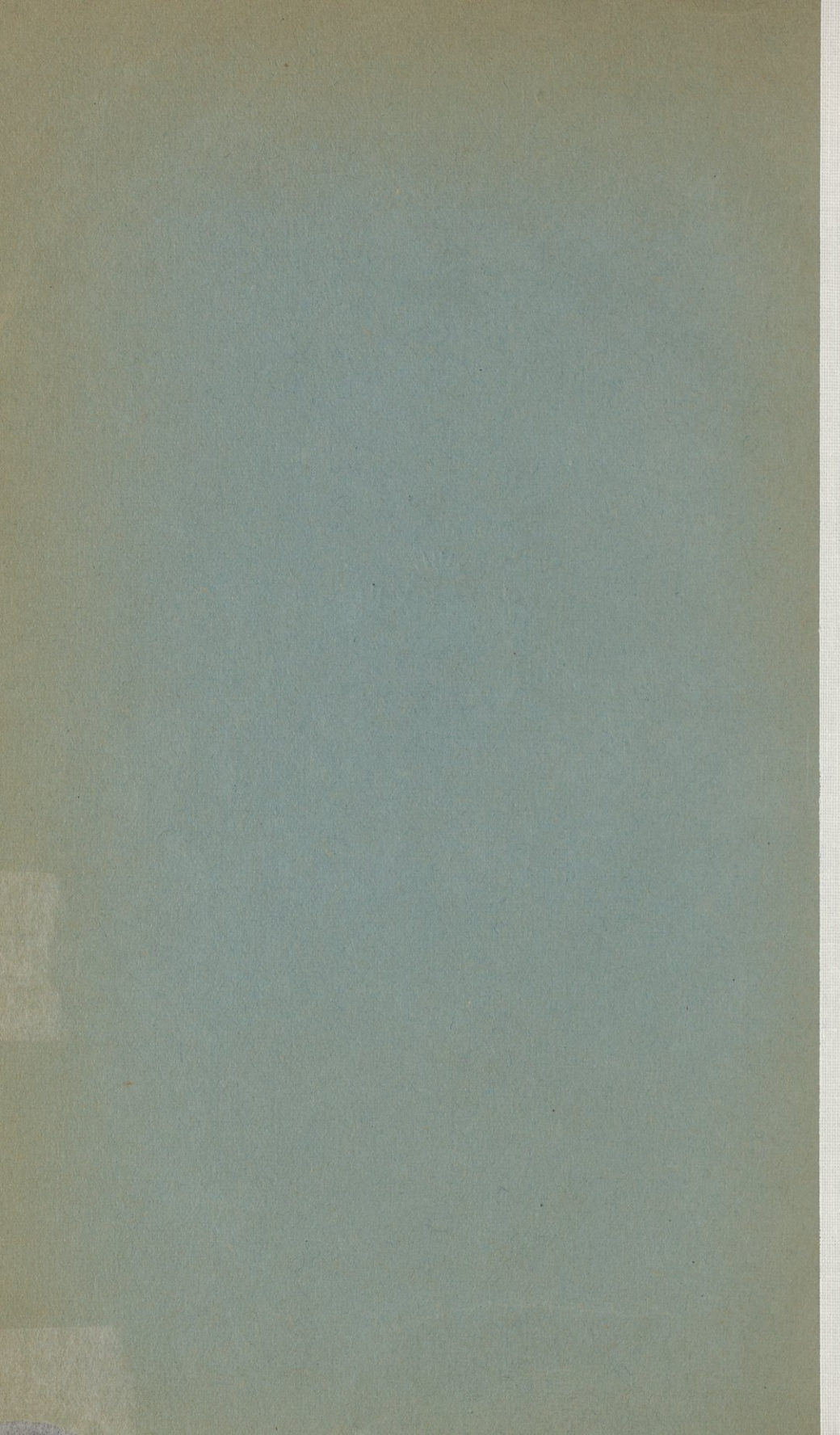
القسم الرابع آيات معرفة الجميل لآل طرازي

١٣٢	الفصل الاول الاحبار الرومانيون وآل طرازي
١٤٢	الفصل الثاني تكريم ائمة السريان وكتبهم لآل طرازي

القسم الخامس

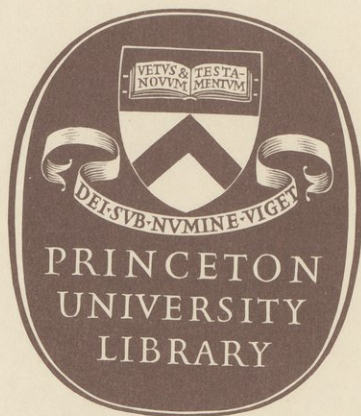
١٥٩	الفصل الفرد منظومات الفيكنت فيليب دي طرازي في الملة السريانية
-----	---





Armalah.





Princeton University Library



32101 058188531

(R66abv)
CS1519
.T3
1934